
روايات
مصرية للجيب
٣
سلسلة
الأعداد
الخاصة
رجل المستحيل
العميل
د. نبيل فاروق



رجل المستحيل .

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى ، يرمز إليه بالرمز (ن ــ ١) .. حرف (النون) ، يعنى أنه فئة نادرة ، أما الرقم (واحد) ، فيعنى أنه الأوَّل من نوعه ؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص ، فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، من المسدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال ، من المصارعة وحتى (التايكوندو) .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لعدة لغات حيَّة ، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكُّر و (المكياج) ، وقيادة السيارات والطائرات ، وحتى الغواصات ، إلى جانب مهارات أُخرَى متعددَّة ..

لقد أجمع الكل أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد ، فى عمر (أدهم صبرى) ، كل هذه المهارات مجتمعة ..

ولكن (أدهم صبرى) حقَّق هذا المستحيل ، واستحقَّ عن جدارة ذلك اللقب ، الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة ..

لقب (رجل المستحيل) .

د . نبيل فاروق

١ ــ مرة أخرى ...

تحرَّك (قدرى) فى نشاط مدهش ، داخل حجرته الخاصة ، فى مبنى المخابرات العامة المصرية ، وبدا الحماس على وجهه ، وهو ينقل بعض أدواته إلى منضدة صغيرة ، تتوسَّط الحجرة ، وجذب مقعدًا كبيرًا ؛ ليجلس أمام المنضدة ، ثم التقط ملقطًا دقيقًا ، وانحنى فى دقة وحذر ؛ ليكمل عمله ، فى قطعة من المعدن ، حملت بعض النقوش والأرقام ، بلغة أجنبية غير شائعة ..

وكان يؤدى عمله فى مهارة مدهشة حقًا ..

لقد تشكَّلت قطعة المعدن ، وتحوَّرت فى سرعة ، مع لمسات أصابعه الساحرة ، لتتخذ هيئة قطعة أخرى ، يتخذها مثالًا لعمله ، حتى صارت القطعتان نسخة طبق الأصل ، من بعضهما البعض ، فأطلق تنهيدة ارتياح ، والتقط القطعتين ، بين سبابتيه وإبهاميه ، وراح يقارن بينهما فى قلق ، قبل أن يمط شفتيه ، قائلًا :

ـ لا بأس .

قفز من مقعده مذعورًا ، عندما أتى من خلفه صوت أنثوى رقيق ، يقول :

ـ إننى أراها رائعة .

ارتطم بالمنضدة ، فتأرجحت فى قوة ، وكادت تنقلب أرضًا ، وتتناثر من فوقها كل أدواته الدقيقة ، لولا أن تحرَّكت صاحبة الصوت الأنثوى الرقيق فى سرعة ، وأمسكت بها ، وهى تقول ضاحكة :

ـ ألنا مفزعة إلى هذا الحد ؟

هتف بها فى حدة :

- بالتأكيد .

رفعت حاجبيها فى دهشة ، ثم لم تلبث أن أطلقت ضحكة صافية ، وهى تقول :

- يا لك من لبق !

انتبه إلى معنى عبارته ، وما تفتقر إليه من ذوق ولياقة ، فانفجر ضاحكًا ، وترجرج جسده الضخم كله مع ضحكته ، وهو يقول :

- بالطبع يا عزيزتى (منى) .. إننى أضخم الرجال لباقة .

ثم اطمأن بسرعة على أدواته ، وجمعها فى ركن المنضدة ، قبل أن يستطرد فى لهفة واهتمام ، وهو يضع قطعتى المعدن أمام عينيها :

- ما رأيك حقًا ؟ .. اخبرينى بكل صدق وصراحة .

قارنت بين قطعتى المعدن ، اللتين تشبهان قطع النقود المعدنية الكبيرة ، ثم سألته فى جديه :

- أيتهما الحقيقية ؟

هتف معترضًا :

- (منى) .. لقد طلبت رأيك فى صراحة .

هزّت رأسها ، قائلة :

- أقسم لك إننى لا أستطيع التفرقة بينهما .

قال فى أسف :

- ولكن الفارق واضح للغاية .

ثم التقط ملقطًا بالغ الصغر ، وأشار بطرفه إلى نهاية أحد الحروف ، قائلًا :

- انظرى .. هذا الحرف يحتاج إلى بعض التصفير عند قاعدته .

التقى حاجباها ، وهى تتطلع إلى حيث يشير ، فى اهتمام بالغ ، ثم لم تلبث أن ابتسمت ، وقالت :

- أتسمى هذا فارقًا واضحًا ؟

هتف :

- بالتأكيد .. ولا يمكن تجاهله ، فعند أدنى شك ، سيفحصون هذه الشارة بكل دقة ، ووسائل التكبير لديهم عديدة ، ويمكنها كشف الأمر تمامًا .

سألته :

- من هم ؟

أجاب فى حماس :

- رجال الـ (كى . جى . بى)(*)

ثم اعتدل ، وأكمل فى اهتمام :

- هذه الشارة بالغة السرية والخصوصية لديهم ، وحاملوها فقط يمكنهم دخول حجرة الملفات السرية ، فى قلب (الكريملين)(**) ، دون أن يستوقفهم أحد ، ومن الطبيعى أن يفحصوا شارتهم هذه بمنتهى السرية .

سألته فى دهشة :

- كيف حصلنا على واحدة إذن ؟

تلفت حوله ، وكأنه يخشى أن يسمعه أحد ، ثم مال على أذنها هامسًا :

- لم نحصل عليها .. لقد استعرناها .

هتفت فى مزيد من الدهشة :

- استعرناها ؟!

لوح بيده ، وكأنه يرجوها الصمت ، ثم مال على أذنها مرة أخرى ، وهمس :

(*) (كى . جى . بى) : المخابرات السوفيتية .

(**) الكريملين : مقر الحكم السوفيتى

- نعم .. أحد حاملى الشارة هنا فى (القاهرة) ، فى مهمة خاصة ، ولقد تعرّفه رجالنا ، ودسّوا له مخدرًا ، ثم سرقوا شارته ، وأحضروها إلى هنا ، والمفروض أن أصنع نسخة منها ، قبل أن يستيقظ .

قالت فى حرج :

- آه .. وهل قطعت عملك ؟

هزّ كتفيه ، قائلاً :

- لا .. لقد انتهيت تقريبًا .

قالها وتجاهل وجودها تمامًا ، وانحنى يجرى التعديل المطلوب على القطعة المعدنية ، قبل أن يقول ، فى لهجة توحى بعدم الرضا :

- هذا أفضل ما يمكن .

ثم ضغط زرًا مجاورًا ، وقال عبر جهاز اتصال داخلى :

- (نادر) .. لقد انتهيت .. يمكنك استعادة القطعة الأصلية .

برقت فجأة فكرة ما ، فى رأس (منى) ، فقالت :

- لحظة يا (قدرى) .. لم لا نعيد إلى الرجل قطعتنا المقلّدة ، ونحتفظ نحن بالقطعة الأصلية ؟! .. إنه لن يلاحظ الفارق أبدًا .

هزّ رأسه نفيًا ، وقال فى حزم :

- لا .. لا يمكننا أن نخاطر بعمل كهذا ، فربما تكونُ هناك علامة خفية فى شارته ، ترشده إلى صحتها ، ولو كشف ما فعلناه بها فسيخبر رؤساءه ، وربما يبدلونها بشارة أخرى ، فيذهب عملنا هباءً .

أومأت برأسها متفهمة ، وقالت فى حرج :

- آه .. لم انتبه إلى هذا .

ابتسم فى حنان ، وهو يقول :

- لا أحد كامل ، فالكمال لله (سبحانه وتعالى) وحده .

لم تمض لحظات على عبارته ، حتى وصل (نادر) ، واستعاد القطعة الأصلية ، وغادر المكان فى سرعة ، حتى يمكنه إعادتها إلى موضعها ، فى ثياب رجل الـ (كى . جى . بى) ، قبل أن يذهب أثر المخدّر ، ويستيقظ من السبات العميق ، الذى وضعه فيه رجال مخابراتنا .

ولم يكد (نادر) ينصرف ، حتى سأل (قدرى) (منى) فى اهتمام :

- ما رأيك فى شطيرة جبن طازجة ، وقدح من الشاى ، و ..

قاطعته فى هدوء :

- أشكرك .. لقد تناولت إفطارى بالفعل .

قال معترضًا :

- وما شأن هذا بذاك ؟ .. أنا أيضًا تناولت إفطارى ، ولكننى أشعر بالجوع .

ضحكت قائلة :

- أظننا سنختلف دومًا ، فى هذا الشأن .

ثم مالت نحوه ، واستطردت فى جدية :

- ثم إننى لم آت من أجل هذا ، وإنما من أجل باقى القصة .

سألها وهو يعد شطيرة الجبن :

- أية قصة ؟

أجابته فى لهفة واضحة :

- قصة (أدهم) ، مع عميل (الموساد) .. ألم تعدنى بأن تقصها علىّ فيما بعد ؟

قضم قطعة كبيرة من الشطيرة ، وهو يسألها فى براءة :

- أنا وعدتك ؟!

ضربت الأرض بقدمها كالأطفال ، وقالت :

- لا تتظاهر بالنسيان .. لقد رويت لى من قبل قصة (أدهم) ، عندما التقى بـ (فدوى) ، وقاتل من أجل الصندوق الأسود (*) ، وأخبرتنى أنه طارد عميل (الموساد) ، الذى كان مندسًا بين صفوفنا ، فى (أوروبا) .. أنسيت هذا ؟

ابتسم قائلًا :

- لا .. لم أنس .

تنهدت فى ارتياح ، وقالت :

- حسنًا .. هأنذا هنا ، وكلى آذان صاغية ، ومستعدة لسماع قصة العميل هذه ، من الألف إلى الياء .

شرد ببصره لحظة ، وهو يقول :

- كانت مغامرة رائعة .

أجابته فى غضب رقيق :

- لهذا أتلهف لسماعها .

شرد ببصره لحظة أخرى ، التهم خلالها نصف شطيرة الجبن ، ثم التفت إليها ، وعيناه تحملان انفعالًا واضحًا ، وقال فى حماس :

- أتعلمين أن لقضية العميل هذه أجمل ذكرى ، فى ذهنى ؟

سألته :

- ولماذا هى بالذات ؟

أجابها فى سعادة :

- كانت أول مرة ألتقى فيها بـ (أدهم صبرى) ، الذى صار فيما بعد أخلص وأعظم أصدقائى .

قفز انفعال عاطفى إلى عينيها ، وهى تقول :

(*) راجع سلسلة الأعداد الخاصة .. العدد رقم (١) .. (المعركة الكبرى) .

- (أدهم) أعظم إنسان التقيت به ، و ..

بترت عبارتها لخجل مباغت ، تصاعدت حمرته إلى وجنتيها ، فابتسم (قدرى) فى حنان ، وقال :

- هذا رأى الجميع .

ثم ضحك مستطردًا :

- حتى أعداء (أدهم) أنفسهم .

شاركته ضحكته ، ثم قالت فى صرامة :

- هيا .. ارو لى القصة كلها .

تنهد (قدرى) ، وراح يتطلع إلى سقف الحجرة ، وهو يقول :

- كان (أدهم) نقيبًا شابًا ، فى المخابرات العامة ، ولم يكن قد كون أسطورته بعد ، ولكن مهمته الخاصة باستعادة الصندوق الأسود بهرت الجميع ، وجعلتهم يدركون أنه ليس بالشخص العادى ، بل هو رجل من طراز نادر ، يستحيل أن يجود الزمان بأكثر من واحد على شاكلته ، كل عدة أجيال ، وكان من الطبيعى أن يسندوا إليه بعدها كل مهمة ، تبدو فى إطار من المستحيل .

سألته (منى) :

- هل أرسلوه خلف العميل الهارب ، بعد عودته مباشرة ؟

تطلع إليها لحظة فى صمت ، وهو يقول :

- كلا .. إنه لم يعد إلى (القاهرة) .

سألته فى لهفة :

- كيف بدأ مهمته إذن ؟

تنهد مرة أخرى ، وقال :

- بدأها فور انتهاء المهمة السابقة .. لقد لقيت (فدوى) مصرعها بين ذراعيه ، كما لابد أنك تذكرين ، وانتزعت بوفاتها جزءًا من قلبه ، فتفجر

في أعماقه حزن جارف ، كبركان يقذف الحمم بين ضلوعه ، ويلهب صدره وأعصابه ، ووسط كل هذا أطبق رجال الشرطة البريطانية على المكان ، وألقوا القبض على الجميع ، ولكن أحدًا لم يجد جثة (قدوى) ، ولا (أدهم) نفسه :

سألته (منى) فى حيرة :

- وكيف نجح فى الفرار ؟

هزَّ رأسه ، قائلًا :

- لا أحد يدرى .. إنه لم يذكر هذا فى تقريره ، ولم يهتم أحد بسؤاله عنه .

مطّت شفتيها ، وهى تقول :

- أراهن أنه تصوَّر أن فراره مجرَّد أمر عادى .

ابتسم قائلًا :

- بالتأكيد .

تنهّدت ، واعتدلت فى مجلسها ، تسأله :

- كيف بدأ مهمته التالية إذن ؟

أجابها :

- سأروى لك كل شىء .

وبدأ يروى القصة ..



٢ ـ المهمة ...

أشرقت الشمس على مدينة (لندن) ، العاصمة البريطانية العريقة ، التى يقولون إنها لا تتغير أبدًا ، واختفى قرص الشمس إلى حد ما ، خلف سحابة من ضباب رمادى باهت ، غلّفت المدينة كلها ، فبدا الشروق أشبه بالغروب ، و (أدهم) يتطلّع إليه فى صمت ، من شرفة السفارة المصرية ، وعيناه تحملان حزنًا جارفًا عميقًا ، لم يشعر بمثله قط ، فى حياته كلها ، إلا حينما لقى والده مصرعه ، على أيدى رجال (الموساد) ..

وفى صمت ، اتجه إليه السفير المصرى ، وربّت على كتفه ، ثم وقف إلى جواره ، يراقب ذلك الشروق الباهت ، دون أن ينبس أيهما ببنت شفة ، لعشر دقائق كاملة ، قطعها السفير وهو يقول :

- لقد أرسلت الرسالة إلى (القاهرة) ، مع مندوب خاص .

سأله (أدهم) ، دون أن يدير عينيه إليه :

- ألا يمكن إرسالها بوسيلة أسرع ؟

هزَّ السفير رأسه نفيًا ، وقال :

- إنها رسالة شفرية ، ومن الخطأ إرسالها برقيًّا ، فقد يكون لـ (الموساد) عميل سرى ، فى مكتب البرقيات ، ولن نرسلها بالبريد العادى قطعًا(*) .

أومأ (أدهم) برأسه متفهمًا ، وقال فى حزن :

- وماذا عنها ؟

(*) لم تكن أجهزة الإرسال الهاتفى (الفاكسميلى) ، معروفة فى ذلك الحين .

أدرك السفير ما يعنيه (أدهم) بقوله هذا ، فأجاب مشفقا :

ـ اطمئن .. ستلقى الرعاية الواجبة .

غمغم (أدهم) :

ـ المهم أن تعود إلى الوطن بسرعة .

ربت السفير على كتفه مرة أخرى ، وقال :

ـ اطمئن .

لاذ بالصمت لحظة ، ثم استطرد فى اهتمام :

ـ أهى زميلتك ؟

أجابه (أدهم) :

ـ يمكنك اعتبارها كذلك .

لم يكن الجواب يحمل نفيًا أو تأكيدًا ، ولكن السفير افترض أن عمل المخابرات يحتم مثل هذا الجواب ، فلم يحاول تكرار سؤاله ، ولاذ بالصمت مرة أخرى ، وترك (أدهم) يسبح بأفكاره بعيدًا ..

بعيدًا جدًا ..

* * *

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثامنة صباحا ، عندما انطلق الرقيب (أكرم حسين) بسيارته الصغيرة ، فى طريقه إلى عمله ، بإدارة المخابرات العامة المصرية ..

كان يقود سيارته فى رصانة كالمعتاد ، وهو ينشد لحنا شعبيًا شهيرًا ، ويضرب عجلة القيادة بأصابعه ، فى إيقاع منتظم ، عندما عبر تلك الناصية الشهيرة ، فى كوبرى القبة ، ووقع بصره على سيارة سوداء ، من طراز غير مألوف ، يجلس داخلها رجل وقور ، أشيب الفودين ، فتوقفت شفتاه عن الإنشاد ، وانقبضت أصابعه على عجلة القيادة ، والتقى حاجباه فى قلق ، وغمغم متوترًا :

ـ ما الذى يفعله هنا ؟!

راقب السيارة السوداء ، فى مرآة سيارته ، ورأى قائدها يتبعه ، ويضىء أنوار السيارة مرتين ، فارتعدت فرائصه ، وقال فى حدة :

ـ لقد أصيب بالجنون حتمًا .. كيف يأتى خلفى إلى هنا ؟!

أوقف السيارة مضطرًا ، إلى جانب الطريق ، وغادرها وهو يتلفت حوله فى توتر ، خشية أن يراه أحد زملاء العمل ، فى حين أوقف الآخر سيارته السوداء خلفه ، وغادرها فى هدوء ، واتجه إليه قائلًا :

ـ صباح الخير يا (أكرم) .

تلفت (أكرم) حوله مرة أخرى فى ذعر ، وهتف فى خفوت :

ـ ما الذى تفعله ؟ .. إنك تعرّضنى لكشف أمرى ، ماذا لو رآك أحد زملاء الـ ..

قاطعه الرجل فى صرامة :

ـ إنك لن تذهب إلى العمل بعد اليوم .

حدّق (أكرم) فى وجهه بدهشة ، وقال :

ـ ماذا تعنى ؟

أجابه الرجل :

ـ أعنى أن المصريين قد كشفوا أمرك .

خيّل إليه أن قنبلة قد أصابت (أكرم) وتفجّرت فيه ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، فقد اتسعت عيناه ، وجحظتا ، وكادتا تقفزان من محجريهما ، وانتفض جسده فى عنف ، وتراجع كالمصعوق ، قبل أن يصرخ فى رعب هائل :

ـ كشفوا أمرى ؟!

بدا وكأنه سيسقط جثة هامدة ، لولا أن ناوله الرجل مظروفًا مغلقًا ، وهو يقول :

- في هذا المظروف تذكرة طائرة ، من (القاهرة) إلى (روما) ، وألف دولار نقدًا ، وينبغي أن تسرع ، فستقلع طائرتك بعد ساعة ونصف الساعة ، ومن المحتم أن تصل إلى المطار ، بعد نصف الساعة على الأكثر .

اختطف (أكرم) المظروف ، وهو يقول في رعب :

- ألف دولار فقط ؟! .. لقد وعدتموني بـ ..

قاطعه الرجل في صرامة :

- لا وقت للجدال .. ارحل أولًا ، وسيمنحك مكتبنا في (روما) ما تريد .. هيا .. اسرع .

استدار (أكرم) على الفور ، وقفز داخل سيارته ، وانطلق بها إلى المطار ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وتابع الرجل سيارته في هدوء ، ثم عاد إلى السيارة السوداء ، ونظر إلى رجل أصلع نحيل ، يجلس في مقعدها الخلفي ، ويصعب تمييز ملامحه ، من خارج السيارة ، فقال الأصلع في حزم :

- هل رحل ؟

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وعاد يحتل مقعده ، خلف عجلة القيادة ، وهو يقول :

- سيرحل بسرعة الصاروخ ، ولكنني لست أفهم لماذا نفعل به هذا ؟

غمغم الأصلع :

- نفعل به ماذا ؟

أدار الرجل محرك السيارة ، وانطلق بها في هدوء ، وهو يقول :

- لماذا نساعده على الفرار ؟ .. لقد انكشف أمره ، واحترق ، ولم نعد بحاجة إليه ..

قال الأصلع في صرامة :

- من قال هذا ؟

ثم اعتدل في مقعده ، مستطردًا :

- إننا لن نتخلص منه بالطبع ، قبل أن نتأكد من أنه لم يؤمن نفسه ضدنا .

عقد الرجل حاجبيه ، وهو يسأله :

- وكيف يفعل هذا ؟

هز الأصلع كتفيه ، وأجاب :

- من يدري ؟ .. إنه رجل يخون وطنه ، وأولئك الخونة يتميزون بالقلق والحذر الدائمين ، وكل منهم يحاول دائمًا تأمين نفسه ، خشية أن نتخلص نحن منه ، بعد أن تنتهي حاجتنا إليه ، ولما كنا لا نعلم الوسيلة ، التي اتخذها لتأمين نفسه ، فنحن بحاجة إلى استجوابه ، ونظرًا لخطورة بقائه هنا ، بعد كشف أمره ، فسنساعده على مغادرة البلد إلى (روما) ، وهناك يتلقفه أفراد مكتبنا ، ويستجوبونه بوسائلهم الخاصة .

سرت قشعريرة في جسد الرجل ، وهو يغمغم :

- لست أحب أن أحل محله .

ثم سأل في اهتمام :

- وماذا سيفعلون ، بعد الانتهاء من استجوابه ؟

فرد الأصلع سبابته وإبهامه ، على هيئة مسدس ، وألصق طرف السبابة بصدغه ، وهو يقول في سخرية :

- سيتعاملون معه ، ويمنحونه مكافأته ..

وقهقه ضاحكًا ، والسيارة تنطلق به ..

في قلب (القاهرة) ..

* * *

لم يكد مندوب السفارة المصرية في (لندن) يصل إلى (القاهرة) ، حتى استقبله أحد رجال المخابرات العامة ، داخل أرض المطار ، وحمله في سيارة خاصة ، إلى مبنى المخابرات العامة ، وهناك استقبله مدير المخابرات

بنفسه ، وحصل منه على الرسالة ، ثم أرسلها على الفور إلى قسم الشفرة ، وقدم الشكر للرجل ، ورافقه حتى باب مكتبه ، مرسلا تحياته إلى السفير المصرى بـ (لندن) ، ولم يكد المندوب ينصرف ، ويغلق الباب خلفه ، حتى اختفت الابتسامة عن شفتى المدير ، وأسرع إلى مكتبه ، ورفع سماعة الهاتف الداخلى ، وهو يقول :

ـ هل وصلتكم الرسالة ؟

أجابه رئيس قسم الشفرة :

ـ نعم يا سيّدى ، ونحن نحل شفرتها الآن .

قال المدير ، فى لهجة تشفّ عن عظيم اهتمامه :

ـ فلترسلها فور الانتهاء منها .

أنهى المحادثة ، وفرك كفيه فى توتر ، ثم التقط ملف (أدهم صبرى) ، وتمتم وهو يلقى نظرة عليه :

ـ يبدو أن هذا الفتى سيكون له شأن عظيم فى المستقبل .

طالع عدة صفحات من الملف ، قبل أن يسمع طرقات على باب مكتبه ، فأغلق الملف فى سرعة ، وهو يقول فى لهفة :

ـ ادخل .

اندفع النقيب (حازم) إلى مكتبه ، وهو يقول فى توتر :

ـ سيّدى .. لقد حل الرجال شفرة الرسالة .

سأله المدير فى لهفة شديدة :

ـ من هو العميل ؟

أجابه (حازم) :

ـ (أكرم) .. (أكرم حسين) .

ارتفع حاجبا المدير فى دهشة بالغة ، وهو يقول :

ـ (أكرم حسين) ؟! .. أتقصد الرقيب (أكرم حسين) .. من قسم الاتصالات ؟!

أومأ (حازم) برأسه إيجابا ، وهو يقول :

ـ هذا ما تقوله الرسالة يا سيّدى .

بدا المدير لحظات كالمصعوق ، قبل أن يقول :

ـ لقد تسللوا إلى قلب صفوفنا بالفعل .. يا إلهى ! .. (أكرم حسين) ؟! .. إنه يطلع ، بحكم وظيفته ، على كل اتصالاتنا !!

ثم رفع عينيه إلى (حازم) ، قائلا فى صرامة :

ـ يبدو أن إدارتنا تحتاج إلى حملة تطهير .

وضرب سطح مكتبه بقبضته ، مستطردا فى حدة :

ـ بعد أن نلقى القبض على هذا الوغد .

قال النقيب (حازم) فى حنَق :

ـ وهذه هى المشكلة .

تطلّع إليه المدير فى قلق ، وقال :

ـ أيه مشكلة ؟

زفر (حازم) فى توتر ، قبل أن يجيب :

ـ لقد اختفى (أكرم) .

انتفض المدير فى عنف ، كما لو أن تيارًا كهربيًا عنيفًا قد أصابه ، وهتف :

ـ اختفى ؟!

أجابه (حازم) فى سرعة :

ـ نعم يا سيّدى .. لقد تلقيت الرسالة من قسم الشفرة ، ولم أكد أعلم محتواها ، حتى أصابنى الغضب ، فاندفعت إلى قسم الاتصالات ، لإلقاء القبض على ذلك العميل الخائن ، ولكنهم أخبرونى أنه لم يأت ، ولم يرسل

اعتذارًا ، كما ينبغى أن يفعل .. كما أن هاتف منزله لا يجيب .

بدا الغضب على وجه المدير ، وهو يقول :

ـ لقد هرب .. هرب الوغد ، قبل أن يقع فى أيدينا .. لقد ساعدوه على الهرب ، حتى لا نستجوبه ، ونعلم مالديه .

قال (حازم) :

ـ ولكننى اتصلت بمكتبنا فى المطار وفى ميناء (الاسكندرية) ، وميناء (السويس) ، وسيخبروننا بأية أمور يتوصلون إليها .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف الخاص به ، فاختطف سماعته فى حركة حادة سريعة ، ووضعها فوق أذنه ، قائلًا :

من المتحدّث ؟

بدا الاهتمام الشديد على وجهه ، وهو يستمع إلى محدّثه لحظات ، ثم غمغم :

ـ شكرًا لك .

وأعاد السّماعة إلى موضعها ، وهو يرفع عينيه إلى (حازم) ، قائلًا فى حنَق :

ـ لقد نجح فى الفرار .. أقلعت به طائرة (روما) منذ نصف الساعة .

هتف (حازم) ساخطًا :

ـ يا للوغد !!

ثم استطرد فى غضب :

ـ ولكننا لن نسمح له بالفرار .. أليس كذلك ؟

أجابه المدير فى حزم :

ـ بالتأكيد .

ثم نهض من خلف مكتبه ، وهو يستطرد :

ـ إننا نحتاج بشدة إلى الإيقاع به ، واستعادته ، فما لديه من معلومات سيفيدنا للغاية ، بشأن الأساليب التى يستخدمها الإسرائيليون لتجنيد رجالنا ، ووسائل تدريبهم لهم ، وكيفية الاتصال بهم .. كذلك نحتاج إلى معرفة الأشخاص ، الذين كان يتعامل معهم هنا ، وما إذا كان هناك آخرون ، تم تجنيدهم بوساطة هؤلاء الأشخاص ، أو حتى بوساطته هو .

وتنهّد مردفًا :

ـ باختصار .. إننا نحتاج إلى استعادته بشدة .

ورفع عينيه إلى (حازم) ، متابعًا :

ـ وعلى قيد الحياة .

قال (حازم) فى حماس :

ـ فلنتصل برجالنا فى (روما) ، فيستقبلونه فى المطار هناك ، ويلقون القبض عليه ، ويحملونه إلى سفارتنا هناك ، وبعدها يمكننا إحضاره فى صندوق دبلوماسى خاص .

هزّ المدير رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلّا .. هذا الأسلوب أشبه بأساليب العصابات ، كما أن الاسرائيليين سيحاولون حتمًا انقاذه من أيدينا ، حتى لو اضطرهم الأمر لقتله ، فى قلب مطار (روما) ، ونحن لا نرغب فى هذا ، قبل أن نستجوبه .

قال (حازم) :

ـ ومن يضمن أنهم لن يقتلوه ؛ لإخفاء ما لديه عنهم ، حتى لو لم نحاول نحن أن نختطفه ؟

هزّ المدير رأسه نفيًا مرة أخرى ، وقال :

ـ لن يفعلوا ، إلا بعد أن يستجوبوه بدورهم ، ليعلموا ما لديه عنهم ، وما يخفيه فى أعماقه .. إنهم يفعلون هذا دومًا .

سأله (حازم) فى قلق :

- ماذا ينبغى أن نفعل إذن ؟

اعتدل المدير ، وقال :

- نوهمهم بالانتصار ، ونرسل خلفهم أحد رجالنا ، ليختطف منهم العميل ، ويعيده إلينا .

هتف (حازم) مستنكرًا :

- أحد رجالنا ؟ ..هل سنواجه مكتب (روما) كله ، بكل خبراء (الموساد) فيه ، بوساطة رجل واحد ؟

أجابه المدير فى حسم :

- بالتأكيد .. إنه ليس رجلا عاديًا .. إنه (أدهم) .

وبدا الحزم والثقة فى وجهه وصوته ، وهو يستطرد :

- (أدهم صبرى) .



٣ ـ فى (روما) ...

تنفس (أكرم) الصعداء ، عندما هبطت به الطائرة فى (روما) ، وأنهى إجراءاته الجمركية فى سرعة ؛ نظرًا لأنه لا يحمل حقائب ، وغادر المطار فى خطوات متلهفة ، وهو يغمغم :

- لقد نجوت .

تحسس المظروف ، الذى يحوى الدولارات الألف ، والراقد فى جيبه ، ثم أشار إلى واحدة من سيارات الأجرة ، وهو يقول لنفسه :

- كل ما أحتاجه هو الوصول إلى مكتب (الموساد) فى (روما) ، وبعدها ..

فوجئ بصوت أنثوى يأتى من خلفه ، ويقول فى لهجة شبه ساخرة ، وبلغة إنجليزية سليمة :

- سيارة أجرة ؟! .. من العار أن ندعك تفعل هذا يا عزيزى (كارل) .

كان هذا هو الاسم ، الذى أطلقوه عليه فى (الموساد) ، فانتفض فى توتر ، والتفت خلفه فى حركة حادة ، وحدق فى وجه الفتاة ، التى تقف خلفه ، مبتسمة على نحو عجيب ، يجمع ما بين الثقة والسخرية واللامبالاة ، وهتف بها :

- من أنت ، و .. ؟

تطلعت إليه بعينيها الخضراوين ، وهزت شعرها الأسود الطويل ، البالغ النعومة ، فتطاير على نحو مثير ، ثم عاد ينسدل كشلال أسود على ظهرها ، وبعض خصلاته تستقر على كتفيها ، قبل أن تنفرج شفتاها الجميلتان عن

ابتسامة أكثر اتساعا ، وهى تمد يدها إليه ، قائلة :

ـ (ساره يعقوب) .. المسئولة عن استقبالك هنا .

قالتها بلغة عربية ، وبلهجة مصرية واضحة ، فحدق فى وجهها بدهشة ، وهتف :

ـ أأنت ؟

قاطعته فى سرعة :

ـ أنا إسرائيلية يا عزيزى (كارل) ، وأعمل فى (الموساد) .. اطمئن .

أطلق زفرة قوية متوترة ، وهو يقول :

ـ حمدًا لله .. ظننتك من المخابرات المصرية ، وأنهم قد أوقعوا بى .

أطلقت ضحكة ساخرة عالية ، وقالت :

ـ أوقعوا بك ؟! .. يبدو أنك لا تدرك قوة جهاز المخابرات ، الذى تتعامل معه يا (كارل) .

ثم مالت نحوه ، مستطردة :

ـ إننا أقوى جهاز مخابرات ، فى العالم أجمع .

قال فى توتر :

ـ لم يبد هذا واضحا ، فى حرب السادس من أكتوبر ، فقد خدعكم المصريون ، و ..

قاطعته فى حدة :

ـ إنها غلطتك .

هتف مستنكرًا :

ـ أنا ؟!

أجابته فى عصبية :

ـ بالطبع .. لقد زرعناك فى صفوفهم ؛ لتنقل إلينا كل ما يدور بينهم ، ولكنك لم تعرف شيئا ، ولم تبلغنا بما كانوا يعدون .

ـ قال معترضا :

ـ لم يتبادلوا أية اتصالات فى هذا الشأن ، حتى لحظة الهجوم ، ولم ..

قاطعته هذه المرة فى صرامة :

ـ حسنًا .. لن نناقش هذا الأمر .

ثم أضافت ، وهى تتأبط ذراعه ، وتقوده إلى سيارة أنيقة ، تقف أمام مبنى المطار مباشرة :

ـ المهم أن نذهب إلى مكتبنا ، لنعد العدة لتأمين مستقبلك ، حتى لا يعثر عليك المصريون .

ركب السيارة معها ، وهو يقول :

ـ هذا أفضل .

قادت السيارة بنفسها ، وانطلقت عبر شوارع (روما) ، وهى تقول له :

ـ هل كان فرارك سهلًا ؟

أجابها فى توتر :

ـ كان فى الوقت المناسب على الأقل .

اختلست نظرة جانبية إليه ، قبل أن تقول ، فى مرح مصطنع :

ـ الواقع أننى لم أشعر بالخوف تجاهك .. كنت أعلم أنك ستجيد التصرف .

غمغم فى ضيق :

ـ من يدرى ؟

قالت فى حماس مدروس :

ـ أراهن أنك كنت تؤمن موقفك .

بدا عليه القلق ، وهو يسألها فى حذر :



ثم أضافت ، وهى تتأبط ذراعه ، وتقوده إلى سيارة أنيقة ، تقف أمام مبنى المطار مباشرة :
ـ المهم أن نذهب إلى مكتبنا ، لنعد العدة لتأمين مستقبلك ، حتى لا يعثر عليك المصريون ..

ـ وكيف يمكننى أن أفعل ؟

أطلقت ضحكة عابثة ، قبل أن تقول :

ـ كل شخص يعمل فى مجالنا ، يمكنه أن يفعل هذا ببساطة ، فالجميع مستعدون لدفع أى مبلغ ، مقابل الأسرار .. إنها أكثر تجارة ربحًا ، فى العالم أجمع يا رجل .

رمقها بنظرة أكثر حذرًا ، وهو يغمغم :

ـ هذا صحيح .

التقى حاجباها ، على نحو أثار شكوكه ، قبل أن تنبسط أساريرها مرة أخرى ، وتقول فى مرح :

ـ كنت أعلم هذا .

لم يتبادلا بعدها كلمة واحدة ، حتى بلغت المكتب ، فى قلب (روما) ، وصعدا صامتين .. إلى الطابق التاسع ، حيث استقبلهما (موشى إفرام) ، مدير مكتب (الموساد) فى (روما) ، وصافح (أكرم) فى حرارة زائفة ، وهو يقول :

ـ مرحبًا بك فى (روما) يا عزيزى (كارل) .. لقد بذلنا قصارى جهدنا لإنقاذك ، بعد أن كشف المصريون أمرك .

اتخذ (أكرم) مجلسه ، على مقعد يجاور النافذة ، وقال :

ـ جميل منكم أن فعلتم .

رفع (موشى) رأسه إلى (ساره) ، وألقى عليها سؤالًا باللغة العبرية ، التى يجهلها (أكرم) ، فأجابته باللغة نفسها ، وهى تشير إلى (أكرم) ، الذى شعر ببعض القلق ، وخاصة عندما ألقى عليه (موشى) نظرة غاضبة سريعة ، لم تلبث أن تلاشت من وجهه بسرعة ، لتحل محلها ابتسامة صفراء ، وهو يقول :

- عزيزتنا (ساره) أخبرتنى أنك تحتفظ بما تؤمن به ظهرك .. أهـذا صحيح يا عزيزى (كارل) ؟

أجابه (أكرم) فى حذر :

- إلى حد ما .

ابتسم (موشى) ابتسامة مخيفة ، وهو يجلس خلف مكتبـه ، ويصب لنفسه كأسا من الخمر ، وهو يقول :

- فى عالمنا لا معنى لمثل هذا الجواب يا عزيزى (كـارل) .. فنحـن لا نؤمن إلا بجوابين لا ثالث لهم .. (نعم) ، أو (لا) .. .

تردد (أكرم) لحظات ، ثم حاول الخروج عن الموضوع بغتة ، وهو يقول :

- إننى لم أحصل على مستحقاتى بعد .. لقد أعطونى ألف دولار فحسب ، و ..

قاطعه (موشى) فى صرامة :

- ستحصل على كل شىء فيما بعد .

وارتشف رشفة من كأسه ، قبل أن يميل إلى الأمام ، مستطردا :

- والآن .. ما جوابك ؟ (نعم) أم (لا) ؟

تردد (أكرم) لحظات أخرى ، ثم أجاب فى خفوت :

- نعم .

صاح به (موشى) فى صرامة :

- لم أسمع حرفا واحدا .

- ازدرد (أكرم) لعابه ، ثم قال فى صوت مرتفع متوتر :

- نعم .. نعم يا مستر (موشى) .. إننى أحتفظ بما يؤمّن ظهرى .

تراجع (موشى) فى مقعده ، واكتست ملامحه ببرود شديد ، وهو يتبادل نظرة مع (أكرم) ، قبل أن يقول :

- ألم تكن تثق بنا يا عزيزى (كارل) ؟

هزّ (أكرم) رأسه ، وقال :

- لا شأن لهذا بالثقة .. إنما أردت أن أجعل لحياتى قيمة أثمن من موتى .. هذا وحده يدفع الجميع للحفاظ عليها .

قال (موشى) فى عصبية :

- وما هذه القيمة ؟ .. أسرارنا ؟

هزّ (أكرم) رأسه نفيًا فى سرعة ، وهو يقول :

- مطلقًا .

ثم ازدرد لعابه مرة أخرى ، وتابع :

- إنها أمور أكثر أهميه ، وأثمن من أسراركم ، فالمصريون يعلمون عنكم بالفعل ، كل ما أعلم تقريبًا ، والقليل المتبقى لن يكفى للتفاوض معهم ، أو اقناعهم بإطلاق سراحى من أجله .

تبادل (موشى) نظرة أخرى مع (ساره) ، قبل أن يسأله :

- ماذا لديك إذن ؟

نقل (أكرم) نظره بينهما فى حذر ، ثم أجاب :

- مجموعة من شرائط التسجيل .

سألته (ساره) فى فضول :

- وما الذى تحويه هذه الشرائط ؟

حاول أن يزدرد لعابه للمرة الثالثة ، إلا أن حلقه الجاف جعل هذا أشبه بغصة مؤلمة ، قبل أن يقول فى صوت متحشرج :

- اتصالات .. اتصالات سرية .

بدا الاهتمام الشديد على وجه (ساره) ، وانعقد حاجبا (موشى) ، وهو يقول :

- وما طبيعة هذه الاتصالات ؟

أجابه (أكرم) :

ـ كل ما يهم القوتين العظميين .
ثم توقَّف لحظة ، وأضاف :
ـ كل اتصالات المصريين السرية ، الخاصة بالأمريكيين والسوفيت .. كلها .
وارتفع حاجبا (موشى) و (ساره) ، فقد كانت هذه المعلومات تساوى ثروة ..
ثروة تستحق القتال من أجلها ..
والقتل .



٤ ـ القادم ...

أسبل (أدهم صبرى) جفنيه داخل الطائرة ، التى تنطلق من (لندن) إلى (روما) ، وحاول أن يبعد عن ذهنه ذكريات مغامرته السابقة ، التى لم تجف قدماه منها بعد ..
ذكريات القتال مع (مارى الدموية) ، وسير (ويلكوكس) ، و (مايكل) ..
وذكرى (فدوى) ..
وفى حلقه ، شعر بغصة كبيرة ، جعلته يتنحنح ، ثم يشيح بوجهه إلى النافذة ، محاولًا إبعاد تلك الذكرى عن ذهنه . فسمع صوتًا إلى جواره ، يقول :
ـ أتشعر بالتوتر ؟
التفت إلى صاحبة الصوت ، وتطلّع إلى ملامحها الجميلة ، وشعرها الأشقر القصير ، وعينيها الزرقاوين ، ثم هزَّ رأسه نفيًا . وقال فى اقتضاب :
ـ بل بالضيق .
قالت فى حنان عجيب :
ـ حقًّا ؟! .. ولماذا هذا الضيق ؟
كان من الواضح أنها إيطالية ، وأنها تسعى لمد جسور الحوار معه ؛ لتمضية الوقت خلال الرحلة ، ولكنه لم يكن يرغب فى التحدث طويلًا ، لذا فقد أجاب بنفس الاقتضاب :
ـ مسألة شخصية .

بدا على وجهها الأسف ، وهى تغمغم :

ـ هكذا ؟!

اكتفى بهزة من رأسه ، ولكنها عادت تقول :

ـ أعلم أنك ستظننى سخيفة ومتطفلة ، ولكننى أراقبك منذ صعدنا إلى الطائرة ، ومن الواضح أنك تحمل فى أعماقك حزن الدنيا كلها ؛ فما سبب هذا ؟ ولماذا تمتلئ نفس شاب وسيم مثلك ، بكل هذا الحزن ؟

ضايقه تدخلها فى أمره ، فكرّر محاولًا منعها من الاستطراد :

ـ قلت لك : إنها مسألة شخصية .

ـ غمغمت فى حرج :

ـ معذرة .. لن أتدخل فى شئونك مرة أخرى .

لاذ كلاهما بالصمت طويلا ، حتى أعلنت مضيفة الطائرة الاستعداد للهبوط فى مطار (روما) ، وطلبت من الركّاب ربط أحزمة المقاعد ، والامتناع عن التدخين ، فعادت الشقراء الإيطالية تقول لـ (أدهم) :

ـ إنك تتحدث الإيطالية فى براعة ، ولكننى أشعر أنك لست إيطاليًا ، ولست أدرى لماذا ، ولكننى أرغب فى التقرب إليك أكثر .. هل يضايقك هذا ؟

لم يشأ إحراجها هذه المرة ، فقال :

ـ كنت أتمنى هذا يا سنيوريتا ، ولكننى أسافر إلى (روما) فى مهمة عمل ، ولن أجد لدى ما يكفى من الوقت لهذا ..

ـ بدت خيبة الأمل على وجهها ، وقالت :

ـ يا للخسارة !

ثم تنهّدت فى حسرة ، مستطردة :

ـ لست أدرى لماذا لا أحصل أبدًا على ما أريد !

ألقى عليها نظرة فاحصة سريعة ، ثم قال فى هدوء :

ـ عجبًا ! .. يبدو لى الأمر على العكس من هذا تمامًا ، فأنت تسافرين بالدرجة الأولى ، وترتدين ثيابًا فاخرة ، وحلى ومجوهرات ثمينة ، ثم إنك جميلة تمامًا .. ألا يكفيك كل هذا .

قالت فى مرارة :

ـ العصفور لا يشعر بالسعادة فى الأسر ، حتى ولو كان فى قفص من ذهب .

انعقد حاجباه ، وهو يقول :

ـ الأسر ؟!

أدهشه استخدامها لهذا المصطلح بالذات ، ولكنه لم يحاول سؤالها عما تعنيه ، بعد أن هبطت الطائرة بالفعل ، بل حل حزام مقعده ، وهو يقول :

ـ أهنئك بسلامة الوصول .

حلّت حزام مقعدها فى سرعة ، وهى تنهض قائلة :

ـ شكرًا لك .. إننى ..

قاطعها صوت أجش ، يقول فى غلظة :

ـ لقد وصلنا يا سنيوريتا (صوفى) .

ألقى (أدهم) نظرة على ذلك العملاق ، الضخم الجثة ، صاحب الصوت الأجش ، الذى رمقه بدوره بنظرة شرسة ، ولاحظ الضيق الذى ارتسم على وجه (صوفى) ، وهى تقول فى عصبية :

ـ أعلم هذا .

شعر (أدهم) برغبة عارمة فى أن يلكم هذا الضخم على أنفه ، ويفرغ فيه كل توتره وعصبيته ، دون أن يدرى سببًا لهذا ، ولكنه قال للإيطالية فى حزم :

ـ أيضايقك هذا الوغد ؟

بدا الغضب على وجه الضخم ، وقال فى شراسة :

ـ لا تتدخل فيما لا يعنيك يا صاح

رمقه (أدهم) بنظرة استخفاف ، فى حين قالت (صوفى) فى ضيق واضح :

ـ إنه يضايقنى بالفعل ، ولكننى لا أملك منعه من مراقبتى ، فى كل لحظة ، فهو حارسى الخاص .

ألقى (أدهم) نظرة أخرى على الضخم ، وقال :

ـ فهمت .

ثم صافحها فى سرعة ، مستطردًا :

ـ اسعدنى لقاؤك .

وغادر الطائرة فى سرعة ، قبل أن يسمع جوابها ، ولم يتبادل معها حرفًا واحدًا بعدها ، على الرغم من نظرات الاهتمام ، التى تطلّعت إليه بها ، وهما داخل حافلة المطار الخاصة ، التى قادتهما من الطائرة إلى مبنى الجمارك ، وهناك سأل ضابط الجمارك (أدهم) :

ـ أهى زيارتك الأولى إلى (روما) يا سنيور (صبرى) ؟

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وأجاب :

ـ لا .. ليست الزيارة الأولى .

ألقى الضابط نظرة تمتلئ بالشك ، على حقيبة اليد ، التى يحملها (أدهم) ، وسأله :

ـ أتحمل شيئًا ممنوعًا ؟

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال مبتسمًا :

ـ كلا .. إلا إذا كان جهاز التسجيل الصغير من الممنوعات .

لم يبادله الرجل ابتسامته ، وإنما قال :

ـ هل يمكننى رؤيته ؟

أجابه (أدهم) :

ـ بالتأكيد .

فتح حقيبته ، وأخرج جهاز التسجيل الأنيق ، وناوله للرجل ، الذى قلّبه بين يديه فى اهتمام ، ثم قال :

ـ إنه يبدو أثقل من اللازم يا سنيور (صبرى) .

كان (أدهم) يعلم أن الجهاز أثقل من اللازم بالتأكيد ، فقد كان يخفى مسدسه الخاص داخله ، ولكنه قال فى هدوء :

ـ ربما لأنه من طراز ممتاز .

رمقه الرجل بنظرة شك ، وقال :

ـ هذا ما سيثبته الفحص .

ثم قلب الجهاز ، وأخرج مفكًّا صغيرًا ، واستعد لفتح الغلاف الخلفى لجهاز التسجيل ..

وتأهب (أدهم) للقتال ..

وفجأة ارتفع صوت (صوفى) ، تقول فى لهجة آمرة :

ـ من العار أن تفعل هذا أيها الضابط . إنه ضيفى .

كان من الواضح أن الضابط يعرفها جيدًا ، وأنها واحدة من الشخصيات الهامة فى (إيطاليا) ، فقد ارتبك الضابط ، وأعاد إليه جهاز التسجيل فى سرعة ، قائلًا :

ـ معذرة يا سنيوريتا .. لم أكن أعلم هذا .

ثم أضاف فى سرعة ، وهو يبتسم فى وجه (أدهم) ابتسامة عريضة :

ـ تقبل أسفى يا سنيور (صبرى) .. ضيف السنيوريتا (صوفى) هو ضيف (إيطاليا) كلها .

استعاد (أدهم) جهاز التسجيل فى هدوء ، وأعاده إلى حقيبته ، قائلًا :

ـ لا عليك .

ثم التفت إلى (صوفى) ، التى استقبلته بابتسامة عذبة ، زادت وجهها سحرا وجمالا ، وقال :

ـ يبدو أنك شخصية شهيرة هنا يا سنيوريتا .

تهللت أساريرها ، وهى تقول :

ـ ألا تعرفنى حقًا ؟

قال وهو يبادلها ابتسامتها :

ـ أتمنى هذا .

ـ لم يكد ينطق عبارته ، حتى سطعت فى وجهه مصابيح آلات التصوير ، ورأى عشرات من مصورى الصحف ، ينتظرون عند حاجز المنطقة الجمركية ، ويلتقطون الصور لكل حركة تأتى بها (صوفى) ، التى تأبطت ذراعه قائلة :

ـ ابتسم .. إنهم يلتقطون صورنا .

تطلع إليها فى دهشة ، فأضافت :

ـ إننى شخصية شهيرة بالفعل أيها الوسيم ، فأنا الممثلة الأولى هنا .

هتف فى دهشة أكثر :

ـ ممثلة سينمائية .

ابتسمت فى سعادة ، وهى تقول :

ـ هيا .. ابتسم .

لم يكن من المنطقى أن يرفض ، حتى لا يثير هذا الرفض تساؤل واهتمام رجال الصحافة ، فتركها تتأبط ذراعه ، وهم يلتقطون لهما عشرات الصور ، دون أن يدرك أن هذه الصور بالذات ستسبب له مشكلة ..

مشكلة قاتلة ..

* * *

جاء الصباح التالى صحوًا منعشًا ، يبعث النشاط فى الأجساد ، واستيقظ (أكرم) فى الثامنة صباحا ، وتثاءب فى صمت ، قبل أن يفتح عينيه فى تراخ ..

وفجأة خفق قلبه فى عنف ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدق فى جسد (سارة) ، التى توليه ظهرها ، فى ثوب نوم قصير ، وقد انهمكت فى تفتيش ثيابه ..

حاول ألا يصدر أدنى صوت ، وهو يراقب بحثها الخبير فى طيات ثيابه ، ثم قال فى صوت يفيض بالتوتر والغضب :

ـ ماذا تفعلين ؟

التفتت إليه فى حركة حادة ، وبدا مزيج من المقت والكراهية فى عينيها لحظة ، ثم تلاشى فى سرعة ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة مدروسة ، وهى تقول :

ـ لقد أفزعتنى .. كنت أبحث عن بعض السجائر ..

رمقها بنظرة شك واضحة ، قبل أن يشير إلى منضدة قريبة ، قائلًا :

ـ السجائر هناك .

اتجهت إلى المنضدة فى بساطة ، والتقطت سيجارة ، أشعلتها بقداحتها ، ونفثت دخانها فى عمق ، ثم ألقت جسدها إلى جواره ، وقالت مبتسمة :

ـ هل استمتعت بنوم جيد ؟

أجاب ولم تفارقه شكوكه بعد :

ـ إلى حد ما .

وضعت يدها على كتفه ، وهى تقول :

ـ أتعلم أنك تثير إعجابى ؟

سألها فى حذر :

ـ لماذا ؟

نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، وقالت :

ـ لأنك رجل ذكى .. نجحت فى تأمين مستقبلك ، وحصلت على الشرائط ، التى تحوى كل أسرار العلاقات المصرية السوفيتية والأمريكية .

لم يعلق على عبارتها ، ولكنها أطلقت ضحكة عابثة ، وهى تقول :

ـ بالبراعتك !

ثم أدنت وجهها من وجهه ، حتى شعر بأنفاسها الحارة على شفتيه وأنفه ، وهى تسأله :

ـ كم ستطلب ثمنًا لهذا ؟

سألها فى حذر :

ـ ما رأيك أنت ؟

التقطت نفسًا عميقًا من سيجارتها ، ونفثت الدخان فى قوة ، ثم تألقت عيناها فى جشع ، وهى تقول متراجعة :

ـ عشرة ملايين على الأقل .

ردد :

ـ عشرة ملايين دولار ؟!

أجابته فى حماس :

ـ على الأقل .

ثم عادت تميل نحوه ، قائلة :

ـ ألا تدرك قيمة ما حصلت عليه ؟! .. إنك ستكشف حقيقة العلاقة بين المصريين والأمريكيين .. ألا يستحق هذا عشرة ملايين دولار ؟

سألها فى حذر :

ـ ألن يضايق هذا دولتك ؟

تلفتت حولها ، وكأنها تخشى أن يسمعها أحد ، ثم مالت على أذنيه ، قائلة :

ـ فلتذهب دولتى إلى الجحيم .. إننى أتحدث عن المال ..

تطلع إليها فى شك ، وهو يقول :

ـ حقًا ؟!

نفثت دخان سيجارتها فى عصبية ، وقالت :

ـ اسمعنى جيدًا يا (كارل) .. صحيح أننى إسرائيلية ، ولكننى أنتمى إلى الفئة المضطهدة فى (إسرائيل) .. فئة اليهود الشرقيين ، أو (السفرديم) ، ولست من اليهود الغربيين (الاشكنازيم) ، ولا يمكنك أن تتصور سوء المعاملة ، التى يلقاها (السفرديم) هناك(*) .

سأل فى خفوت :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟

التقطت نفسًا عميقًا من سيجارتها ، وقالت :

ـ يعنى أننى لن أكون أبدًا مخلصة لـ (إسرائيل) ، بأكثر من إخلاصى للمال والثراء ، وأننى مستعدة لفعل أى شىء ، مقابل خمسة ملايين دولار .

قال فى حدة :

ـ خمسة ملايين ؟! .. أتظنيننى مجنونًا ، لأمنحك كل هذا المبلغ ..

قالت فى عصبية :

ـ ولكنك تحتاج إلىّ فى شدة ، فالجميع سيحاولون الحصول على ما لديك ، حتى لو قطعوا أطرافك قطعة قطعة ، فى سبيل هذا .

انتفض لهول الفكرة ، فى حين تابعت هى :

ـ وأنا وحدى يمكننى إنقاذك من هذا .

سألها فى توتر مماثل :

ـ وكيف يمكنك هذا ؟

(*) حقيقة .

لوّحت بكفها ، هاتفة :

ـ أنسيت أننى المسئولة عنك ؟

قال فى حدة :

ـ هذا لا يكفى .

مالت عليه ، هامسة :

ـ لا تنس أنك ستحصل علىّ أيضًا .

أجابها فى سخرية ، وهو يبعدها عنه فى خشونة :

ـ يمكننى الحصول على من هن أكثر جمالاً منك ، بأقل من عشر المبلغ ، لعام كامل .

شعرت بالإهانة لعبارته ، فاعتدلت غاضبة ، وأطفأت سيجارتها فى عصبية ، وهى تقول :

ـ على الأقل أستطيع أن أرشدك إلى وسيلة الاختباء ، بعد أن تحصل على المبلغ ، حتى لا يمكنهم العثور عليك .

صمت لحظات ، بدت خلالها علامات التفكير على وجهه ، قبل أن يقول :

ـ إذن فأنت تريدين خمسة ملايين .

قالت فى حزم :

ـ هذا شرطى .

بدا التفكير على وجهه لحظات أخرى ، ثم قال :

ـ لا بأس .

تهللت أساريرها ، وهى تقول :

ـ إذن فأنت توافق .

أجابها على الفور :

ـ نعم .. أوافق على منحك خمسة ملايين دولار ، وليس على منحك نصف الصفقة .

التقى حاجباها ، وهى تسأله :

ـ هل تنوى طلب المزيد ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ بل أنوى أن ألعب اللعبة بوسيلة أخرى .

سألته فى اهتمام :

ـ كيف ؟

التقط صحيفة الصباح ، وهو يقول فى غموض :

ـ فيما بعد يا صغيرتى .. فيما بعد .. ستعلمين فى الوقت المناسب .

أغاظها أن حجب عنها فكرته ، ولكنها تظاهرت بعدم الاهتمام ، وإن أطفأت سيجارتها فى عصبية واضحة ، قبل أن تسمعه يهتف فجأة :

ـ اللعنة ! .. إنه هو .

التفتت إليه تسأله :

من هذا الذى تتحدث عنه ؟

أشار إلى صورة تتوسّط الصحيفة ، وهو يقول :

ـ هذا الذى يقف إلى جوار (صوفى لورانو) ، فى هذه الصورة .

تطلّعت إلى الصورة فى حيرة ، وسألته فى قلق :

ـ ماذا عنه ؟

أجابها فى عصبية بالغة :

ـ لست أعرف اسمه بالضبط ، ولكنه أحد رجال الإدارة .

وارتجف صوته ، وهو يضيف :

ـ إدارة المخابرات العامة المصرية .

وخفق قلب (سارة) فى عنف .

* * *

٥ ـ المعركة ...

« من المخابرات المصرية ؟! .. »

قالها (موشى) فى توتر ، وهو يطالع الصورة ، ثم ألقى الصحيفة جانبًا ، وهو يقول فى حدة :

ـ إذن فالمخابرات المصرية ترفض التنازل عن الرجل ، وتصرّ على استعادته .

قالت (سارة) فى توتر مماثل :

ـ إنهم يحاولون استعادة مالديه من أسرار ، عن علاقتهم بالأمريكيين والسوفيت .

هز رأسه فى قوة ، وقال :

ـ مستحيل ! .. المفروض أنهم يجهلون ما فعله ، ويجهلون أنه حصل على هذه الأسرار .

ثم مط شفتيه ، واستطرد :

ـ كلا .. إنه مبدأ من مبادئهم .. ألا يسمحوا للجواسيس بالفرار أبدًا ، وهم بهذا يثيرون ذعر كل من يتجسس عليهم أو يخونهم ، ويؤكدون له أنه لن يفلت بفعلته أبدًا ، حتى لو ذهب إلى آخر الدنيا .

قالت (سارة) :

ـ يبدو أنهم محقون فى هذا ، فـ (كارل) يرتجف فزعًا ، منذ رأى هذه الصورة ، وخوفه الشديد هذا لن يفيدنا ، بل سيمنعه من الإفضاء إلينا بما نريد من أسرار .

سألها فى صرامة :

ـ ألم تعلمى بعد أين يخفى الأشرطة ؟

هزت رأسها نفيًا ، وقالت :

ـ لن يخبرنى أبدًا ، وهو يشعر بكل هذا الفزع .

مط (موشى) شفتيه ، وألقى نظرة أخرى على الصورة ، ثم قال :

ـ لو أن رجل المخابرات المصرى هذا ، هو الذى يثير ذعره ، فالأمر ليس بكل هذه الصعوبة .

ورفع رأسه إليها ، وهو يطرقع سبابته وإبهامه ، مستطردًا :

ـ سنخلّصه منه .

والتقط سماعة الهاتف ، ليطلب رقمًا ما ، عندما ارتفع رنين جرس الباب فجأة ، فالتقى حاجبا (سارة) ، وهى تقول :

ـ هل تنتظر أحدًا ؟

أعاد السماعة إلى موضعها ، وهو يقول :

ـ مطلقًا .

استلت مسدسها ، واتجهت نحو الباب ، وقالت :

ـ من بالباب ؟

أتاها صوت هادئ ، يقول بالإيطالية :

ـ المفتش (ماريودانتى) .. من الشرطة الإيطالية .

فتحت الباب فى حذر ، وتطلعت إلى المفتش الإيطالى الأسمر ، ذى الشعر الأكرت الكثيف ، والشارب الكث ، والذى تطلع إليها بعينيه الخضراوين بلا مبالاة ، قبل أن يقول فى هدوء مثير ، وهو يلوك قطعة من اللبان بين أسنانه :

ـ أتسمحين لى بالدخول ؟

أعادت مسدسها إلى غمده ، خلف الباب ، وهى تقول له :

- هل لى أن أعلم أوّلاً سر زيارتك ؟
أجابها بهدوئه المدهش :
- تلقيت بلاغًا هامًا بشأنكم .
سألته فى توتر :
- أى بلاغ هذا ؟
أخرج من جيب معطفه ورقة متهالكة ، قرأ الكلمات المكتوبة عليها ، وهو يجيب :
- بلاغ من رجل مصرى ، يقول إنكم قد اختطفتم زميله (أكرم حسين) .
رفعت حاجبيها فى دهشة ، هاتفة :
- اختطفناه ؟!
دفع الباب فى هدوء ، لا يخلو من الحزم ، وهو يقول :
- أتسمحين لى الآن بالدخول ؟
أفسحت الطريق أمامه ، والتفتت إلى (موشى) ، وهى تقول :
- لن تصدّق هذا .. إنه مفتش شرطة ، يقول إننا اختطفنا مصريًا ، يُدعى (أكرم حسين) .
فتح (موشى) شفتيه ، لينطق بشىء ما ، ولكن المفتش قال فى سخرية :
- كيف عرفت أنه مصرى ؟ .. إننى لم أشر إلى هذا .
ارتبكت عندما أدركت خطأها ، وقالت :
- (روما) تكتظ بالمصريين ..
أليس كذلك ؟
رمقها بنظرة ساخرة ، وهو يقول :
- حقًا ؟!
توترت أكثر ، لولا أن قال (موشى) فى حزم :
- إننا لم ندّع جهلنا بالسيّد (أكرم) أيها المفتش ، ولكننا انكرنا اختطافنا له .. لقد جاء إلينا بمحض إرادته .

تطلّع إليه المفتش لحظة فى صمت ، ثم قال :
- فى هذه الحالة يمكنه أن يخبرنى هذا بنفسه .. أليس كذلك ؟
قال (موشى) :
- بالتأكيد .. سأطلب منه الحضور على الفور .
هم بالتحرّك نحو باب خلفى ، يفصل تلك الشقة عن الشقة الأخرى التى يختفى فيها (أكرم) ، ولكن (سارة) استوقفته قائلة :
- لحظة يا (موشى) .
ثم التفتت إلى المفتش ، قائلة فى حزم :
- هل يمكننى رؤية هويتك أوّلاً ؟
رفع المفتش حاجبيه ، وقال :
- هويتى .. هل تشكين فى أمرى يا سيّدتى ؟
أجابته فى حزم :
- نعم .
تفجّرت الدهشة فى ملامحه ، فى حين سألها (موشى) بالعبرية :
- لماذا تفعلين هذا ؟ .. ليس من الجيّد أن نثير غضبه :
أجابته باللغة نفسها :
- تذكّر أن (كارل) يقول : إن رجل المخابرات المصرى هذا يجيد التنكّر .
ألقى (موشى) نظرة دهشة على المفتش ، وهو يقول :
- ولكنه لا يشبه رجل المخابرات المصرى قط .
قال المفتش فى عصبية :
- تحدّثا بلغة يمكننى فهمها .
أجابته (سارة) بالإيطالية فى صرامة :
- لا بأس .. هاهى ذى .

وقبل أن يدرك ما تعنيه ، كان مسدسها قد ارتفع فى وجهه ، وهى تستطرد :

- يا رجل المخابرات المصرى .

تراجع المفتش فى حركة سريعة ، ثم انقضّ عليها بغتة ، وركل المسدس من يدها ، فقفزت نحو (موشى) ، وهتفت :

- إنه هو .

ثم حاولت أن تركل وجهه ، بواحدة من ضربات الكاراتيه ، ولكنه تفادى الضربة ، ومال جانبًا فى خفة ، ثم لكمها فى وجهها ، هاتفًا :

- لا يا صغيرتى .. لست بالمرونة اللازمة ، لمحاربة رجل مثلى .

سقطت (سارة) أرضًا ، وأطلقت صيحة ألم ، فاستل (موشى) مسدسه ، وصوّبه إلى المفتش ، هاتفًا :

- سأطلق النار ، لو خطوت خطوة واحدة .

توقّف المفتش ، ورفع ذراعيه فوق رأسه ، وهو يقول فى غضب :

- انكما ترتكبان أكبر خطأ ، فى حياتكما كلها .

ولكن (سارة) قفزت واقفة ، وانقضت عليه فى شراسة ، وجذبت شاربه فى حدة ، هاتفة :

- سنرى الآن من منا ارتكب أكبر خطأ فى حياته .

ولكن المفتش صرخ فى ألم :

- ماذا تفعلين أيتها اللعينة ؟

تراجعت كالمصعوقة ، وهى تحدق فى وجهه ، فى حين خفض (موشى) مسدسه ، وهو يرتد فى ارتياع :

- إنه .. إنه ليس هو .. أين الآخر إذن ؟ .. أين ؟

نعم .. كان هذا هو السؤال ..

أين (أدهم صبرى) إذن ؟ ..

أين ؟ ..

★ ★ ★

لم يعد (أكرم) يشعر بالارتياح ، بعد أن رأى (سارة) ، وهى تفتش ثيابه ، فراح يدور فى حجرته متوترًا ، وهو يعيد دراسة الأمر من كل جوانبه ..

من الواضح أن الإسرائيليين لا يكنون له الود والصداقة ، كما يتظاهرون .

إنهم يحتفظون به لهدف آخر ..

لمعرفة ما يخفيه ..

هذا يعنى أنهم لن يحتفظوا به طويلًا ، بعد أن يحصلوا على ما يبتغون ..

إنهم سيتخلصون منه بعدها حتمًا ..

لم يعد لديه شك فى هذا! ..

لابد أن ينفذ خطته إذن ..

وبأقصى سرعة ..

لن يخدعه تودد (سارة) إليه ..

إنها تسعى لمصلحة دولتها ، حتى وإن ادعت العكس ..

لمح بطرف عينه ذلك الرجل ، الذى تدلى من أعلى البناية ، وتوقّف أمام نافذة حجرته ، فالتفت إليه مذعورًا ، ثم لم يلبث أن تنفس الصعداء ، عندما تبيّن أنه أحد عمال النظافة ، الذين يمارسون عملهم بالوسائل الخطيرة العسيرة ..

إنهم يتعلقون بأحبال طويلة ، من أسطح البنايات ، ويتدلون بها إلى



تراجع (اكرم) كالمصعوق ، وحاول أن يعدو هاربا ، ولكن العامل الذى لم يكن سوى (ادهم) ، قفز خلفه فى مرونة ، ولحق به فى خطوة واسعة سريعة ..

الطوابق السفلى ؛ لغسل نوافذها وجدرانها من الخارج ..

وفى حدة ، لوّح (أكرم) بيده للرجل ، هاتفًا :

- هيا .. ابتعد .. لسنا نرغب فى تنظيف النوافذ اليوم ..

تطلّع إليه الرجل فى بلاهة ، وهو يواصل عمله ، فاندفع (أكرم) إلى النافذة ، وفتحها هاتفًا :

- ألأنت أصم ؟ .. قلت لك إننا لا نرغب فى ..

بتر عبارته فى ذعر ، عندما وقع بصره على تلك الابتسامة الساخرة ، التى ارتسمت على شفتى عامل النظافة ، وانتفض جسده كله فى هلع ، عندما سمعه يقول بلهجة مصرية :

- فليكن .. لن ننظف النوافذ اليوم ..

تراجع (أكرم) كالمصعوق ، وحاول أن يعدو هاربا ، ولكن العامل الذى لم يكن سوى (أدهم) ، قفز خلفه فى مرونة ، ولحق به فى خطوة واسعة سريعة ، وجذبه من ياقته ، قائلا :

- مهلًا .. إننا لن نطالبك بأجر أيضًا .

ألصق فوهة مسدسه بصدغ (أكرم) ، الذى ارتجف فى رعب هائل ، وهو يقول :

- الرحمة .. الرحمة .

قال (أدهم) فى صرامة :

- أتطلب الرحمة الآن ؟ .. كيف يمكن لخائن أن يفعل ، بمثل هذه الصفاقة ؟

انهمرت الدموع من عينى (أكرم) ، وهو يقول :

- أرجوك .

تجاهله (أدهم) تماما ، وهو يجذبه إلى النافذة ، ويحيط وسطه بالحبل الغليظ ، الذى تدلى به من سطح البناية ، فهتف (أكرم) فى ارتياع :

- ماذا تفعل ؟
أجابه (أدهم) فى برود :
- سنغادر المكان ، ونبدأ رحلة العودة .
قال (أكرم) فى ارتياع :
- العودة إلى أين ؟
أجابه (أدهم) ، وهو يعقد الحبل فى قوة :
- إلى حيث تلقى جزاءك العادل .. إلى (القاهرة) .
أطلق (أكرم) شهقة رعب ، وصاح :
- لا .. لن أعود إلى هناك .. لن أعود أبدًا .
دفعه (أدهم) أمامه ، قائلًا :
- يؤسفنى أننا لن نهتم كثيرًا بوجهة نظرك ، ولن ..
قبل أن يتمّ عبارته ، اقتحمت (سارة) الحجرة فى عنف ، وصاحت :
- كما توقّعت تمامًا .
كانت تصوّب مسدسها إلى (أدهم) فى صرامة ، وهتف (أكرم) :
- اقتليه يا (سارة) .. اقتليه بلا تردّد .
ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :
- يالك من وطنى مخلص !
أما (سارة) ، فصاحت فى حدة :
- اصمت يا (كارل) .. لا تتدخّل فى الأمر .
لحق بها (موشى) ، فى هذه اللحظة ، وهتف فى دهشة :
- أنت ؟! .. كيف وصلت إلى هنا ؟
قال (أدهم) فى سخرية :

- يبدو أننى ضللت الطريق ، فقد كنت أنتظر سيارة من سيارات الأجرة ، عندما وجدت نفسى هنا ، و ..
قاطعه (أكرم) ، وهو يصرخ :
- اقتليه يا (سارة) .. اقتليه قبل فوات الأوان .
هتف المفتش الإيطالى فى توتر ، بعد أن بلغ المكان بدوره :
- ألا يخبرنى أحدكم ماذا يحدث هنا ؟
أجابه (أدهم) فى هدوء مثير ، يحمل الكثير من السخرية :
- سأخبرك أنا أيها المفتش .. هذان الشخصان اختطفا هذا الرجل ، ويحاولان معرفة ما يخفيه من أسرار ، ولكننى أحاول منعهما من هذا ، ولذلك السبب اتصلت بك ، واقنعتك بالحضور إليهما ، لتشتيت انتباههما ، فى نفس الوقت الذى أقتحم فيه أنا المكان من الخلف ، وأستعيد الرجل ، قبل أن يحصلا على مالديه ، ولما كنت قد فشلت فى هذا كما ترى ، فليس أمامى سوى التخلّص من الرجل .. هكذا ..
قالها ودفع (أكرم) فى قوة نحو النافذة ، فأطلق (أكرم) صرخة رعب هائلة ، قبل أن يرتطم بحاجز النافذة ، ويهوى منها ..
وصرخت (سارة) فى جزع :
- (كارل) .
شتت هذا انتباهها لجزء من الثانية ، استغلها (أدهم) خير استغلال ، فاندفع نحوها فى انقضاضة مباغتة ، وركل مسدسها من يدها ، وهو يقول فى سخرية :
- يبدو أنهم لم يحسنوا تدريبك فى (الموساد) .
ثم قفز يتلقط المسدس فى الهواء ، مستطردًا :
- كما يفعلون مع الجميع .
هبط على قدميه ، وهو يصوّب المسدس إلى الجميع ، فتراجع

(موشى) ، هاتفا فى ذعر :

- يا للشيطان !

وصاح المفتش (ماريو) :

- ما الذى يحدث هنا بحق السماء ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية :

- لا تجعل ما يحدث يقلقك أيها المفتش .. إنه مجرد خلاف بسيط فى الرأى .

صاحت (سارة) ، وهى تتراجع غاضبة :

- نعم .. خلاف قاتل .

وضغطت زرا خفيًا فى الحائط ، فانزاح الجدار المقابل لها ، كاشفا خمسة من الرجال الأشداء ، يصوبون مدافعهم الآلية إلى (أدهم) ، وهى تستطرد فى شماتة :

- بالنسبة إليك فقط .

اتسعت حدقتا المفتش (ماريو) فى ذهول ، أمام ما يحدث ، فى حين تطلع (أدهم) إلى الرجال الخمسة فى استهتار ، وقال :

- ما هذا بالضبط ؟ .. عينة من عصابة الأربعين تخرج من مغارة (على بابا)(★) ؟

قالت (سارة) فى شماتة :

- بل عينة تثبت أنك خسرت اللعبة كلها أيها المصرى .

هتف المفتش (ماريو) فجأة فى حدة :

(★) (على بابا والأربعون لصا) - قصة من الأدب الشعبى القديم ، وهى عبارة عن قصة حطاب فقير ، رأى مجموعة من اللصوص يفتحون مغارة ، بواسطة كلمة سر غامضة ، وهى (افتح يا سمسم) ، مما يدخله فى مغامرة مثيرة داخل وخارج المغارة .

- كفى .. لن أسمح باستمرار هذه المهزلة .. إننى ألقى القبض عليكم جميعًا ، و ..

قاطعته (سارة) ، صارخة فى أحد رجالها :

- (إيزاك) .

لم تكد تُطلق صرختها ، حتى استدار (إيزاك) إلى المفتش (ماريو) ، فى حركة سريعة ، ليطلق عليه النار ..

واشتعل القتال فجأة ..

لقد تحرك (أدهم) بالسرعة نفسها ، وأطلق رصاصة من مسدسه على يد (إيزاك) ، قبل أن يضغط زناد مدفعه الآلى ..

وأطلق (إيزاك) صرخة ألم ، وهو يفلت مدفعه الآلى ، فى نفس اللحظة التى استدار فيها الأربعة الآخرون بمدافعهم الآلية نحو (أدهم) ..

وأطلقوا النار ..

وبدا الأمر بالنسبة لـ (أدهم) ، أشبه بالقتال فى ساحة المعركة ، أيام عمله فى القوات الخاصة ، قبل وأثناء حرب أكتوبر ، فانحنى فى مرونة ، وأطلق رصاصات مسدسه فى مهارة وإحكام ، وسقط مدفع آلى ، وتبعه آخر ، فى حين تطايرت الرصاصات فوق رأس (أدهم) ، وصرخت (سارة) :

- اقتلوه .. اقتلوه بلا رحمة .

تراجع المفتش (ماريو) ، أمام تلك الحرب الجنونية ، وركض (موشى) مغادرًا المكان ، فى حين انضم سبعة رجال آخرون إلى القتال ، وبدا من الواضح أن (أدهم) لن يربح المعركة أبدًا ..

وفجأة أقدم (أدهم) على آخر شىء يتوقعه الجميع ..

لقد استدار فى سرعة ، وقفز ..

قفز من النافذة ..

ومن الطابق التاسع .

★ ★ ★

٦ ـ وبدأت الحروب ...

ارتسمت ابتسامة كبيرة ، على وجه (قدرى) ، وهو يلتقط شطيرة جبن ، ويناولها إلى (منى) ، قائلا :

ـ أراهن أنك تشعرين الآن بالجوع .

ابتسمت فى استرخاء ، وهى تقول :

ـ تخسر الرهان إذن .

قضم قطعة من الشطيرة ، وهو يقول :

ـ لا بأس .. هذا سيمنحنى الحق فى تناول شطيرتك .

ثم سألها فى اهتمام :

ـ ألا يشتعل فضولك الأنثوى ؛ لمعرفة كيفية نجاة (أدهم) ، بعد أن ألقى بنفسه من الطابق التاسع ؟

هزّت رأسها نفيًا ، وهى تقول فى هدوء :

ـ مطلقًا .

توقف عن التهام شطيرته ، هاتفًا فى دهشة :

ـ حقًا ؟! .. أية أنثى أنت ؟

ضحكت قائلة :

ـ أنثى عادية للغاية يا عزيزى (قدرى) ، وأمتلك قدرًا لا بأس به من الفضول ، ولكننى فى هذه المرة أعرف جيدًا ، كيف نجا (أدهم) .

كرّر فى حماس :

ـ حقًا ؟!

ثم مال نحوها ، يسألها فى اهتمام :

ـ كيف نجا إذن ؟

اعتدلت فى مجلسها ، وقالت :

ـ إننى أعلم أن (أدهم) قد ألقى (أكرم) من النافذة ، مطمئنًا إلى أن الحبل الغليظ ، الذى تدلى به هو من سطح المبنى ، يلتف حول وسط (أكرم) ، ويمنعه من السقوط من هذا الارتفاع ، وعندما قفز من النافذة ، تعلّق بالحبل نفسه ، واستخدمه للصعود إلى أعلى .

ابتسم (قدرى) ، وقال :

ـ يا للعبقرية !

أسعدها تعليقه ، فقالت فى زهو :

أرأيت أن الأمر أبسط مما تتصوّر ؟

هزّ رأسه ، وهو يعود إلى التهام شطيرة الجبن ، قائلًا :

ـ ربما ليس بالبساطة ، التى تتصوّرينها أنت ، يا عزيزتى (منى) .

تلاشى زهوها مع ثقتها ، وهى تعقد حاجبيها فى قلق ، قائلة :

ـ ماذا تقصد ؟! .. أليس هذا ما حدث بالضبط ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وانتظر حتى ابتلع تلك القضمة الكبيرة ، ثم قال :

ـ لو أن هذا ما حدث بالضبط ، فسيكون من السهل أن يطلق رجال (الموساد) نيران مدافعهم الآلية على (أدهم) ، وهو يتسلّق الحبل إلى السطح ، كما أنه بهذا يكون قد تخلّى عن (أكرم) ، وتركه لديهم لقمة سائغة .

شعرت وكأنها تلقت صفعة مباغتة ، فحدّقت فى وجهه لحظة فى دهشة ، قبل أن تقول فى عصبية :

ـ إنه لم يسقط من الطابق التاسع حتمًا .. أليس كذلك ؟

هتف :

ـ بالتأكيد ..

ثم ابتسم فى خبث ، مستطردًا :

ـ ولكنه لم يصعد إلى أعلى أيضًا ..

قالت فى حدة :

ـ كيف نجا إذن ؟ .. أخبرنى بالله عليك ، وإلا ألقيت أنا نفسى من النافذة :

ـ قهقه ضاحكًا ، قبل أن يقول :

ـ هأنذا قد نجحت فى إشعال فضولك الأنثوى .. أليس كذلك ؟

هتفت محنقة :

ـ حسنًا .. أعترف أنك قد فعلت .. هيا .. ارو لى ما حدث ..

ابتسم قائلًا :

ـ اطمئنى يا عزيزتى (منى) .. سأروى لك كل شىء ..

وعاد يروى ..

* * *

تفجرت دهشة عارمة فى قلب (سارة) ، عندما رأت (أدهم) يقفز من النافذة ، وأطلقت شهقة قوية ، فى حين اتسعت عينا المفتش (ماريو) فى ذهول ، قبل أن يدور على عقبيه ، ويعدو مغادرًا المكان بأقصى سرعة ، دون أن يلتفت إليه أحد ، وسط حالة الدهشة والذهول ، التى سيطرت على المكان .

أما (أدهم) نفسه ، فقد ترك جسده يهوى لمترين ، قبل أن يتعلّق بالحبل الغليظ ، ويمسك فى قوة جسد (أكرم) ، الذى صرخ ، وهو يتأرجح من هذا الارتفاع :

ـ ماذا ستفعل بى ؟

دفع (أدهم) جسده إلى الأمام فى قوة ، وهو يخرج من جيبه مدية حادة ،

فصرخ (أكرم) ، وقد تضاعف رعبه :

ـ ماذا ستفعل ؟

واتسعت عيناه فى هلع وارتياع ، عندما قطع (أدهم) الحبل بالمدية ، فى نفس اللحظة التى أطلّت فيها (سارة) من أعلى ، هاتفة :

ـ يا للشيطان !

صوّبت مسدسها إلى (أدهم) ، وهو يقطع الحبل الغليظ فى سرعة ، وجسده يندفع مع جسد (أكرم) نحو نافذة الطابق الثامن ..

واخترقاها ..

وفى صوت مكتوم ، سقط الاثنان داخل حجرة فى الطابق الثامن ، وتناثرت حولهما قطع الزجاج ، وراح (أكرم) يصرخ :

ـ لقد أصابتنى قطع الزجاج .. إننى أنزف ..

هبّ (أكرم) واقفًا على قدميه ، وأجبره على الوقوف بجذبة قوية ، وهو يقول فى غلظة :

ـ إنه مجرّد جرح سطحى أيها الوغد ..

ودفعه أمامه ، وهو يعدو به خارجًا ، وسط صراخ صاحبة المنزل ، التى أصابها الذعر من الموقف ، فهتف بها (أدهم) :

ـ تقبّلى أسفى يا سيّدتى .. إنه مجرّد فيلم سينمائى ..

هتفت ذاهلة :

ـ فيلم سينمائى ؟!

تجاوزها مسرعًا ، وغادر مع (أكرم) الشقة ، فى نفس اللحظة التى ظهرت فيها (سارة) ، وهى تهبط فى درجات السلم قفزًا ، وصرخت :

ـ قف ..

ولكن (أدهم) دفع (أكرم) نحو المصعد ، وهو يطلق عليها رصاصتين من مسدسه ، فتراجعت فى سرعة ، وراحت تطلق النار عشوائيًا ، حتى وصل

رجالها ، فى نفس الوقت الذى انفتح فيه باب المصعد ، وأطلقوا نيـران مدافعهم الآلية فى سخاء ، إلا أن (أدهم) دفع أسيره إلى داخل المصعد ، وقفز خلفه ، ثم ضغط زر الهبوط ، و (أكرم) يرتجف فى شدة ، ويهتف به :

ـ اتركنى .. اتركنى يا رجل ..

أجابه (أدهم) فى صرامة ، وهو يضغط ذراعه فى قسوة :

ـ سأعود بك إلى (القاهرة) بإذن الله ، مهما كان الثمن .

هتف به (أكرم) فى ضراعة :

ـ اتركنى أرجوك ، وسأمنحك مليونى دولار .. بل ثلاثة .. ثلاثة ملايين .

قال (أدهم) فى صرامة :

ـ اصمت .

ولكن (أكرم) تابع منهارًا :

ـ اجعلها أربعة .. خمسة .. خذ حتى عشرة ملايين .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يقول :

ـ عجبًا !! .. لم أكن أتصوَّر أن الخيانة مربحة ، إلى هذا الحد .

لوَّح (أكرم) بكفه ، هاتفًا :

ـ إننى أمتلك شرائط تسجيل بالغة الأهمية .. تحوى العديد مـن أسرار علاقة (مصر) بالقوتين العظميين .. ويمكننى أن أحصل على عشرين مليونًا من الدولارات ، مقابل هذا .. سأمنحك نصف المبلغ ، لو تركتنـى أرحل .

كانت مفاجأة مدهشة لـ (أدهم) ، الذى التقى حاجباه فى شدة ، وهـو يتطلَّع إلى الرجل فى صمت ..

من المؤكَّد أن الرؤساء لا يدركون هذا ، ولا يعلمونه ..

إنه أخطر مما يتوقعون ..

أخطر بكثير ..

ولكنه لم يجد الوقت الكافى ، للتفكير فى هذا ؛ فقد بلغ المصعد الطابق الأرضى ، وانفتحت أبوابه ، و ..

وفجأة ظهر رجال (الموساد) أمام المصعد ، ومدافعهم الآلية مشهرة ، فى وجه (أدهم) و (أكرم) ..

وصرخت (سارة) :

ـ لا تقتلوا (كارل) .. اقتلوا الآخر فقط .

وكان هذا أكبر خطأ وقعت فيه ..

لم يكد (أدهم) يسمع عبارتها ، التى نطقتها بالعبرية ، حتى جـذب (أكرم) فى عنف ، واتخذ من جسده درعًا ، وهو يطلق رصاصات مسدسه على رجال (الموساد) ، فى نفس الوقت الذى ضغط فيه زر الطابق العلوى بمرفقه ..

وتراجع رجال (الموساد) فى حنق ، ورصاصات (أدهم) تنتـزع مدافعهم الآلية ، دون أن يمكنهم إجابة رصاصاته بمثلها ، مع الأمر الذى أصدرته (سارة) ، فى حين عادت أبواب المصعد تلتقى ، إيذانًا بالصعود ..

وأدركت (سارة) خطأها ، وأورثها هذا المزيد من الغضب والحنق ، فهتفت فى سخط :

ـ يبدو أن خصمنا شديد العناد ..

أجابها أحد رجالها :

ـ ولكنه لن يجد مخرجًا ، فنحن نغلق المخرج الوحيد للبناية .

راقبت (سارة) أضواء اللوحة الرقمية للمصعد ، وهى تغمغم :

ـ هل تظن هذا ؟

ثم أشارت إلى رجالها ، مستطردة فى حزم :

ـ انتظروا حتى يبلغ المصعد الطابق الأخير ، ثم حطموا أبوابه ، وأجهزة

الحركة فيه ، حتى لا يستخدمه خصمنا مرة أخرى ، وبهذا فقط نكون قد حاصرناه هنا .

قالتها واتجهت إلى مخرج البناية فى خطوات سريعة ، فسألها أحد الرجال :

ـ إلى أين ؟

التفتت إليه ، قائلة :

ـ يمكنك اعتبارى خط القتال الثانى .

ثم ارتسمت على شفتيها ابتسامة غامضة ، وهى تستطرد :

ـ أو الخطة الاحتياطية .

وغادرت المبنى فى هدوء ..

* * *

ارتجف (أكرم) فى شدة ، عندما بلغ سطح البناية مع (أدهم) ، وارتجفت الكلمات على شفتيه ، وهو يقول :

ـ لن تجد مخرجًا واحدًا من هنا .. إنهم يسيطرون على المكان .

قال (أدهم) فى صرامة :

ـ اصمت .

ودفعه حتى حاجز السطح ، فصاح مذعورًا :

ـ ماذا ستفعل بى ؟

تجاهله (أدهم) تمامًا ، وهو يلقى نظرة على سطح مبنى آخر ، يبعد عن ذلك المبنى عشرة أمتار تقريبًا ، فقال (أكرم) فى عصبية :

ـ لن يمكنك القفز ، عبر هذه المسافة .. أليس كذلك ؟

تجاهله (أدهم) ، فى هذه المرة أيضًا ، وجذبه فى خشونة إلى الناحية الأخرى ، حيث ربط الحبل الغليظ ، الذى تدلى به إليه ، فى المرة الأولى ، فحل

رباطه ، وعاد به إلى الجهة المواجهة لسطح المبنى المقابل ، وانتزع هوائى معدنى قديم ، وربط الحبل فى منتصفه تمامًا ، ثم لوّح به فى قوة ، فسأله (أكرم) فى قلق :

ـ ماذا تنوى أن تفعل بالضبط ؟

وبدلًا من أن يجيبه (أدهم) ، ألقى الهوائى فى قوة ، نحو سطح المبنى المجاور ، فشق الهوائى طريقه فى قوة ، ثم هبط بين قائمين معدنيين هناك ، وهنا جذب (أدهم) الحبل ، فتعلق الهوائى بين القائمين ، وأصبح الحبل مشدودًا كوتر ضخم ، بعد أن ثبت (أدهم) طرفه الآخر ، فى قائم معدنى ثان ، فوق السطح الذى يقف فوقه ..

وكرر (أكرم) فى ذعر :

ـ ماذا تنوى أن تفعل ؟

فوجئ بـ (أدهم) يحمله بحركة مباغتة ، ثم يقفز من السطح ..

وأطلق (أكرم) صرخة رعب ، عندما استقرت قدما (أدهم) فوق الحبل الغليظ ، وتراقص جسده لحظة ، قبل أن يعتدل ..

وفى رعب ، هتف (أكرم) :

ـ هل تظن نفسك أحد لاعبى السيرك ؟

قال (أدهم) فى سخرية ، وهو يسير بحمله فوق الحبل الغليظ ، كما لو كان بالفعل واحدًا من لاعبى السيرك :

ـ لو صح هذا فأنا أفضل العمل كمدرب وحوش .

لم ينبس (أكرم) ببنت شفة ، وهو يحدق فى الطريق ، الذى يبدو كشريط ضيق صغير ، من هذا الارتفاع الشاهق ، فى حين واصل (أدهم) سيره البطىء ، فوق الحبل ، متقدمًا نحو السطح الآخر ..

وفجأة ظهر رجال (الموساد) ، وصوبوا أسلحتهم إلى (أدهم) ، وهتف أحدهم فى غلظة :

- استسلم يا رجل .. استسلم أو نطلق النار .

لم يبال (أدهم) بهتافه ، إذ كان يدرك أن الرجل لن يخالف أوامر (سارة) ، وأنه لو أطلق النار عليه ، فسيعنى هذا حتمًا مصرع (أكرم) ، عند سقوطه من هذا الارتفاع الشاهق ..

وهو يدرك جيدًا أن رجال (الموساد) لا يبالون بمصرع (أكرم) ، ولكنهم يخشون ضياع ما لديه من معلومات بمقتله ، فواصل طريقه نحو سطح المبنى الآخر فى ثبات ، و (أكرم) يلوّح بذراعيه ، صارخًا فى رعب :

- لا تقتلوه الآن .. لا تفعلوا ..

ولكن الغيظ تفجرّ فى نفس أحد رجال (الموساد) ، مع لا مبالاة (أدهم) الشديدة بتهديدهم له ، فصاح فى حدة :

- فلتذهب أوامر (سارة) إلى الجحيم .. سأقتل هذا الرجل ..

وأطلق نيران مدفعه نحو (أدهم) ..



٧ ـ السقوط ...

هبّ مدير الشرطة الإيطالية من مقعده ، وكادت أصابعه تعتصر سماعة الهاتف ، وهو يصرخ :

- صراع مخابرات هنا ؟! .. أأنت واثق يا (ماريو) ؟

أجابه (ماريو) فى انفعال شديد ، عبر أسلاك الهاتف :

- كل الثقة يا سيدى .. إنه صراع مخابرات عنيف أيضًا ، وهو يدور بين المخابرات الاسرائيلية والمصرية .

هتف المدير :

- يالرب السموات !! .. ألم ينته الصراع المصرى الإسرائيلى بعد ؟

أجاب (ماريو) :

- من الواضح أنه لم يحدث ، فهم يتبادلون إطلاق النيران هنا ..

صرخ المدير :

- هنا ؟! .. أين تقصد بهنا هذه .. أهم يتبادلون إطلاق النيران ، فى وسط المدينة ؟!

قال (ماريو) :

- هذا ما أقصده بالضبط يا سيدى ..

كاد الذهول يقتل المدير ، وهو يهتف :

- تبادل إطلاق نيران ؟! .. هنا ؟! .. فى المدينة ؟! .. هل نقل المصريون والاسرائيليون جيوشهما إلى (روما) .

تنحنح (ماريو) ، وقال :

- ربما نقل الإسرائيليون جيشهم إلى هنا بالفعل يا سيدى ، فلقد رأيت عشرات منهم ، يحملون المدافع الآلية ، أما المصريون ، فقد أرسلوا رجلا واحدًا .

هتف المدير فى دهشة بالغة :

- رجل واحد ؟! .. وكيف أصبح رجلهم هذا ؟ .. هل حوّله الإسرائيليون إلى لحم مفرى أم إلى قطع من (الهامبورجر) ؟

زفر (ماريو) فى قوة ، وهو يقول :

- أخشى أنه هو الذى يحوّلهم إلى عصائر دموية ، غير صالحة للشرب يا سيدى ..

قفز الذهول مرة أخرى ، من عينى المدير ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه على ذهوله ، وهو يقول فى صرامة :

- فليكن يا (ماريو) .. إننا لن نسمح بتجاوز القانون فى قلب عاصمتنا .. سأرسل إليك جيشًا من رجالنا ، ولنشترك فى معركة المصريين والإسرائيليين ، قبل أن يحتلا (روما) .. أليس كذلك ؟! ..

* * *

من سوء حظ خصوم (أدهم صبرى) ، أنه دائمًا الأسبق فى التفكير ..

وفى التنفيذ ..

لقد سمع صرخة رجل (الموساد) ، وأدرك أنه فقد أعصابه ، وسيتجاوز أوامر (سارة) ، فانحنى فى سرعة ، وسمع أزيز الرصاصات فوق رأسه ..

ولكنه فقد توازنه ..

كانت الحركة عنيفة أكثر من اللازم ، فاختلّ توازن (أدهم) ، وسقط من مكانه ، من ارتفاع خمسة عشر طابقًا ..

وأطلق (أكرم) صرخ انهيار يائسة ..

وتراجع أفراد (الموساد) ، وقد بدا لهم أن الرجل ، الذى

أمرتهم (سارة) بالحفاظ على حياته ، سيلقى مصرعه مع خصمهم ..

ولكن المشهد التالى كان مذهلًا ..

وكان مفاجأة للجميع ..

لقد هوى جسد (أدهم) كالصخرة ، ولكنه اكتسب فجأة مرونة مدهشة ، فترك جسد (أكرم) ، وأمسك الحبل بقبضتيه ، ثم أدار ساقيه حول (أكرم) ، ومنعه من السقوط بحركة بالغة الرشاقة والمرونة ، جعلت عيون خصومه تتسع فى ذهول ، وقلب (أكرم) يخفق فى عنف ..

وفى خفة وقوة ، لا مثيل لهما ، دفع (أدهم) جسده إلى الأمام ، متعلقًا بالحبل ، ومحيطًا جسد (أكرم) بساقيه ..

ولكن رجال (الموساد) نفضوا ذهولهم فى سرعة ، وهتف أحدهم :

- أى شيطان هذا ؟

رفع الرجل ، الذى أطلق النار من قبل على (أدهم) ، مدفعه الآلى ، وهو يصرخ فى عصبية :

- سأرسله إلى حيث يلتقى بشياطين حقيقية .

سمعه (أدهم) هذه المرة أيضًا ، فأفلت يده اليمنى ، واستلّ بها مسدسه فى سرعة ، ثم أطلق النار على المدفع الآلى ، الذى يحمله الرجل ، فأطاح به فى مهارة مدهشة ، وهو يمسك الحبل بيسراه فقط ، ويحمل جسد (أكرم) بساعديه ..

وتراجع رجال (الموساد) ، مع الرصاصات التى يُطلقها (أدهم) ، والتى تصيب كلها هدفها فى إحكام ، وصرخ (أكرم) :

- توقف عن إطلاق النار ، وتشبّث بكلتا يديك ، وإلا فسنسقط حطامًا يا رجل .

شعر (أدهم) أن (أكرم) يعيق حركته ، بتوتره الزائد وعصبيته المستمرة ، فهتف به فى صرامة :



وأفلت جسد (أكرم) ، الذى أطلق صرخة رعب هائلة ، لم تلبث أن امتزجت بشهقة ذهول ، عندما أدرك أن جسده لا يهوى إلى أسفل .

ـ استعد إذن لرحلة الرحيل يا رجل .

قالها وتشبّث بالحبل بقبضتيه ، ثم تأرجح فى قوة ، قبل أن يهتف :

ـ إلى اللقاء أيها الوغد .

وأفلت جسد (أكرم) ، الذى أطلق صرخة رعب هائلة ، لم تلبث أن امتزجت بشهقة ذهول ، عندما أدرك أن جسده لا يهوى إلى أسفل ، وإنما يندفع نحو سطح المبنى المقابل ، ويتجاوز حاجزه ، ثم يسقط فوق سطحه فى عنف ..

كان هذا يحتاج إلى قوة شديدة ، وإلى ثقة مفرطة ..

و (أدهم) يتمتع بالصفتين ..

وهذا ما أصاب رجال (الموساد) بالذهول ، ومنعهم من إطلاق رصاصات مدافعهم نحوه ، حتى عاد يتشبّث بالحبل بقبضة واحدة ، ويطلق النار عليهم مرة أخرى .. وفجأة انطلقت من السطح الآخر رصاصة ، أطاحت بمسدسه ، فالتفت إلى مصدرها فى سرعة ، ووقع بصره على وجه (سارة) ، التى تبتسم فى سخرية ، وهى تصوِّب إليه مسدسها ، وإلى جوارها يقف (أكرم) ، وهو ينفض الغبار عن ثيابه ، هاتفًا فى سخط :

ـ كل عظامى تحطمت .. لقد ألقانى بمنتهى القسوة .

قال (أدهم) فى برود :

ـ كان ينبغى أن ألقيك إلى أسفل .

هزّت (سارة) رأسها ، وهى تقول :

ـ أنت من سيسقط إلى أسفل أيها الوسيم .

وصوّبت مسدسها إلى رأسه ، مستطردة :

ـ الوداع يا رجل المخابرات المصرى .. بلغ تحياتى إلى الرفاق فى الجحيم .

قال فى سخرية :

ـ تقصدين رفاقك حتمًا ، فرفاقى لا يذهبون عادة إلى هناك .

قالت فى استهتار :

ـ فليكن .. ستدرك الجواب الصحيح هناك .

وضغطت زناد مسدسها ، مستطردة فى صرامة :

ـ وبسرعة .

انطلقت الرصاصة من مسدسها ، نحو رأس (أدهم) تمامًا ..

ولكن (أدهم) كله لم يكن هناك ..

لقد راقبت عينه الفاحصة سبّابتها ، وهى تضغط زناد المسدس ، ولم يكد يشعر بقرب لحظة انطلاق الرصاصة ، بحكم خبرته ، حتى تحرّك فى سرعة ، ودفع جسده إلى الأمام ، بحيث تجاوزته الرصاصة ، وهو يهم بالتشبث بحافة سطح المبنى .. وصرخت (سارة) :

ـ مستحيل !

ثم أطلقت رصاصاتها فى ذعر وتوتر ..

وأصابت إحدى الرصاصات هدفًا مناسبًا ..

أصابت طرف الحبل ..

وانقطع الحبل ..

انقطع قبل لحظة واحدة ، من وصول قبضة (أدهم) إلى حافة الحاجز ..

وهوى جسد (أدهم) مرة أخرى ..

هوى من هذا الارتفاع الشاهق ..

* * *

« وماذا فعل هذه المرة ؟! .. »

ألقت (منى) السؤال فى لهفة واضحة ، جعلت (قدرى) يبتسم ، ويقول فى مرح :

ـ أخيرًا نجحت فى تفجير حماسك ، وفضولك الأنثوى يا (منى) .

ضحكت قائلة :

ـ ولكننى أعلم أنه نجا ، وإلا فكيف واصل حياته بعدها ، ولكن الذى يثير لهفتى هو معرفة كيف .. كيف نجا من السقوط هذه المرة ؟

هزّ كتفيه المكتنظتين ، وهو يقول :

ـ ولكننى كنت أنوى تجاوز هذه النقطة .

هتفت فى حدة :

ـ (قدرى) .

فقهقه ضاحكًا ، وهو يقول :

ـ حسنًا .. سأعترف .. إننى لم أكن أنوى هذا .

مالت نحوه ، وقد استعادت لهفتها ، وسألته :

ـ كيف نجا إذن ؟

تنهّد وأجاب :

ـ من حسن حظه أنه كان هناك إعلان مضىء ، يمتد من الطابق الثالث عشر ، إلى الطابق التاسع ، وهذا ما أنقذ حياته ..

سألته فى لهفة :

ـ هل تشبّث به ؟

أجابها فى هدوء

ـ بل ارتطم به .

هتفت متراجعة فى دهشة :

ـ ارتطم به ؟! .. كيف أنقذ الإعلان حياته إذن ؟!

رفع سبّابته أمام وجهه ، قائلًا بابتسامة عريضة :

ـ هنا مربط الفرس .

سألته :

- كيف ؟
اعتدل فى مجلسه ..
وواصل روايته ..

* * *

جاء انقطاع الحبل مباغتًا ، حتى أن (أدهم صبرى) نفسه ، بكل قوته وقدراته ، وسرعة استجابته المدهشة ، لم يستطع التشبث بحافة السطح القريبة ..

فهوى ..

هوى من هذا الارتفاع الشاهق ، دون سابق إنذار ..

ولكنه لم يفقد أعصابه وهدوء جأشه قط ..

كل ما فعله هو أن بحث عن وسيلة للنجاة ، على الرغم من دقة وصعوبة الموقف ..

والتقطت عيناه ذلك الإعلان البارز ، بلونيه الأحمر والأصفر ، والذى يحمل اسم شركة أفلام تصويرية كبرى ، فمد ذراعيه عن آخرهما ، ليتعلق بحافته ..

ولقد نجح ..

ولكن الحافة لم يكن من الممكن أن تحتمله ، فقد كانت مصنوعة من ألياف زجاجية هشة فحسب ..

وتحطمت حافة الإعلان بين يدى (أدهم) ، الذى أدرك حتمية سقوطه هذه المرة ، وجسده يرتطم بالإعلان الزجاجى الضخم فى سقوطه ، وقطع الزجاج المهشمة ترتطم بوجهه وجسده ، و ..

وفجأة ارتطم جسم معدنى بمعدته ، فى قوة وعنف ، دارت لهما رأسه ، الذى لم يلبث أن ارتطم بدوره بجسم معدنى آخر ، حطم ما تبقى من وعيه ..

ففقد الوعى ..

ولكن القدر لم يكن قد اختار نهايته بعد ..

لقد اخترق قائم معدنى سترته وحزامه ، فتعلق جسده به ، وتوقف عن السقوط ، وإن راح يتأرجح فى عنف ، من ارتفاع ثلاثة عشر طابقًا ..

وصرخت (سارة) فى غضب :

- اللعنة !

ثم صاحت برجالها ، فوق السطح الأول :

- اقتلوه .. اقتلوا هذا الشيطان .

كان (أدهم) فاقد الوعى ، ولكنهم أسرعوا يصوبون مدافعهم الآلية إليه ..

ودوى صوت الرصاصات ..

* * *

عندما دوت الرصاصات فى المكان ، خفق قلب (أكرم) فى قوة ، وتصور أنه قد تخلص أخيرًا من مطارده ، الذى لم يشهد من فى مثل قوته وجرأته وسرعته من قبل ..

ولكن أمله خاب وتلاشى ، قبل مرور لحظة واحدة على مولده ..

فعلى السطح المقابل ، اندفع عدد من رجال الشرطة ، وعلى رأسهم المفتش (ماريو) ، يطلقون رصاصاتهم نحو رجال (الموساد) ..

وكانت هذه هى الرصاصات ، التى دوت فى المكان ..

واستدار رجال (الموساد) ، يواجهون هذا الهجوم الجديد ، فى حين شحب وجه (سارة) ، وهى تهتف بـ (أكرم) ، الذى تملكه الذعر ثانية :

- اسرع .. هيا بنا نبتعد عن هنا .

تبعها راكضًا فى هلع ، واستقل المصعد معها من الطابق العلوى إلى الطابق العاشر ، وهناك غادراه معًا ، وهبطا فى درجات السلم إلى الطابق التاسع ، حيث أخرجت (سارة) مفتاحًا خاصًا ، فتحت به شقة ، تحمل لافتة

باسم شركة خاصة ، ودفعت (أكرم) داخلها ، هاتفة :

ـ هيا .. اختبئ فى سرعة .

أغلقت الباب خلفها فى إحكام ، وهو يسألها فى توتر :

ـ أهذه شقتك ؟

أجابته فى حزم :

ـ إنها ملك لـ (الموساد) .

سألها فى دهشة :

ـ لماذا لم نهبط إليها على الفور إذن ؟

أجابته وهى تلتفت إليه :

ـ ربما كان أحدهم يراقب لوحة أرقام المصعد فى أسفل ، ولسنا نحب أن يعلم بوجود هذه الشقة ، فهى خط دفاع ثان لنا .

سألها متوترًا :

ـ وماذا عن الأخرى ؟ .. وعن (موشى) .. ورجالك ؟

قالت فى حزم :

ـ (موشى) الآن فى شقة أخرى ، أما الرجال ، فقد انتهى أمرهم .

هتف :

ـ بهذه البساطة .

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ إنها طبيعة العمل .

ثم ألقت جسدها فوق أقرب مقعد إليها ، وأشعلت سيجارتها بحركة سريعة ، ونفثت دخانها فى توتر ملحوظ ، ثم أغلقت عينيها لحظات ، وكأنما تحاول التغلّب على عصبيتها وانفعالها ، قبل أن تسأله ، دون أن تفتح عينيها :

ـ هل تشعر بالقلق ؟

هتف ، وهو يجلس على المقعد المقابل لها :

ـ بالطبع .

فتحت عينيها تتطلّع إليه فى صمت ، ثم قالت :

ـ لماذا ؟ .. لقد نجونا .. ولا أحد يعلم أين أنت الآن ، ويمكنك إحضار شرائط التسجيل إلى هنا .

هتف محنقًا :

ـ كيف ؟! .. إننى لن أجرؤ على الخروج من هنا قبل أسبوعين على الأقل !

نفثت دخان سيجارتها فى قوة ، وهى ترمقه بنظرة جانبية ، قبل أن تتظاهر باللامبالاة ، قائلة :

ـ يمكننى إحضارها لو شئت .

اختلس نظرة شك إليها ، ثم أجاب :

ـ لا .. ليس الأمر عاجلًا ، إلى هذا الحد ..

احنقها جوابه ، ولكنها كتمت مشاعرها فى أعماقها ، ونفثتها مع دخان سيجارتها فى قوة ، قبل أن تسأله :

ـ ما الذى كنت تعنيه ، عندما قلت إنك تستطيع مضاعفةَ مبلغ الملايين العشرة ؟

أشار إلى رأسه ، مجيبًا :

ـ إنها فكرة عبقرية ، طرأت لى فجأة .

اعتدلت تسأله :

ـ أية فكرة ؟

صمت متطلّعًا إليها فى حذر ، فهتفت فى عصبية :

- إنك لا تثق بى .. أليس كذلك ؟

قال ملوّحًا بكفه :

- ليست مشكلة ثقة .

صاحت محنقة :

- مشكلة ماذا إذن ؟

صمت لحظات أخرى ، حسم خلالها أمره ، قبل أن يعتدل فى حزم ، قائلًا :

- سأخبرك .

برقت عيناها فى شدة ، وأسرعت تطفئ سيجارتها ، وهى تقول فى انفعال :

- كلى آذان صاغية .

مال نحوها ، وقال :

- سنفعل ما يطلق عليه المصريون عبارة : « اللعب على الحبلين » .

سألته فى لهفة :

- وما الذى تعنيه هذه العبارة ؟

ابتسم فى خبث ، وهو يقول :

- تعنى أننا نستطيع أن نربح من الجانبين ، فلدينا أسرار علاقة المصريين بالسوفيت ، وأسرار علاقتهم بالأمريكيين .. ألا تظنين معى أن الجميع مستعدون لدفع الملايين ، مقابل هذه الأسرار ؟

وافقته قائلة :

- بالتأكيد .

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

- فلنمنحها للجميع إذن .

انعقد حاجباها ، وهى تتراجع فى حدة ، وهتفت :

- ما الذى تعنيه ؟! .. هل ستنشر هذه الوثائق علانية ؟

أطلق ضحكة قصيرة ، وقال :

- يالها من فكرة ! .. لست رجل خير إلى هذه الدرجة .. كلّا يا عزيزتى (سارة) ، لن أنشر هذه الوثائق علانية ، ولكننى سألعب بها أربع مباريات فى آن واحد .

سألته فى قلق :

- كيف ؟

نهض من مقعده ، وراح يتحرك فى أرجاء المكان ، قائلًا :

- كلانا يعلم أن القاعدة فى عالم المخابرات ، هى أن الجميع يسعون للحصول على أدق أسرار الجميع ، وعندما يحصلون عليها ، فإنهم يحتفظون بها سرًا ، ولا يفصحون أبدًا عما حصلوا عليه ، وأنوى استغلال هذه اللعبة إلى أقصى حد .

ثم التفت إليها ، ورفع سبابته أمام وجهه ، مستطردًا :

- المصريون يريدون استعادة أسرارهم ، وربما قبلوا التنازل عن اتهامى ، مقابل استعادتها ، وأنتم تريدون بشدة معرفة أسرار الاتصالات المصرية ، بالجانبين الأمريكى والسوفيتى ، والسوفيت سيسعدهم الحصول على أسرار العلاقة المصرية الأمريكية ، والأمريكيون سيدفعون الملايين ، مقابل الحصول على أسرار الاتصالات المصرية السوفيتية ..

ولوّح بذراعيه ، هاتفًا فى حماس :

- فليحصل كلٌ على ما يريد إذن .. سأعيد إلى المصريين أشرطتهم ، مقابل عدم إلقاء القبض علىّ ، وأحصل على صندوق من الدولارات ، من الإسرائيليين والأمريكيين والسوفيت ، وأمنح كلًا منهم نسخة من الأسرار التى يريدها ، وهكذا أصبح أغنى وأشهر جاسوس فى العالم .. أليس كذلك ؟

قالها وأطلق ضحكة قوية ، تراجعت لها (سارة) ، وهى تحدق فيه فى دهشة ..

لقد بدا لها (أكرم) مختلفا تماما ، وكأنما ذهبت شخصيته المهتزة الخائفة ، وحلت محلها روح شيطان ..

شيطان مريد .



٨ ـ عودة ...

لم يستسلم عقل (أدهم) للغيبوبة طويلًا ..

لقد تغلّب عليها بسرعة ، واستعاد حواسه ووعيه ، قبل مغيب شمس اليوم نفسه ، ففتح (أدهم) عينيه فى بطء ، وهو يرقد على فراش نظيف ، داخل جناح أنيق ، فى أرقى مستشفيات (روما) ، ووقع بصره ـ أول ما وقع ـ على وجه أنثوى جميل ، وعينين فيهما حنان الدنيا كلها ، وسمع صوتا رقيقا يقول :

ـ حمدًا لله على سلامتك أيها الوسيم .

غمغم فى دهشة :

ـ (صوفى) ؟! .. أهو أنت ؟

تحسّست جبينه بأناملها فى رقة ، وهى تقول :

ـ لم أستطع المقاومة ، عندما رأيت صورتك على شاشة التلفاز ، وهم يلتقطونك من هذا الارتفاع الشاهق .. لقد نجوت بمعجزة ، وهرعت أنا إليهم على الفور ، وقلت إنك صديقى ، فسمحوا لى بنقلك إلى هذا المستشفى .

ثم أشارت بإبهامها ، مستطردة بابتسامة مرحة :

ـ ولكنهم يضعون حراسة على باب حجرتك .

ألقى نظرة على الباب ، ثم فحص المكان ببصره فى سرعة ، وسألها :

ـ وماذا عن الشرفة ؟

قالت فى سرعة :

ـ وضعوا عليها حراسة أيضا .

ثم ابتسمت ، وهى تميل نحوه ، هامسة :

- ولكننى رشوت حارسها ، وسيغض البصر عنك ، ونحن نفرّ من هنا .

ابتسم مغمغمًا :

- نفرّ ؟!

هتفت فى حماس :

- بالتأكيد .

ثم انخفض صوتها ، واحتشد بعاطفة قوية ، وهى تميل نحوه أكثر ، مستطردة :

- إنك مغامر .. أليس كذلك ؟

أزاحها فى رفق ، واعتدل جالسا ، وهو يقول :

- مغامر ؟! .. لسنا فى واحد من أفلامك ، يا عزيزتى (صوفى) .

قالت فى غضب طفولى :

- ومن قال إننى أشاهد المغامرين ، حتى فى أفلامى .

وأطلقت من أعماق صدرها تنهيدة حارة ، قبل أن تستطرد :

- أتعلم .. لقد تمنيت طيلة عمرى أن أصبح ممثلة سينمائية ، لأننى كنت أعشق أفلام المغامرات ، وأتخيل نفسى فى دور البطلة ، التى تسقط فى مأزق تلو الآخر ، وفى كل مرة يظهر بطل الفيلم ، فينقذها فى اللحظة الأخيرة ، ولكنهم يقولون إن ملامحى رومانسية أكثر من اللازم ، وأننى سأبرع أكثر فى الأدوار العاطفية الرقيقة ، وليس فى أدوار المغامرات .

قال فى هدوء :

- ومن الواضح أنهم على حق ، فكل ما رأيته يؤكد أنك ممثلة ناجحة للغاية هنا .

تطلعت إليه لحظة فى صمت ، قبل أن تسأله :

- وما رأيك أنت ؟

هزّ رأسه ، وابتسم قائلا :

- يؤسفنى أننى لم أشاهد أفلامك .

هتفت :

- لست أسألك رأيك فىّ كممثلة .

ومالت على نحو بالغ الرقة ، وهى تستطرد فى همس :

- أسألك رأيك فىّ كأنثى .

تطلّع إليها لحظة فى صمت ، واعترف فى أعماقه بأنها أجمل وأرق امرأة عرفها ، فى حياته كلها ، إلا أنه قال مراوغا :

- وهل تحتاجين إلى رأيى المتواضع ؟

هتفت فى سعادة :

- أأروق لك حقًّا ؟

لم يكن يرغب أبدًا فى خوض هذه التجربة ، فى مثل ظروفه النفسية والعملية ، فتفادى الحديث فى الأمر ، ونهض مغادرًا فراشه ، وهو يسألها :

- تقولين إنه يمكننا الخروج من هنا .. أليس كذلك ؟

أومأت برأسها إيجابا ، فالتقط ثيابه من المشجب ، وهو يقول :

- معذرة .. سأبدل ثيابى .

وتركها مندفعًا إلى حجرة جانبية ، ملحقة بجناحه ، وارتدى ثيابه على عجل ، ثم عاد إليها ، فوجدها تقف بالقرب من الشرفة ، وتتطلّع إلى حديقة المستشفى بعينين شاردتين ، ولكنها لم تكد تسمع وقع قدميه ، حتى التفتت إليه تسأله بغتة :

- أأنت رجل مخابرات حقًّا ؟!

هوى عليه سؤالها كالصاعقة ، فالتقى حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

- رجل مخابرات ؟! .. من قال هذا ؟
أجابته وهى تتأمله فى اهتمام :
- المفتش (ماريو) .. يقول : إنك رجل مخابرات مصرى ، وأن ما حدث عبارة عن صراع مخابرات مصرى إسرائيلى .. أهذا صحيح ؟
تطلّع إليها لحظة فى صمت ، ثم ابتسم قائلًا :
- يبدو أن (ماريو) هذا يتمتع بخيال جامح .
قالت فى هدوء :
- ولكننى أصدّقه .
قال فى حذر :
- تصدقينه ؟!
أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :
- بالطبع .. إنك وسيم .. شجاع .. جرىء .. قوى ، و ..
قاطعها ضاحكًا :
- كل هذا لا يمت بصلة لعمل المخابرات .. إنها مجرّد سمات شخصية .
قالت فى عناد :
- وماذا عن إجادتك للإيطالية ، على هذا النحو ، وما رواه عنك الشهود ، من سيرك على الحبل ، كما يفعل لاعبو السيرك ، وأنت تحمل رجلًا عاديًا ، والقتال بالمدافع الآلية ، و .. ؟
قاطعها مرة أخرى :
- إننى رجل أعمال رياضى .. هذا تفسير كل شىء .
ابتسمت قائلة :
- حقًا ؟!
اتجه نحو الشرفة ، وهو يقول :

- دعينا من هذا الآن .. سنغادر المستشفى أوّلًا ، و ..
قاطعه صوت المفتش (ماريو) ، وهو يقول :
- إلى أين ؟
التفت إليه (أدهم) فى هدوء ، وتطلّع إليه لحظة فى صمت ، ثم قال :
- جميل أن أراك قبل انصرافى أيها المفتش .
أغلق (ماريو) الباب خلفه ، وقال فى صرامة :
- لا تجعل هذا يقلقك يا سنيور (صبرى) ، فسنلتقى طويلًا ، قبل أن تنتهى تحقيقاتنا معك .
عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى برود :
- بأية تهمة ؟
قال (ماريو) :
- بتهمة الشغب ، وإطلاق النار بدون ترخيص ، و ..
قاطعه (أدهم) :
- مهلًا أيها المفتش .. لقد شاهدت بنفسك كل شىء ، وتعلم أننى كنت أدافع عن نفسى فحسب .
تنهّد المفتش ، وقال :
- وعنى أيضًا ، ولكنه القانون .
قالت (صوفى) فى غضب :
- قانون أحمق .
تطلّع إليها (ماريو) ، وهو يقول :
- ولكننى مضطر لطاعته يا سنيوريتا (صوفى) ، فأنا واحد من رجال القانون .
وأخرج من جيبه مظروفًا ، ألقاه على فراش (أدهم) ، وهو يستطرد :

- إننى أحتجز جواز سفر السنيور (أدهم) ؛ لأن القانون يحتم بقاءه فى (روما) ، حتى تنتهى التحقيقات ، ما دام وكيل النيابة يشتبه فى كونه رجل مخابرات مصرى ، يقوم بأعمال تجسسية ، تخالف القانون الإيطالى .

ألقى (أدهم) نظرة على المظروف ، وسأل (ماريو) :

- وهل ألقيتم القبض على الجميع ؟

هزّ (ماريو) رأسه نفيًا ، وقال :

- كلا .. لقد ألقينا القبض على عدد من الرجال ، ليس من بينهم (سارة) ، أو (موشى) ، أو ذلك المصرى الآخر .. لقد اختفى (موشى) أثناء الصراع ، فى حين اختفت (سارة) والمصرى الآخر ، فى ظروف غامضة ، على الرغم من أننا كنا نراقب البناية الأخرى أيضًا .

ضاقت المسافة بين حاجبى (أدهم) ، وهو يدرس تلك الكلمات فى عمق فى حين استطرد (ماريو) ، وهو يهزّ رأسه فى أسف :

- كان يمكنك أن تهرب أيضًا ، قبل أن نلقى القبض عليك ، ولكنك فقدت وعيك أمام الجميع ، وكان رجال الإعلام قد وصلوا ، بعد انتشار أمر تبادل إطلاق النيران ، والتقطوا لك عشرات الصور ، ولم يعد من الممكن إخفاء الأمر .

ثم تنهّد ، وقال :

- إنه قدرك .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

- أتتوقع منى الاستسلام للأمر ؟

هزّ (ماريو) رأسه نفيًا ، وقال :

- مطلقًا .. ما رأيتك تفعله يؤكّد استحالة هذا .

ثم التفت إلى (صوفى) ، مستطردًا :

- لن يمكنك تخيّل ما فعله يا سنيوريتا .. إنه رجل يستحق حبك وصداقتك بالفعل .

ابتسمت (صوفى) ، وهى ترمق (أدهم) بنظرة عاطفية ، قائلة :

- أعلم هذا .

هزّ (ماريو) رأسه ، وهو يقول :

- صدقينى يا سيّدتى .. كل رجل فى (روما) يحسد السنيور (صبرى) ، على صداقتك له .

قالت (صوفى) فى سعادة :

- على العكس يا سنيور .. نساء العالم كلهن سيحسدننى ، على صداقته لى .

قالت (صوفى) فى سعادة :

ثم استدركت فى ارتباك :

- لو وافق على هذا .

ابتسم المفتش (ماريو) ، وقال :

- كم أتمنى لو كنت فى موضعك يا سنيور (صبرى) .

وعاد يلتفت إلى (صوفى) ، مستطردًا فى سرعة ، قبل أن يمنح (أدهم) فرصة للتعليق :

- أتعلمين يا سنيوريتا .. ما رأيته من أعمال السنيور (صبْرى) ، جعلنى أراه بعين الخيال ، وهو يحاول الفرار من هنا .

قال (أدهم) فى سخرية :

- ربما انقلب الخيال إلى واقع .

ولكن (ماريو) تابع وكأنه لم يسمع عبارة (أدهم) :

ـ كنت أخشى أن ينشل جواز سفره منى ، ثم يقفز من الشرفة المنخفضة إلى الحديقة ، مستغلا غياب الحارس ، وينطلق إلى الباب الخلفى للحديقة ، حيث سيارات الإسعاف ، فيستقل واحدة وينطلق بها من هنا إلى المطـار مباشرة ، لتحمله طائرة العاشرة مساء إلى (القاهرة) .

برقت عينا (أدهم) ، والتقى حاجبا (صوفى) فى توتر ، وهى تحاول قراءة ما تخفيه ملامح (ماريو) الجامدة ، وقلبها يخفق فى قوة ، أمـا (ماريو) نفسه فهز كتفيه ، وقال :

ـ إنها مجرد فكرة .

ثم اتجه إلى باب الحجرة ، مستطردا :

ـ وربما نلتقى مرة أخرى يا سنيور (صبرى) .

فتح الباب ، وتطلع إلى وجه (أدهم) ، مردفا :

ـ ربما .

وأغلق الباب خلفه فى إحكام ، فهتفت (صوفى) فى انفعال :

ـ ما الذى يعنيه ؟

أسرع (أدهم) يلتقط جواز السفر ، من فوق الفراش ، وهو يقول :

ـ لقد نسى استعادة جواز السفر .. وهو يعنى هذا جيدا .

برقت عيناها ، وهى تهتف :

ـ فهمت .

أمسك كفها الرقيقة ، قائلا :

ـ هيا بنا .

فتح الشرفة ، وتطلع خارجها بنظرة فاحصة ، وأدرك أن (ماريو) قد أبعد الحارس بوسيلة ما ، أو أن رشوة (صوفى) قد أتت مفعولها ، فوثب إلى الحديقة فى رشاقة ، ثم رفع ذراعيه إلى (صوفى) ، قائلا :

ـ هيا .

ألقت نفسها بين ذراعيه بلا تردد ، فتلقفها فى بساطة ، كما لو كانت طفلا صغيرا ، وانطلقا يعدوان جنبا إلى جنب ، حتى بلغا سيارات الإسعاف ، فقفز (أدهم) داخل واحدة منها ، وأدار محركها ، واحتلت (صوفى) المقعد المجاور له ، وهو ينطلق بالسيارة ، ويعبر بوابة المستشفى ، وهتفت فى سعادة وحماس :

ـ رائع .. هذا ما أحلم به تماما .

قال وهو يبتعد عن المستشفى فى سرعة ، مطلقا أبواق سيارة الإسعاف :

ـ استمتعى بحلمك إذن ، فسينتهى بعد قليل .

هتفت مذعورة :

ـ ينتهى ؟! .. لماذا ؟

أجابها فى حزم :

ـ لأنك ستغادرين سيارة الإسعاف ، بعد لحظات .

ضربت الأرض بقدميها فى عناد ، وهى تهتف معترضة :

ـ لا .. لن أغادر السيارة إلا بصحبتك .

قال فى صرامة :

ـ ستغادرينها يا (صوفى) ، فالأمر ليس مجرد فيلم سينمائى ، يمكنك الاستعانة فيه ببديلة ، فى لقطات الخطر .. إنه واقع ، ومخاطر هذا الواقع لا تنتهى .

هتفت ساخطة :

ـ لماذا اصطحبتنى معك إذن ؟

أجابها فى حزم :

ـ لأن الأمر ليس لهوا أو تمثيلا .. إننى أهرب من سلطة رسمية ، ولو لم تتظاهرى بأننى قد اختطفتك ، وأجبرتك على اصطحابى ، فربما توجه إليك تهمة معاونتى على الهرب .

عقدت ساعديها أمام صدرها ، وهى تقول فى عناد :

ـ لست أبالى بهذا .

قال فى صرامة :

أنا أبالى .

ثم ضغط فرامل السيارة فى حركة حادة ، دفعت جسدها إلى الأمام ، حتى كادت ترتطم بالزجاج الأمامى ، وهو يستطرد :

ـ هيا .. غادرى السيارة .

انعقد حاجباها الجميلان ، وهى تقول فى عناد :

ـ كلا .. لن أغادرها .

غادر هو السيارة ، ودار حول مقدمتها فى سرعة ، ثم فتح الباب المجاور لها ، وانتزعها من مقعدها ، وأوقفها فوق الإفريز ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لست أقبل مناقشة الأمر .

ثم قفز داخل السيارة ، وهى تهتف ساخطة :

ـ ليس من حقك أن تفعل .. ألا تعلم من أنا ؟!

ابتسم هاتفًا :

ـ إلى اللقاء يا أميرة ممثلات العالم .

وانطلق بالسيارة ، وهو يطلق ضحكة مرحة ، فصرخت غاضبة :

ـ ليس من حقك .

واصل ابتعاده بالسيارة ، فغمغمت فى غيظ :

ـ لن تهرب منى .. لن تهرب من (صوفى لورانو) .

واندفعت عبر الطريق ، تشير إلى أول سيارة قادمة ، وأطلقت إطارات السيارة صريرا مفزعا ، وقائدها يوقفها فى قوة ، ثم أخرج الرجل رأسه من النافذة المجاورة له ، وصاح :

ـ هل جننت أيتها الـ ..

بتر عبارته فجأة ، وهو يحدق فى وجهها ذاهلا ، قبل أن يصرخ بفرحة طاغية :

ـ مستحيل ! .. أأنت (صوفى) .. (صوفى لورانو) ؟!

اسرعت إليه (صوفى) ، وفتحت باب سيارته ، وقفزت داخلها ، هاتفة :

ـ اتبع سيارة الإسعاف هذه .

انطلق الرجل بالسيارة دون مناقشة ، وهو يهتف :

ـ يالسعادتى ! .. إننى أكثر رجال العالم حظًا .. أأنت (صوفى لورانو) حقًا ؟!

أجابته فى حزم :

ـ نعم .. أنا هى .. هيا .. اتبع السيارة ، وإلا فسأغضب أشد الغضب ، لو لم نلحق بها .

صاح فى حماس :

ـ سنلحق بها .

انطلق بسيارته بأقصى سرعة ، خلف سيارة الإسعاف ، وهو يقول :

ـ لقد شاهدت أفلامك كلها .. من (قلب فى الظلام) ، وحتى (أميرة النهر الأزرق) .. شاهدتها كلها .. كنت رائعة فى تلك اللقطة ، التى لقى فيها حبيبك مصرعه ، وجلست أمام النهر تبكين ، و ..

هتفت مقاطعة :

ـ الحق بالسيارة أولًا ، وبعدها سنتحدث عن كل أفلامى بالتفصيل .

صاح فى سعادة :

ـ حقًا !!

انحرف فى سرعة كبيرة ، فى نفس المنحنى ، الذى اختفت فيه سيارة

الإسعاف ، وأطلقت إطارات سيارته صريرًا آخر مخيفا ، قبل أن تهتف (صوفى) :

- ها هى ذى !

ضغط الرجل فرامل سياراته فى قوة ، واندفع جسد (صوفى) إلى الأمام ، عندما توقفت السيارة بحركة حادة ، إلى جوار سيارة الإسعاف ، وقفزت منها (صوفى) ، والرجل يهتف بها :

- وماذا عن أفلامك ؟

أخرجت من حقيبتها صورة لها ، ألقتها إليه هاتفة :

- فيما بعد .. فيما بعد .. اتصل بى هاتفيًا ، وسنحدد موعدا لهذا .

التقط الصورة فى سعادة ، وقال :

- أتقبلين تناول طعام العشاء معى ؟

أجابته ملوّحه بيدها فى عصبية :

- بالتأكيد .. اتصل بى ، وسنحدد موعدا لهذا أيضا .

تهللت أساريره ، وهو يقول :

- سأخبر الجميع .. سأخبر كل الأصدقاء .

ثم لوح بيده ، هاتفا :

- إلى اللقاء يا (صوفى) .. سأتصل بك فى الصباح .

هتفت وهى ترسم على شفتيها ابتسامة سريعة :

- سأنتظر الاتصال بفارغ الصبر .

لم يكد يبتعد بالسيارة ، حتى هرعت إلى سيارة الإسعاف ، وتطلعت داخلها فى دهشة ، بحثًا عن (أدهم) ، الذى اختفى تماما ، ثم عقدت حاجبيها فى غضب ، قائلة :

- أين ذهب إذن ؟

بدا لها وكأن (أدهم) قد اختفى تماما ، فأدارت عينيها فى المكان فى غضب ، ثم لم تلبث عيناها أن برقتا ، وهى تقول فى حماس :

- آه .. لقد عرفت أين أنت الآن أيها الوسيم .. وسأجدك .. سأجدك حتمًا ..

* * *

التقى حاجبا (موشى إفرام) فى شدة ، وهو يستمع إلى (سارة) ، ثم هتف فى توتر بالغ :

- ياله من جشع ! .. إنه سيفسد العملية كلها بطمعه هذا .

قالت (سارة) فى ضيق :

- إنه يتصوّر نفسه أذكى أهل الأرض ، ويرغب فى الحصول على أكبر قدر ممكن من الأموال ، حتى ولو ذهب الجميع إلى الجحيم .

قال (موشى) فى صرامة :

- لن نسمح له بهذا حتمًا .. أين هو الآن ؟

أشارت إلى حجرة جانبية ، وهى تقول :

- مستغرق فى نوم عميق .. لقد دسست له قرصًا مخدرًا فى شرابه ، وقد يستيقظ بين لحظة وأخرى .

تنهّد (موشى) ، وبدت على وجهه علامات التفكير العميق طويلًا ، قبل أن يقول :

- يبدو أننا لن نستمر فى لعبتنا يا (سارة) .

سألته :

ما الذى تأمر به ؟

لوّح بكفه ، قائلا :

- هذا الرجل أحمق ، يحاول خداع أربعة أجهزة مخابرات قوية ، متصوّرًا

أنه قادر على أن يربح لعبه سخيفة كهذه ، وجشعه هذا يعنى أن أية إضاعة للوقت فى غير صالحنا .

سألته فى اهتمام أكثر :

- ماذا تقترح ؟

قال فى حزم :

- سنوقف خطة استمالته ، ومحاولة إقناعه بالإفصاح عن مخبأ الأشرطة ، ونبدأ فى استخدام وسيلة حاسمة ومباشرة .. سنساومه على الأشرطة الأصلية ، مقابل أثمن شىء فى وجوده كله ..

والتقى حاجباه فى صرامة ، وهو يضيف :

- حياته نفسها .

برقت عينا (سارة) ، وأشعلت سيجارتها فى جذل ، وهى تقول :

- هذا هو الأسلوب الذى أفضله .

وهبت واقفة فجأة ، واندفعت نحو حجرة (أكرم) ، فسألها (موشى) :

- إلى أين ؟

قالت ساخرة :

- سأحضر ضيفنا العزيز .

كان تأثير القرص المخدر قد تلاشى تقريبًا ، عندما هزت (سارة) (أكرم) ، قائلة فى لهجة تجمع ما بين الجذل والشماتة :

- هيا يا (كارل) .. استيقظ .

فتح (أكرم) عينيه ، وهو يسألها :

- ماذا هناك ؟

قالت مشيرة إلى الخارج :

- (موشى) هنا ، ويرغب فى مقابلتك .

هبَّ جالسًا على طرف فراشه ، وهو يهتف :

- (موشى) هنا .

أسرع يرتدى ثيابه على عجل ، ثم خرج إلى الردهة ، هاتفًا :

- مساء الخير يا مستر (موشى) .. كم يسعدنى أن ألتقى بك .. لقد أقلقنى أمرك بشدة .

واجهه (موشى) ببرود شديد ، وهو يقول :

- لا تجعل أمورى تقلقك .. أكتف بأمورك فحسب .

شعر (أكرم) بالقلق ، مع هذا الاستقبال البارد ، وجلس على المقعد المقابل لمقعد (موشى) ، وهو يقول فى حذر :

- أهناك ما يضايقك يا مستر (موشى) ؟

أجابته (سارة) ، وهى تجلس على مسند مقعده :

- (موشى) هنا ليسألك عن المكان ، الذى تخفى فيه الأشرطة .

تضاعف قلق (أكرم) ، وهو يقول :

- اطمئن يا مستر (موشى) .. إنها فى مكان آمن تمامًا ، لن يتوصل إليه أحد .

قالت (سارة) فى لهجة ، تحمل رائحة الصرامة :

- أين ؟

تردد (أكرم) ، قبل أن يوجه حديثه إلى (موشى) ، قائلا :

- كم ستدفعون ثمنًا لها يا مستر (موشى) ؟

رفع (موشى) سبابته ، قائلا :

- أغلى ثمنٍ فى الوجود .

وفى حركة حادة ، انتزعت (سارة) مسدسها ، وألصقت فوهته بصدغ (أكرم) ، وهى تقول ساخرة :



هب جالسا على طرف فراشه ، وهو يهتف :
ـ (موشى) هنا ..

ـ حياتك نفسها .

انتفض (أكرم) فى ذعر ، وبدت له فوهة المسدس ، الملتصقة بصدغه ، أشبه بقطعة من الثلج ، لم تلبث برودتها أن انخفضت ، مع انخفاض حرارة جسده نفسها ، وهو يقول بصوت مرتجف :

ـ ماذا تفعلان ؟

أجابه (موشى) فى صرامة :

ـ نقدّم لك عرضا لن يمكنك رفضه يا عزيزى (كارل) .. حياتك مقابل تلك الأشرطة .

شحب وجه (أكرم) ، ولكنه قال فى عصبية :

ـ لن يفيد كما قتلى ، فالشخص الذى أحتفظ لديه بالشرائط ، لديه أوامر مشددة ، بإعادتها إلى المصريين ، فى حالة موتى بوسيلة غير طبيعية .

قالت (سارة) :

ـ أنت كاذب .

صاح متوتّرًا :

ـ بل هى الحقيقة .

تبادلت نظرة مع (موشى) ، ثم سألت (أكرم) فى صرامة :

ـ وكيف يمكننا الحصول عليها ؟

قال فى عصبية :

ـ أريد الملايين العشرة .

أطلقت ضحكة ساخرة عالية ، قبل أن تقول :

ـ ربما كانت لدى وسيلة أفضل .

أخرجت من حزامها كاتما للصوت ، ثبتته على فوهة مسدسها ، وهى تقول :

- ربما كانت لدى وسيلة أفضل ، وأقل سعرا .

هتف فى عصبية :

- صدقينى .. لن يمكنك قتلى .

صوبت مسدسها إلى يده ، قائلة فى سخرية :

- ومن تحدث عن القتل ؟!

أطلقت رصاصة صامتة من مسدسها ، طار لها خنصره الأيسر ، وتفجرت الدماء من موضعه ، فصرخ :

- لقد أصبتنى أيتها اللعينة !

أطلقت رصاصة أخرى على بنصره ، وتفجر المزيد من الدماء ، وهو يصرخ فى ألم ورعب هائلين :

- أنت مجنونه .. مجنونة حتما .

حاول أن يوقف الدماء المتدفقة ، وهى تقول ساخرة :

- ومن سوء حظك أننى سأواصل جنونى هذا ، إلى أن تخبرنا بالمكان ، الذى تخفى فيه الأشرطة ، حتى ولو أطحت بأصابع يديك وقدميك ، واحدا بعد الآخر .

انتزعها فجأة صوت هادئ ساخر يقول :

- هذا لو وجدت الوقت لذلك .

التفت الجميع إلى مصدر الصوت فى ذعر ، وأطلقت (سارة) شهقة عنيفة ، عندما وقع بصرها على آخر شخص تتوقعه ، فى هذه اللحظة ..

على (أدهم) ..

(أدهم صبرى) .



٩ ـ الصفقة ...

صاح مدير البوليس الإيطالى فى غضب ، وهو يلوّح بذراعيه ، داخل حجرة (أدهم) بالمستشفى :

- هرب ؟! .. بهذه البساطة ؟! .. إنكم تستحقون عقابًا شديدًا ، على السماح له بهذا .

قال حارس الشرفة ، محاولاً تبرير موقفه :

- لقد اختطف السنيوريتا (صوفى) يا سيّدى .. ولم يكن من الممكن أن ..

قاطعه المدير صارخًا :

- كان ينبغى أن توقفه ، حتى ولو اختطف زوجة رئيس الوزراء نفسه .

قال (ماريو) فى هدوء :

- خطأ يا سيّدى .. لو أننا أصبنا زوجة رئيس الوزراء ، عن طريق الخطأ ، فلن يثير الأمر سوى عدد محدود من الناس ، أما لو أصبت (صوفى لورانو) بخدش واحد ، فسيثور الرأى العام كله ، وتهاجمنا صحف الحكومة والمعارضة ، وربما تسبّب هذا فى إسقاط الوزارة ، أو تغيير مدير الشرطة نفسه .

شعر المدير بالذعر ، عندما أشار (ماريو) إلى منصبه ، وأسرع يقول :

- ولكنه هرب ببساطة متناهية .

قلب (ماريو) كفيه ، قائلاً :

- وماذا كان بإمكاننا أن نفعل ، وهو يحمل معه نجمتنا الأولى ؟

بدا الغضب لحظات ، على وجه المدير ، ثم قال فى حدة :
ـ فليكن .. سنوزع نشرة بأوصافه ، ونبحث عنه فى كل مكان .
سأله (ماريو) ، متصنعًا البراءة :
ـ وهل نبلغ الصحافة ، عن اختطافة لـ (صوفى) ؟
صاح به المدير مذعورًا :
ـ هل جننت ؟! .. لن نعلن هذا إلا بعد فشلنا فى العثور عليها .
وفرك كفيه فى عصبية ، مستطردًا :
ـ ليس قبل صباح الغد .
وزفر فى توتر ، مستطردًا :
ـ لو أننا حسنو الحظ ..

* * *

مضت لحظات ، لم يتردد خلالها فى المكان سوى صراخ (أكرم) ، الذى قفز يلتقط إصبعيه المبتورين ، قبل أن يصيح :
ـ لقد حطمتهما تلك اللعينة .. لن يمكن إعادتهما إلى موضعهما أبدًا .
وصاحت (سارة) ، وهى تحدق فى وجه (أدهم) :
ـ كيف ؟! .. كيف وصلت إلى هنا ؟
هز كتفيه فى هدوء ، وهو يقول :
ـ كانت حسبة بسيطة للغاية ، يا عزيزتى (سارة) ، فقد اختفيت مع (أكرم) فى تلك البناية ، بعد وصول رجال الشرطة ، ولم يشاهدكما أحد تغادرانها بعدها ، وهذا لا يعنى إلا أن (الموساد) يحتفظ بشقة احتياطية هنا .. وطبقًا للوسائل المتبعة ، فى عالم المخابرات ، كان من الضرورى أن تكون الشقة الثانية فى نفس المستوى ، الذى توجد فيه الشقة الأولى ، حتى يمكن مراقبة كل منهما من الأخرى ؛ لذا فقد صعدت مباشرة إلى هذه الشقة ،

وعالجت باب المطبخ الخلفى ، فاستجاب لى فى بساطة .. هذا كل شىء .
ردد (موشى) فى شحوب :
ـ يا للشيطان !!
أما (سارة) ، فقد انعقد حاجباها فى غضب ، وقالت :
ـ كان ينبغى أن أدرك أنك لست مقاتلا عاديًا .
صرخ (أكرم) ، فى هذه اللحظة :
ـ أريد شيئًا لإيقاف هذا النزيف .. أى شىء .
ثم اندفع إلى المطبخ ، مستطردًا :
ـ سأبحث عن أى شىء ، وعن ..
قاطعه (أدهم) فى صرامة :
ـ انتظر .
تسمّر (أكرم) فى مكانه ، وصاح :
ـ لابد من إيقاف النزيف .
أخرج (أدهم) منديله ، وألقاه إليه ، قائلا :
ـ استخدم هذا .. واستعد ؛ فسنغادر المكان بعد قليل .
صاحت به (سارة) فى شراسة :
ـ على جثتى .
ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يصوّب مسدسه إليها ، قائلا :
ـ على الرحب والسعة .
التقت نظراتهما الصارمة فى تحد ، فأسرع (موشى) يقول :
ـ مهلًا أيها المصرى .. أظن أنه يمكننا أن نتفاوض .
قال (أدهم) فى سخرية :
ـ حقًا ؟!

جفف (موشى) عرقًا وهميًا ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد أيها المصرى .. بالتأكيد .. سنمنحك مليونى دولار ، عدًا ونقدًا ، مع وعد بقتل (أكرم) هذا ، بعد أن نفرغ منه .

صاح (أكرم) فى رعب :

ـ تقتلوننى ؟!

تابع (موشى) ، وكأنه لم يسمع صيحته :

ـ هذا يرضى الطرفين أيها المصرى .. أنتم ونحن .. أليس كذلك ؟

اندفع (أكرم) يهتف :

ـ لا تصدقهما .. إنهما يحاولان خداعك ؛ ليستحوذا وحدهما على شرائط التسجيل ، التى أخبرتك عنها .

هتفت (سارة) فى ذهول :

ـ أخبرته عنها ؟!

ـ صاح بها (أكرم) :

ـ نعم .. أخبرته عنها .. المصريون أيضًا يعلمون الآن أننى أمتلك الوثائق ، الخاصة بعلاقاتهم السرية ، مع السوفيت والأمريكيين ، وسيحموننى لاستعادتها .

كانت هذه المعلومات تقلق (أدهم) بشدة ، وتزيد من إصراره على استعادة (أكرم) ، ولكنه قال فى صرامة :

ـ أنت تستحق القتل ، من أجل هذا .

هتف (أكرم) :

ـ القتل .. لا .. لن يمكنكم استعادة الشرائط ، لو قتلتمونى .

وفجأة ارتفع صوت أنثوى مرتبك ، يقول :

ـ معذرة .. هل قطعت حديثكما ؟

ارتفع حاجبا (أدهم) فى دهشة ، والتفت فى سرعة إلى حيث تقف (صوفى) ، وهو يهتف :

ـ أنت ؟!

وفى حركة سريعة ، رفعت (سارة) مسدسها ، الذى لم تكن قد تخلت عنه بعد ، وأطلقت رصاصته نحو (أدهم) ..

ولكن (أدهم) انتبه إلى خطئه بنفس السرعة ، التى يتخذ بها قراراته ، وانزلق بسرعة كبيرة ، متفاديًا الرصاصة ، التى توقَّع انطلاقها ، فتجاوزته الرصاصة ، وأصابت الجدار ، على بعد سنتيمترات من رأس (صوفى) ، التى أطلقت صرخة ذعر طفولية ، وتراجعت داخل المطبخ فى فزع ، فى نفس اللحظة التى انقضَّ فيها (أدهم) على (سارة) ، وأمسك معصمها فى قوة ، ليرفع يدها الممسكة بالمسدس ، قبل أن تُطلق رصاصتها الثانية ، فصرخت به :

ـ لن تهزمنى هذه المرة .

وانتزع (موشى) مسدسه ، وهو يهتف :

ـ تشبثى به يا (سارة) .. سأطلق النار على ..

مال (أدهم) جانبًا ، دون أن يترك معصم (سارة) ، وركل المسدس من يد (موشى) ، ثم تابعت قدمه سيرها ، لتركل وجه الرجل أيضًا ، وتلقى به أرضًا ، فى نفس اللحظة التى لوى خلالها معصم (سارة) ، لتفلت المسدس مرغمة ، وهى تصرخ :

ـ أيها الشيطان .. أيها الوغد !

انتهز (أكرم) فرصة هذا الصراع ، وانطلق يعدو نحو الباب الرئيسى ، واندفع عبره إلى الخارج ، واستقلّ المصعد ، وهو يربط منديل (أدهم) على كفه ؛ ليوقف نزيف موضع الإصبعين المبتورين ، وراح يردِّد فى انفعال جارف :

ـ سيدفعون الثمن .. كلهم سيدفعون الثمن .

هبط إلى الطابق الأرضى ، وأسرع يستقل سيارة خاصة ، استأجرها فى الصباح نفسه ، وانطلق بها مبتعدًا ، وهو يردد :

ـ أنا الذى سيربح فى النهاية .. سيرون أننى الرابح حتمًا .

اندفع مبتعدًا عن المكان فى سرعة ، وهو يكرر تهديده ووعيده ، حاملًا معه كل أسراره ..

وبعض أسرار (مصر) ..

* * *

صفقت (صوفى) بكفيها فى جذل طفولى ، وهى تقول فى حماس :

ـ كنت أعلم أنك ستنتصر عليهما .

كان (أدهم) يقيد (سارة) و (موشى) إلى مقعدين ثقيلين ، بعد أن كمم فميهما ، وكانت (سارة) تقاوم فى ثورة عصبية ، وهى تطلق من خلف كمامتها همهمات ساخطة ، فقال (أدهم) لـ (صوفى) فى غضب :

ـ ألا تعلمين ما الذى فعله قدومك هنا ، فى هذا الوقت ؟ لقد عاونت ذلك الوغد على الفرار .

قالت فى عناد :

ـ كنت أريد الوصول إليك ، ولم أكن أعلم أننى سأصل فى وقت غير مناسب .

اعتدل يسألها :

ـ كيف عثرت علىّ إذن ؟

أجابته فى حماس :

ـ رأيت سيارة الإسعاف ، بالقرب من هنا ، وتذكرت أن (ماريو) لم يعثر على الفتاة والمصرى ، على الرغم من محاصرة البناية ، فقلت لنفسى : إنه من الضرورى أن تكون للفتاة شقة أخرى هنا ، لتراقب منها الشقة الأولى ،

وفى هذه الحالة تكون الشقة الثانية مواجهة للأولى ، وفى نفس مستواها ، و ..

ارتسمت على وجهها ابتسامة واسعة ، وهى تستطرد :

ـ وهكذا عثرت عليك .

لم يتمالك نفسه من الإعجاب بذكائها ، ووجد نفسه يهتف :

ـ رائع .

تهللت أساريرها ، وهى تقول فى فرحة :

ـ هل أعجبتك ؟

ابتسم قائلًا :

ـ بل أثرت دهشتى ، فلم أعتد مقابلة امرأة ، تجمع ما بين الجمال والذكاء ، فى آن واحد ، وتضيف إليهما طهارة القلب وطيبته .

هتفت بسعادة غامرة :

ـ أهذا رأيك حقًا ؟

تلاشت ابتسامته بغتة ، وحلت محلها نظرة غاضبة ، وهو يقول :

ـ ولكنك تتصرفين بأسلوب طفولى غير مسئول .

مطت شفتيها فى غضب ، وهى تقول :

ـ لماذا لا تسمح لى بمشاركتك مهمتك ؟

قال فى حدة :

ـ لأنها ليست فيلمًا سينمائيًا ، كما سبق أن أخبرتك .

ثم جذبها من يدها ، مستطردًا فى صرامة :

ـ هيا .. سنعيدك إلى منزلك .

تبعته فى استسلام ، قائلة :

ـ لا بأس ، ما دمت ستعود معى .

لم يناقشها فى الأمر ، واستقلّ معها المصعد إلى الطابق السفلى ، وسألها وهما يغادران البناية :

ـ أين تقيمين ؟

أجابته مبتسمة :

ـ فى حى أصحاب الملايين ، وأراهنك أننا سنجد حارسى الخاص فى حالة يرثى لها ؛ فقد تسللت دون علمه .

قالتها وأطلقت ضحكة مرحة ، شأن أية طفلة صغيرة ، صنعت لأصدقائها مقلبًا . طريفًا ، فسألها (أدهم) :

ـ لماذا تستأجرين حارسًا خاصًا إذن ، ما دمت تضيقين بوجوده إلى هذا الحد ؟

تنهّدت قائلة :

ـ لست أنا من يستأجره ، وإنما منتجى الخاص ، الذى يحتكر موهبتى لخمس سنوات قادمة .. إنه يخشى أن يزعجنى الصحفيون والمعجبون والمتطفلون ، فيفرض علىّ رقابة دائمة ، طوال الأربع والعشرين ساعة .

قال متعاطفًا :

ـ يالها من حياة !

سألته :

ـ هل تشعر بالشفقة علىّ ؟

أجابها صادقًا :

ـ بالتأكيد .. لست أرغب أبدًا فى أن أحيا مثل هذه الحياة .

تعلّقت بذراعه ، قائلة :

ـ إننى مستعدة للحياة معك ، فى أى مكان تختاره ، حتى ولو ..

قاطعتها فجأة صيحة قوية :

ـ ها هوذا .

وبدا رجلا شرطة ، يندفعان نحوهما ، وأحدهما يستلّ مسدسه ، هاتفًا :

ـ توقّف وإلا أطلقنا النار .

دفع (أدهم) (صوفى) جانبًا ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لا تتبعينى .

وانطلق يعدو كالصاروخ ، وهى تصيح به :

ـ لا تتركنى وحدى .

بلغها الشرطى ، فى هذه اللحظة ، فحدق فى وجهها ذاهلا ، وهو يهتف :

ـ (صوفى لورانو) ؟!

صاحت به فى عصبية :

ـ ماذا هناك أيها الشرطى ؟ .. لماذا أفزعت صديقى هكذا ؟

ردّد فى ذهول :

ـ صديقك ؟! .. ولكنهم أبلغونا أنه ..

تذكّر مهمته بغتة ، فبتر عبارته هاتفًا :

ـ معذرة يا سيّدتى .. لا ينبغى أن نسمح له بالفرار .

انطلق مع زميله خلف (أدهم) ، وانحرفا معًا عند الناصية التالية ، ثم توقفا ذاهلين ، فعلى الرغم من اتساع الطريق وخلوه ، لم يكن هناك أثر لـ (أدهم) تمامًا ..

وفى حيرة ، هرش أحدهما رأسه ، قائلا :

ـ أين ذهب هذا الرجل ؟

أتاه صوت (أدهم) من خلفه ، وهو يقول فى هدوء :

ـ هنا .

استدار الرجلان فى حركة حادة ، وأدار أحدهما فوهة مسدسه ، ولكن قدم

(أدهم) ركلت المسدس فى قوة ، ثم انقضت قبضته على فك الرجل ، فأطاح به بعيدًا ، وهتف الآخر :

ـ لن أسمح لك .

ولكن (أدهم) دار على عقبيه فى مرونة ، ولكم الثانى فى أنفه بقوة ألقته أرضا ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها صوت يموج بالدهشة ، يهتف :

ـ ما الذى تفعله يا رجل ؟

رأى سيارتان من سيارات الشرطة تندفعان نحوه ، ورجالها يستلون مسدساتهم ، فاستدار فى سرعة ، وانطلق يعدو ، والسيارتان تطاردانه فى إصرار ، والمسافة بينه وبينهما تتناقص فى سرعة ، حتى بلغ ناصية قريبة ، فانحرف إلى اليمين فى حركة مباغتة ، وسمع صرير إطارات السيارتين من خلفه ، وقائداهما ينحرفان بهما ؛ لاستكمال مطاردته ، وانطلقت خلفه عدة رصاصات ، أصابت الأرض بين قدميه ، وأحد رجال الشرطة يهتف فى صرامة :

ـ توقف أو نطلق النار عليك مباشرة .

كان يعلم أن السيارتين ستلحقان به حتمًا ، ولكنه واصل عدوه ، حتى بلغ ناصية أخرى فانحرف إليها مرة ثانية ، ثم استلّ مسدسه ، قائلا لنفسه :

ـ يبدو أنه لا مفرّ من المواجهة .

استدار فى حركة مباغتة ، وصوّب مسدسه إلى إحدى السيارتين ، وأطلق النار ..

وأصابت رصاصته إطار السيارة الأمامى الأيسر ، فانفجر كالقنبلة ، وانحرفت السيارة فى عنف ، وارتطمت بإفريز مرتفع يتوسط الطريق ، ثم قفزت فوقه ، وسقطت على الجانب الآخر ، وانقلبت على جانبها الأيسر ، فى حين توقفت السيارة الثانية بصرير مزعج ، وقفز رجالها خارجها ، يطلقون النار على (أدهم) ..

ومن بعيد ظهرت ثلاث سيارات شرطة أخرى ، وتعقدت الأمور أكثر وأكثر ..

وفجأة ظهرت سيارة شرطة ، انحرفت عند المنحنى الأول فى سرعة ، وصرخت إطاراتها ، وهى تتجاوز السيارة المقلوبة ، على الجانب العكسى للطريق ، وتندفع نحو (أدهم) ، الذى صوّب إليها مسدسه متحفزًا ، ولكنه فوجئ بـ (صوفى) تقودها ، وتهتف به ، وهى تفتح الباب الآخر :

ـ أسرع أيها الوسيم .

اندفع نحو السيارة ، ورصاصات الشرطة تطارده ، وقفز داخلها ، فزادت (صوفى) من سرعتها ، وهى تقول فى سعادة :

ـ هل تروق لك طريقة إنقاذى لك هذه ؟

ابتسمت فى زهو ، قائلة :

ـ إنها سيارة الشرطيين ، اللذين أزحتهما عن طريقك فى البداية .

كانت تتحدث كما لو أنها تصف لعبة جميلة ، فتطلع إليها فى دهشة ، قبل أن يهز رأسه ، قائلا بالعربية :

ـ يا للنساء !

سألته :

ـ ماذا تقول ؟

أجابها بالإيطالية :

ـ إنها مجرد كلمة .

وتطلع فى مرآة السيارة إلى سيارات الشرطة الأربع ، التى واصلت مطاردته فى غضب ، ثم قال لها فى حزم :

ـ هيا .. اتركى لى مقعد القيادة .

قالت معترضة :

- ولكننى أقود جيدًا .

دفع قدمه جانبًا ، وضغط فرامل السيارة ، قائلًا :

- لا وقت للنقاش .

ثم انتزعها من مقعدها ، وتبادل معها المقاعد فى حركة سريعة ، وهى تهتف :

- لماذا لا تثق بى ؟

لم يجب تساؤلها الطفولى ، وهو يدفع عصا السرعة ، ويضغط دوّاسة الوقود ، وهو يرفع يده عن كامح السيارة ، فأطلقت الإطارات صريرًا عنيفًا ، وانطلقت السيارة كالصاروخ ، و (صوفى) تهتف :

- أوه .. يالها من انطلاقة !

انطلق بالسيارة من تلك الطرق الجانبية ، إلى طريق رئيسى مزدحم ، وراح يراوغ السيارات فى سرعة ومهارة ، فى حين ارتبكت سيارات الشرطة المطاردة ، واضطرت إحداها للتوقف ، مع ازدحام الطريق ، فى حين اتخذت ثانية طريقًا جانبيًا مختصرًا ، واتجهت السيارتان الأخريان خلف سيارة (أدهم) ، الذى تجاوز الطريق المزدحم فى سرعة ، وانطلق منه إلى طريق هادىء نسبيًا ، أطلق فيه العنان لسرعة سيارته ، و (صوفى) متشبّثة بمقعدها ، تراقب الطريق فى صمت ..

وفجأة ظهرت سيارة الشرطة ، التى اتخذت الطريق المختصر ، واعترضت طريق سيارة (أدهم) ، الذى هتف بـ (صوفى) :

- تشبثى بمقعدك جيدًا .

أطاعته على نحو طبيعى ، فى حين واصل هو انطلاقه ، نحو السيارة المعترضة ، حتى بلغها ، فجذب فرامل اليد فى حركة مباغتة ، وأطلقت السيارة صرخة عنيفة ، قبل أن يفلت هو فرامل اليد ، ويزيد من السرعة ، و ..

وقفزت السيارة فوق سيارة الشرطة ..

وأطلقت (صوفى) شهقة قوية ، والسيارة تطير فى الهواء ، ثم تهبط على إطاراتها الأمامية ، وتقفز كحيوان (كنغر) صغير ، ثم تستقر على إطاراتها الأربعة ، وتواصل انطلاقها مبتعدة ..

وفى مزيج من الحماس والانفعال ، صاحت (صوفى) :

- ما أروع هذا !

ثم أضافت مبهورة :

- إننى أدين لك بالاعتذار حتمًا .

سألها وهو يواصل الابتعاد :

- بأية مناسبة ؟

ابتسمت قائلة :

- بمناسبة أننى تصورت أننى أجيد القيادة .

قال فى بساطة :

- إننى أقبل اعتذارك .

تطلعت إليه فى إعجاب وانبهار ، وقالت :

- هيا .. سننطلق إلى منزلى .. لن تجد مكانًا أفضل للاختباء .

قال فى حزم :

- لا وقت للاختباء .. لقد نجح ذلك العميل الوغد فى الفرار ، ولابد لى من العثور عليه ، قبل أن تباع أسرارنا على الأرصفة ، فى (موسكو) و (واشنطن) .

سألته معترضة :

- وأين ستبحث عنه ؟

أجابها :

- في المطار .. من المؤكد أنه سيسعى لمغادرة (روما) كلها ، بعد أن أصبحت مكانًا بالغ الخطورة ، بالنسبة إليه .

عقدت حاجبيها لحظات مفكرة ، ثم قالت في حسم :

- اتجه إلى منزلي إذن .

همّ بالاعتراض ، فأضافت في سرعة :

- لي عدد من الأصدقاء في المطار ، ويمكنهم مساعدتك ، في هذا الشأن .

كانت حجتها مقنعة ، فأوقف السيارة في شارع جانبي مقفر ، وتركاها إلى سيارة من سيارات الأجرة ، اصيب قائدها بالانبهار ، عندما علم أنه يحمل في سيارته (صوفي لورانو) ، ولم يتوقف عن الثناء عليها لحظة واحدة ، حتى أوصلهما إلى منزلها ، ورفض رفضًا باتًا أن يتقاضى أي أجر ، مكتفيًا بصورة شخصية من صور (صوفي) ، ألصقها على زجاج سيارته في عناية شديدة ، وهو يبتعد بالسيارة ، فقال (أدهم) :

- يبدو أنني شديد الجهل بالسينما والفنون .

ضحكت قائلة :

- هذا أفضل .

عبرا معًا بوابة الفيلا الضخمة ، بعد أن ضغطت (صوفي) زرًا خفيًا ، وهي تقول في مرح :

- أنا أيضًا لدي أبواب سرية ، ..

بترت عبارتها بغتة ، عندما ظهر ذلك الرجل الضخم ، الذي انقضّ على (أدهم) بغتة ، وأسقطه أرضًا ، ثم استلّ مديته ، وهوى بها على القلب مباشرة ..

على قلب (أدهم) .



١٠ – هوية جديدة ...

كانت الطعنة تتجه إلى قلب (أدهم) مباشرة ، إلا أن يده كانت أسرع بكثير من يد خصمه ، فأمسك معصمه ، قبل أن يبلغ نصل المدية صدره ، وهو يقول في سخرية :

- خطأ يا رجل .. لا تعبث بهذه الآلات الحادة .

ثم لكم الرجل في معدته لكمة كالقنبلة ، مضيفًا :

- فاستعمالها لن يورثك سوى شيء واحد .

وأعقب لكمته بأخرى كالصاعقة ، في أنف الرجل ، مستطردًا :

- الألم

قالها وهو يحمل الرجل ، ويدفع قدميه في معدته ، ويلقيه خلفه في قوة ، ثم يقفز واقفًا على قدميه ، في حين أطلق الرجل خوارًا كالثور ، وأخرج مسدسه ، وصوّبه الى (أدهم) ، و ...

(كارلو) ..

نطقتها (صوفي) في صرامة ، بدت متناقضة تمامًا مع رقتها ، فتوقف الرجل في غضب ، وتطلّع إليها في توتر ، و (أدهم) يعيد ربط رباط عنقه في هدوء ، قائلًا :

- أهو حارسك الخاص ؟

تنهدت قائلة في مرارة :

- للأسف

زمجر الحارس الخاص غاضبًا ، وقال :



قالها وهو يحمل الرجل ، ويدفع قدميه فى معدته ، ويلقيه خلفه فى قوة ، ثم يقفز واقفا على قدميه ، فى حين أطلق الرجل خوارا كالثور ، وأخرج مسدسه ، وصوبه الى (ادهم) ..

ـ رجال الشرطة أتوا إلى هنا ، وقالوا إن هذا الرجل اختطفك .

صاحت به :

ـ وهل صدقتهم أيها الغبى ؟

عقد حاجبيه الكثين ، وهو يغمغم :

ـ وهل يكذب رجال الشرطة ؟

لوّحت بكفها ، قائلة :

ـ كل الناس تفعل .

ثم سألته فى اهتمام :

ـ هل أبلغت منتجى (فابيو) بأمر الاختطاف المزعوم هذا ؟

هزّ رأسه نفياً ، وقال :

ـ ليس بعد .. خشيت أن أفعل فـ ..

قاطعته فى ارتياح :

ـ حسناً فعلت .. سأمنحك مكافأة سخية مقابل هذا .

تهللت أساريره ، وبدا أشبه بطفل صغير ، على الرغم من ضخامته ، وهو يقول :

ـ أشكرك يا سنيوريتا .. أشكرك كثيرًا .

قالت فى حماس :

ـ وسأمنحك ثلاثة أضعاف هذه المكافأة ، لو ظل وجود السنيور (صبرى) هنا سرًّا ، لا يعلمه سوانا .

قال الحارس فى سعادة :

ـ سنيور (صبرى) .. إننى لم أر أو أسمع شيئاً عن سنيور (صبرى) هذا .. أطمئنى يا سنيوريتا .. لن يعلم مخلوق واحد بوجود سنيور (صبرى) هنا .

ابتسمت فى ارتياح ، والتفتت إلى (أدهم) ، قائلة :

- والآن هيا بنا نجرى تحرياتنا الخاصة .

لم تمض دقائق ، بعد عبارتها هذه ، حتى كانا يقفان فى ردهة الفيلا ، و (صوفى) تتحدث إلى أحد أصدقائها فى المطار ، قائلة :

- نعم يا عزيزى (مارشيلو) .. اسمه (أكرم حسين) ، وهو مصرى .. نعم .. مصرى .. لا .. لم يسبب لى أية أضرار ، ولكن أمره يهم أحد أعز أصدقائى ، وهو يرغب فى معرفة ما إذا كان (أكرم) هذا قد غادر (روما) أم لا ..

انتظرت لحظات ، وأغلقت بوق المسماع بكفها ، قائلة :

- سيبحث فى الكمبيوتر عن الاسم .

ثم هتفت عبر سماعة الهاتف :

- نعم يا (مارشيلو) .. هل عثرت عليه ؟

التقى حاجباها ، وهى تستمع إليه فى اهتمام ، ثم قالت :

- حسناً يا (مارشيلو) .. أشكرك .. أشكرك كثيراً .

وأنهت المحادثة ، وهى ترفع عينيها إلى (أدهم) قائلة :

- لقد أفلت الطير للأسف .

شعر بالضيق ، وهو يسألها :

- أين ذهب ؟

أجابته :

- إلى عاصمة النور والفن والحب .. إلى (باريس) .

واغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تستطرد :

- وسترحل خلفه بالتأكيد .. أعلم هذا .

وانهمرت دموعها فى صمت ..

وفى تعاطف شديد ، مسح (أدهم) دموعها بأصابعه ، قائلاً فى صوت خافت:

- إنها ليست نهاية العالم .

التقطت أصابعه بكفها ، وسألته فى حزن :

- أتظننا سنلتقى مرة أخرى ؟

ابتسم ابتسامة مشفقة ، وهو يقول :

- من يدرى ؟! .. ربما ؟!

شردت ببصرها لحظات ، قبل أن تقول :

- نعم .. من يدرى ؟

أفلت أصابعه من بين أصابعها فى رفق ، ثم قال :

- ولكن السفر إلى (باريس) يحتاج إلى جواز سفر جديد ، فمن المؤكد أن رجال الشرطة قد وزعوا نشرة بأوصافى فى كل منافذ الخروج من (روما) .

سألته فى قلق :

- وماذا ستفعل فى هذا الشأن ؟

هز كتفيه قائلاً :

- ليست لدى خطة محددة .

ثم التقط سماعة الهاتف ، مستطرداً :

- ولكن ربما وجدت الحل فى (القاهرة) .

وأدار رقماً خاصاً ..

رقم إدارة المخابرات العامة المصرية ..

* * *

« الآن فهمت .. »

توقف (قدرى) عن روايته ، وهو يتطلع إلى (منى) ، ويسألها :

- فهمت ماذا ؟

ابتسمت قائلة :

- فهمت كيف التقيت بـ (أدهم) .. لقد سافرت إليه فى (روما) ، ومنحته جواز السفر الزائف .. أليس كذلك ؟

ضحك قائلا :

- أخطأت هذه المرة أيضًا .

هتفت :

- كيف ؟! .. ألم تقل إنها كانت أوّل مرة ، تلتقى فيها بـ (أدهم) ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

- هذا صحيح ، ولكننى لم ألتق به فى (روما) .

مطّت شفتيها ، قائلة :

- يبدو أن كل استنتاجاتى لا تصيب هدفها اليوم .. من صنع جواز السفر الزائف إذن ؟

هزّ رأسه قائلا :

- لا أحد .

هتفت فى دهشة :

- ما الذى يعنيه هذا ؟

ضحك قائلا :

- يعنى أن (أدهم) لم يسافر بجواز سفر مزوّر .. بل بجواز سفر حقيقى .

امتلأت ملامحها بالحيرة ، وهى تقول :

- كيف حدث هذا ؟

أجابها مبتسما :

- لقد اتصل بالإدارة هنا ، وأخبروه أنهم يستطيعون إرسال جواز السفر إليه فى أوّل طائرة ، أى بعد يوم ونصف اليوم ، ولم يكن هو مستعدًا للانتظار طويلًا ، وكان عليه أن يبحث عن وسيلة أسرع .

سألته فى فضول :

- وما هذه الوسيلة ؟

أجاب فى حماس :

- لقد استغل مواهبه .

هتفت ، وقد اشتعل فضولها أكثر وأكثر :

- كيف ؟

ملأ صدره بالهواء ، ومال نحوها ، و ..

وواصل روايته ..

★ ★ ★

أنهى (أدهم) محادثته ، وجلس على المقعد المجاور للهاتف ، يفكّر فى عمق ، فسألته (صوفى) فى اهتمام :

- لماذا تبدو مهمومًا هكذا ؟

لوّح بكفه ، قائلًا :

- الوقت ليس فى صالحى .

ثم اعتدل يسألها فجأة :

- أتعرفين شخصًا له مثل قامتى ؟

سألته فى دهشة :

- لماذا تسأل ؟

لم يجب سؤالها ، وهو يتطلع إليها فى صمت ، فقالت :

- نعم .. أعرف شخصا وثيق الصلة بى ، له مثل قامتك تقريبا .

قال فى اهتمام :

- اتصلى به إذن ، واطلبى منه الحضور إليك على الفور ، حاملا جواز سفره .

حدقت فى وجهه بدهشة ، وهى تقول :

ـ لماذا ؟

أجابها فى صرامة :

ـ ستعرفين فيما بعد .. أيمكنك هذا أم لا ؟

قالت فى حدة :

ـ يمكننى بالطبع .

والتقطت سماعة الهاتف ، وضغطت أزراره فى سرعة ، وقالت :

ـ مساء الخير يا (كليف) .. أنا (صوفى) .. هل يمكنك الحضور إلى هنا ، ومعك جواز سفرك ؟! .. نعم .. إنه أمر هام .. لا تلق مزيدا من الأسئلة يا (كليف) .. هل يمكنك الحضور أم لا ؟ .. حسنا .. سأنتظرك .

وأعادت السماعة إلى موضعها ، قائلة :

ـ سيأتى .

ابتسم قائلا :

ـ عظيم .

سألته فى قلق :

ـ ما الذى ستفعله به ؟

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

ـ سأثير دهشته .. سأثيرها إلى أقصى حد .

وتضاعفت حيرتها ..

* * *

هبطت طائرة (روما) فى مطار (شارل ديجول) فى (باريس) ، وعبر (أكرم) المنطقة الجمركية فى سهولة ؛ لأنه لم يكن يحمل أمتعه ، واتجه مباشرة إلى شباك مكتب بطاقات الاعتماد ، وأبرز بطاقته ، قائلا :

ـ هل يمكننى الحصول على مبلغ نقدى ؟

أجابته موظفة الشباك :

ـ نعم .. يمكنك أن تسحب خمسمائة دولار على الأكثر .

قال فى لهفة :

ـ إلىّ بها إذن .

حصل على النقود ، واستأجر ببطاقته سيارة رياضية صغيرة ، واتجه إلى فندق من فنادق الدرجة الثانية ، وحصل على حجرة من حجراته ، ولم يكد يستقر فيها ، حتى التقط سماعة الهاتف ، وسأل موظفة الاستقبال :

ـ هل يمكننى إجراء محادثتين هاتفتين داخليتين ، وثالثة عبر البحار ؟

أجابته الموظفة :

ـ نعم .. يمكنك هذا بالتأكيد ، وستضاف قيمة المحادثات على فاتورة الفندق .

التقى حاجباه ، وهو يقول :

ـ حسنا .. أريد الاتصال بالملحق العسكرى للسفارة السوفيتية ، والملحق العسكرى للسفارة الأمريكية ، وبهذا الرقم فى (القاهرة) .

أخبرها بالأرقام الثلاثة ، ثم وضع سماعة الهاتف ، فى انتظار المكالمات ، وأطلت من عينيه شراسة عجيبة ، وهو يقول :

ـ الآن تبدأ لعبتى .. وسنرى من ينتصر فى النهاية .

كان يبدو وكأن الأهوال التى مر بها قد أبدلت شخصيته ، وتركت فى أعماقه شراسة لا حد لها ..

شراسة رجل فقد كل انتماء ..

وكل رحمة ..

* * *

كتمت (صوفى) ضحكتها ، وهى تتطلع الى (كليف) ، الذى بدا شاحب الوجه ، شديد الذعر ، وهو يلوّح بذراعيه ، هاتفا للمفتش (ماريو) :

ـ لن تصدق هذا أبدا .. لقد حضرت إلى هنا ، ومعى جواز سفرى ، كما طلبت منى (صوفى) ، وفوجئت بذلك الرجل هنا ، وقد صوب إلىّ مسدسه ، واجبرنى على الجلوس أمامه ، ثم أحضر بعض المساحيق والأدوات ، وراح يستعملها فى مهارة مذهلة ، حتى أصبح وجهه صورة طبق الأصل من وجهى .. أنا نفسى يمكننى أن أشك فى أنه أنا .

رفع (ماريو) حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :

ـ الى هذا الحد ؟

هتف (ماريو) :

ـ سل (صوفى) نفسها .

التفت (ماريو) إلى (صوفى) ، التى قالت فى حرارة مصطنعة :

ـ هذا صحيح .. أنا نفسى أصابنى الذهول .

ابتسم ابتسامة باهتة ، أسرع يخفيها خلف قناع من الصرامة ، وهو يقول :

ـ ولماذا اتصلت بـ (كليف) يا سنيوريتا (صوفى) ؟

وضعت يديها على صدرها ، وهتفت :

ـ لقد أجبرنى .. صوّب مسدسه إلىّ ، وأمرنى باتصال بـ (كليف) .. كنت مرغمة .

وانفجرت باكية بلا دموع ، واعترف (ماريو) فى أعماقه بأنها بارعة حقًا فى فن التمثيل ، ولكنها أخطأت القول ، فليس من المنطقى أن يأمرها مختطفها بالاتصال بـ (كليف) ، وهو لا يعلم شيئًا حتى عن وجوده ، إلا أن (ماريو) تجاوز هذه النقطة ، وهو يسأل (كليف) :

ـ ولماذا فعل هذا ؟

أجابه (كليف) ملتاعا :

ـ ربما ليغادر البلاد .. لقد استولى على جواز سفرى .

أومأ (ماريو) برأسه ، قائلا :

ـ من المؤكد أن هذا هو السبب .

صاح به (كليف) :

ـ أريد جواز سفرى أيها المفتش .. ألق القبض على هذا الرجل ، وأعد إلىّ جواز سفرى .

تنهد (ماريو) ، قائلا :

ـ بالتأكيد يا سنيور (كليف) .. سنفعل ما بوسعنا ، ونحاول إلقاء القبض على ذلك الرجل .. هذا لو عاد إلى (روما) .

اغرورقت عينا (صوفى) بالدموع ، وهى تقول :

ـ نعم .. هذا لو عاد .

وتركت دموعها تنهمر فى حرارة ..

* * *

أشرقت الشمس على (باريس) ، فى الصباح التالى ، وألقت ظلًا ضخما أمام برج (ايفل) ، وبدأ النشاط والحركة فى العاصمة الفرنسية ، والكل يذهب إلى عمله فى حيوية ..

وفى ساحة البرج ، وقف (أكرم) مستندا إلى سور قصير ، وقد رفع ياقة معطفة ، ليخفى بها نصف وجهه ، وأمسك بيده جريدة (لوفيجارو) ، يلوّح بها فى حركة عجيبة ، غير مألوفة ..

ثم ظهرت تلك السيارة الأمريكية الطراز ، وتوقفت خارج ساحة البرج ، وهبط منها رجل ممشوق القوام ، عريض المنكبين ، يخفى عينيه بمنظار داكن ، ويصفّف شعره على نحو أنيق ، جعله أشبه بنجم سينمائى شهير ،

وقطع ذلك الرجل ساحة البرج فى خطوات سريعة ، حتى بلغ (أكرم) ، فقال فى اهتمام :

- مسيو (كارل) .

أجابه (أكرم) :

- أنا هو .. أأنت ..

أكمل الأمريكى :

- (ستيف كونواى) .. الملحق الثقافى بالسفارة الأمريكية .. لقد تحدثنا أمس ، عند اتصالك بالملحق العسكرى .

قال (أكرم) :

- نعم .. أعلم هذا .

تطلع إليه الأمريكى بضع لحظات ، ثم سأله فى اهتمام :

- تقول إنك كنت تعمل فى المخابرات المصرية .. أليس كذلك ؟

أجابه (أكرم) ، وهو يتلفت حوله فى حذر

- بلى .. وأحمل أشياء تهمكم .

سأله (ستيف) :

- وما طبيعة هذه الأشياء بالضبط ؟

ازدرد (أكرم) لعابه ، وقال :

- شرائط تسجيل ، تحوى كل المحادثات السرية ، بين المصريين والسوفيت ، خلال الأعوام الخمسة الماضية .

بدا الاهتمام الشديد على وجه (ستيف) ، وهو يسأله :

- ومن يضمن لنا أنها تسجيلات حقيقية ، وليست مجرّد تمثيلية احتيالية ؟

أجابه (أكرم) فى عصبية :

- لا ريب أنكم تعرفون بعض الأسرار الواردة فيها .. أليس كذلك ؟

تطلّع إليه (ستيف) لحظات فى صمت ثم ابتسم قائلًا :

- بالتأكيد .

وصمت لحظة أخرى ، قبل أن يسأل :

- وكم تطلب ثمنًا لما لديك يا مستر (كارل) ؟

ازدرد (أكرم) لعابه مرة أخرى ، وقال :

- عشرة ملايين دولار .

مط (ستيف) شفتيه ، وهز رأسه ، قائلا :

- عشرة ملايين .. لا بأس .. سأنقل العرض إلى المسئولين .

سأله (أكرم) فى عصبية :

- ألا يمكنك البت فى الأمر على الفور ؟

هزّ (ستيف) رأسه نفيًا فى هدوء ، وهو يقول :

- لا يا مستر (كارل) .. لا يمكننى هذا .

ثم استدار مستطردًا :

- سنلتقى غدًا ، فى نفس الموعد والمكان يا مستر (كارل) .

قالها وعاد إلى السيارة الأمريكية فى خطوات سريعة ، فهتف (أكرم) فى حنق :

- اللعنة !

واتجه إلى سيارته الرياضية الصغيرة ، وقفز داخلها ، ثم انطلق يجتاز شوارع (باريس) ..

وفى مهارة ، تبعته السيارة الأمريكية ، وقائدها يسأل (ستيف) :

- أتظنه يفعل ما نتوقّعه ؟

أجابه (ستيف) فى هدوء :

- بالتأكيد يا عزيزى (أرنولد) .. إنه رجل يخون دولته ، وكل الخونة

يمتازون بالطمع والجشع ، وإذا مالاحت لأحدهم فرصة للحصول على مزيد من المال ، فهو لا يتورّع عن استغلالها ، وإلى أقصى حد .. وما دام موقعه ، فى المخابرات المصرية ، كان يتيح له الحصول على تسجيلات للمحادثات السرية المصرية السوفيتية ، فمن المحتم أنه كان يتيح له الحصول على تسجيلات المحادثات الأمريكية المصرية أيضًا وسيسعى بالضرورة لاستغلال هذه التسجيلات ؛ ليربح بعض الملايين الإضافية من السوفيت ..

قال (أرنولد) فى حدة :

- سأقتله لو فعل .

ضحك (ستيف) ، وهو يقول :

- ليس قبل حصولنا على التسجيلات الخاصة بالسوفيت يا صديقى .

أومأ (أرنولد) برأسه إيجابًا ، وقال :

- أوافقك على هذا .. سنحصل على تسجيلاتهم أوّلًا ، ثم نتخلّص منه .

واصل تتبعه لسيارة (أكرم) ، حتى وصل إلى قوس النصر ، وهناك غادر (أكرم) السيارة ، واتجه إلى طريق جانبى ، ووقف ينتظر فى عصبية ، و (ستيف) يراقبه بمنظار مقرّب ، حتى لاحت له امرأة بالغة الطول ، باردة الملامح ، ترتدى معطفًا من الفراء ، تدس كفيها فى جيبه ، وهى تتجه إلى حيث يقف (أكرم) ، فهتف :

- يا للمفاجأة ! .. (مارتينا عظيموف) بنفسها !! .. من الواضح أن أصدقاءنا السوفيت يولون مالدى (كارل) هذا اهتمامًا بالغًا .

وأخذ يراقب الموقف فى اهتمام بالغ ..

وهناك ، فى الطريق الضيق ، اتجهت السوفيتية إلى حيث يقف (أكرم) ، وقالت فى برود ينافس برودة ملامحها :

- الرفيق (كارل) حسبما أعتقد .

التفت (أكرم) يتطلع إليها فى دهشة ، قبل أن يسألها :

- من أنت ؟

أجابته بالإنجليزية :

- الرفيق (مارتينا عظيموف) ، من دائرة الأمن الخاص ، بالسفارة السوفيتية .

قال فى عصبية :

- لست أعلم شيئًا عنك .. لقد تحدثت إلى ..

قاطعته فى برود :

- إلى الرفيق (أندريه رابينوفيتش) .. المستشار العسكرى والسياسى .. نعم أعلم هذا .. ولقد كلفنى الرفيق (أندريه) الحضور إليك ، ومعرفة مالديك .

سألها فى حدة :

- ولماذا لم يأت بنفسه ؟

أجابته فى شىء من الصرامة :

- إنه لا يضيع وقته ، قبل معرفة طبيعة الشىء ، الذى سيضيع وقته من أجله .

قال فى حدة .

- لدى الكثير مما يهمكم .

سألته :

- مثل ماذا ؟

ازدرد لعابه فى توتر ، وهو يقول :

- مثل شرائط تسجيل ، تحوى كل أسرار العلاقات المصرية الأمريكية السرية .

بدا على وجهها شىء من الاهتمام ، لم يلبث أن تجمّد مع برودة ملامحها ، وهى تقول :

- وكم تطلب ثمنا لهذه الشرائط ؟
أجاب فى حدة :
- عشرة ملايين دولار .
ثم أضاف متوترًا :
- ولن أقبل المساومة .
تطلعت إليه لحظة فى صمت ، قبل أن تسأله :
- أتعلم ما الذى يمكن فعله بمبلغ كهذا ، فى الاتحاد السوفيتى ، أيها الرفيق (كارل) ؟
قال فى عصبية :
- نعم .. يمكننى شراء (الكريملين) نفسه ، ولكن هذا لا يعنينى أيتها السوفيتية .. اجمعوا المبلغ بأية وسيلة ، ولكنكم لن تحصلوا على الأشرطة بدونه .
بدت له ملامحها أشد برودة من ذى قبل ، وهى ترمقه بنظراتها القاسية الصامتة ، قبل أن تقول :
- حسنًا .. سأنقل عرضك إلى الرؤساء .
قال فى حدة :
- لن أنتظر طويلا .. سنلتقى هنا غدا ، فى نفس الزمان والمكان ، وإلا فسأجد من يشترى مالدى .
سألته :
- مثل من ؟
أجاب فى توتر :
- الأمريكيون مثلا .
أطلت من عينيها وحشية مباغتة ، سرت لها فى جسده قشعريرة مخيفة ، قبل أن تقول ببرودها المتناهى :

- غدا ، فى نفس الزمان والمكان .
واستدارت منصرفة بخطوات واسعة ، وتابعها هو ببصره فى عصبية ، ثم اتجه إلى سيارته ، وانطلق بها عائدا إلى فندقه ، وتبعه (ستيف) و (آرنولد) بسيارتهما الأمريكية فى حذر ، حتى بلغ الفندق ، فغمغم (آرنولد) :
- إنه يقيم فى فندق من فنادق الدرجة الثانية .
تمتم (ستيف) مبتسما :
- إنها أفضل وسيلة للتمويه يا صديقى .
أومأ برأسه متفهمًا ، ولاذ بالصمت ، منتظرًا اقتراحات (ستيف) ، فى حين كان (أكرم) قد بلغ حجرته ساخطًا ، ودفع بابها فى غضب ، قائلا لنفسه :
- الجميع أوغاد .. كلهم يتلاعبون بى .
انتفض فى رعب ، عندما سمع من داخل الحجرة صوتا ساخرا يقول :
- ربما لأنك أشبه بالدمية .
حدق فى وجه الرجل الجالس أمامه فى رعب ، وتراجع كالمصعوق هاتفا :
- أنت ؟
صوّب إليه (أدهم) مسدسه ، وهو يقول فى سخرية :
- معذرة يا رجل .. هل أفزعتك ؟
قال (أكرم) فى توتر :
- بالتأكيد .
أجابه (أدهم) ساخرًا :
- يا للخسارة ! .. إنك حتى لم تمت من شدة الفزع .
صاح به (أكرم) :

- ماذا تريد منى بالضبط ؟

أجابه فى صرامة ، وهو ينهض من مقعده ويتجه إليه :

- لست أريد منك شيئًا ، وإنما أريدك شخصيًا .

وجذبه داخل الحجرة ، وصفق بابها فى عنف ، مستطردًا :

- لقد وعدتك بالعودة معى إلى (القاهرة) .. هل تذكر هذا ؟

حاول (أكرم) أن يتملّص منه ، صائحًا :

- كيف وجدتنى ؟

أجابه (أدهم) فى سخرية :

- ياله من سؤال سخيف ؟! .. إنك تستخدم جواز سفرك يا رجل ، وتسافر باسمك الحقيقى ، فكيف يكون من العسير أن أعثر عليك ؟

همّ (أكرم) بقول شىء ما ، عندما دق الباب فجأة ، فجذب (أدهم) (أكرم) إليه ، فى حركة سريعة ، وكتم فمه بكفه فى قوة ، وهو يقول :

- من بالباب ؟

نطقها بالإنجليزية ، وبصوت يطابق صوت (أكرم) تمامًا ، مما أصاب هذا الأخير بالذهول ، وهو يسمع (أدهم) يقول العبارة بصوته هو ، ثم سمع صوتًا من خلف اباب ، يقول فى هدوء :

- خدمة الغرف .. هناك استمارة خاصة ، ينبغى أن توقّعها يامسيو (كارل) .

التقى حاجبا (أدهم) ، وهو يسأل (أكرم) فى صرامة ، وبصوت هامس :

- هل وقّعت أوراق الفندق باسم (كارل) ؟

هزّ (أكرم) رأسه نفيًا فى عصبية ، فصوّب (أدهم) مسدسه إلى الباب ، وقال مستخدمًا صوت (أكرم) مرة أخرى :

- يمكنك تمريرها من أسفل الباب .

كان يتوقع اعتراضًا ، ولكن صاحب الصوت قال فى هدوء :

- لا بأس .. ها هى ذى .

تطلّع أسفل الباب فى حذر ، ورأى ورقة بيضاء تعبر الفراغ بين الباب وأرضية الحجرة ..

وفجأة سمع ذلك الصوت الخافت خلفه ، فالتفت إلى مصدره فى سرعة ، فى نفس اللحظة التى انقضت عليه فيها (مارتينا) ، واقتحم زميلها (أندريه) الحجرة ..

كان هجومًا مزدوجًا منفذًا فى مهارة ، وبسرعة كبيرة ، تليق بمحترفين ، مثل (أندريه) و (مارتينا) ، ولكن (أدهم) تفادى انقضاضة (مارتينا) فى مهارة ، على الرغم من عامل المفاجأة ، ودار على عقبيه لمواجهة (أندريه) ، إلا أن (أندريه) كان سريعًا بدرجة كافية ، فهوى على فك (أدهم) بلكمة قوية ، جعلته يتراجع خطوة إلى الوراء ، فقفزت (مارتينا) ، وضربته بقدمها فى صدره ..

وعلى الرغم من عنف الضربتين ، استعاد (أهم) توازنه وقوته فى سرعة ، وتفادى لكمة أخرى من قبضة (أندريه) ، ثم كال له لكمة كالقنبلة ، ارتد لها السوفيتى فى عنف ، وكاد يسقط أرضًا ، فى نفس اللحظة التى انقضت فيها (مارتينا) على (أدهم) ، وحاولت أن تضربه بقدمها فى صدره مرة أخرى ، فقفز جانبًا ، وأمسك قدمها ، ودفعها فى قوة ، ففقدت توازنها ، وسقطت على ظهرها ..

وفى سرعة ، أخرج (أندريه) مسدسه ، المزوّد بكاتم للصوت ، وصوّبه إلى (أدهم) ، دون أن ينطق بكلمة واحدة ..

وضغط الزناد ..

وانطلقت رصاصة صائبة ..

وأصابت الهدف .



١١ ـ الحروب الباريسية ...

انتفض جسد (منى) فى عنف ، عندما بلغ (قدرى) هذه المرحلة فى روايته ، وهتفت فى هلع :

ـ هل أصيب ؟!

تطلع اليها (قدرى) فى دهشة ، وقال :

ـ اطمئنى .. إنه لم يمت .

هتفت :

ـ بالطبع .. إنها قصة قديمة ، وكلانا يعلم أنه لم يمت ، ولكنك قلت إن الرصاصة أصابت هدفها .

أومأ برأسه إيجابا ، وقال :

ـ نعم .. أصابته ، وبمنتهى الدقة والإحكام .

قالت فى انفعال :

ـ إذن فقد أصيب (أدهم) .

ابتسم (قدرى) فى خبث ، وقال :

ـ لماذا تتعجلين الأمور ؟

قالت فى حدة :

ـ أسلوبك فى رواية الأحداث يثير أعصابى .

رفع حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهتف :

ـ حقًا ؟!

ثم التفت الى منضدة العمل ، مستطرداً :

ـ لا تعذبى نفسك بسماع باقى الرواية إذن .

شعرت بالغضب لحظة ، ثم لم تلبث أن انتبهت إلى أنه يداعبها ، فأطلقت ضحكة قصيرة ، وقالت مبتسمة :

ـ يا لك من سخيف !

التفت إليها ضاحكاً ، وهو يقول :

ـ إننى أصبح هكذا دائماً ، عندما أشعر بالجوع .

هتفت فى دهشة :

ـ الجوع ؟! .. ولكنك التهمت حتى الآن خمس شطائر .

قال معترضاً :

ـ إنها شطائر صغيرة الحجم .

قالت مبتسمة :

ـ حسناً .. سأحضر لك وجبة فاخرة ، ولكن بعد أن تخبرنى بما حدث .

قال فى تخابث ، وهو يرفع أحد حاجبيه :

ـ خمنى ماذا حدث ؟

أجابته فى سرعة :

ـ الرصاصة التى انطلقت لم تكن رصاصة (أندريه) .

سألها :

ـ كانت رصاصة من إذن ؟

قالت فى حماس :

ـ رصاصة الأمريكى (ستيف) ، أو زميله (أرنولد) .. لقد صعدا إلى حجرة الفندق ، وأطلقا الرصاص على مسدس السوفيتى ، حتى يمكنهما اختطاف (أكرم) .

انفجر فجأة ضاحكاً ، وراح جسده يهتز على نحو عجيب ، وهو يطلق

ضحكاته العالية ، فهتفت به (منى) :
- ما الذى يضحكك هذه المرة ؟
لوّح بكفه ، قائلاً :
- إننى أرثى لحالك يا عزيزتى (منى) .
ردّدت فى دهشة :
- ترثى لحالى ؟ ! لماذا ؟
لوّح بسبابته فى وجهها ، قائلاً :
- كل استنتاجاتك هذا اليوم فاشلة .
انعقد حاجباها وهى ، تسأله :
- من اطلق الرصاصة إذن .
ابتسم فى جزل ، قائلاً :
- سأخبرك ، ولو أنه من المستحيل أن تستنتجى هذا قط .
وواصل روايته ..

* * *

كان (أندريه) يصوّب مسدسه إلى (أدهم) فى أحكام ، عندما انطلقت تلك الرصاصة ، من موضع باب الحجرة ، وأطاحت بمسدسه حتى نهايتها ..
وفى حركة واحدة ، التفت الجميع إلى مصدر الرصاصة ، وهتف (أدهم) فى دهشة :
- أنت ؟ !
صفقت (صوفى) بكفيها كالأطفال ، وهى تقول فى فرح :
- لقد وصلت فى اللحظة المناسبة ، تماماً كأفلام المغامرات .
وإلى جوارها كان يقف حارسها الخاص (كارلو) ، والدخان ما يزال يتصاعد من فوهة مسدسه ، وهو ينظر إلى الجميع فى صرامة ، فقال (أدهم) :

- اعترف أنك وصلت فى الوقت المناسب هذه المرة .
قالت (مارتينا) فى برود :
- نعم .. بعد فرار (كارل) .
تلفت (أدهم) حوله فى دهشة ، وانعقد حاجباه فى غضب ، وهو يهتف :
- لقد هرب بالفعل .
واندفع يعدو مغادراً المكان ، فصاحت به (صوفى) :
- ليس من اللياقة أن تتركنى هكذا .
ولكن قفز درجات السلم قفزاً ، فى طريقه إلى الشارع ، فمطت شفتيها كالأطفال ، وهتفت :
- ليس من اللياقة أن يفعل .
سألها (كارلو) فى خشونة طبيعية :
- ماذا سنفعل بهذين ؟
قالت فى ضيق :
- كالمعتاد .
انعقد حاجبا (أندريه) ، وتوترت عضلات (مارتينا) فى شدة ، وتصوّر كلاهما أن (كارلو) سيطلق النار عليهما بلا تردد ، ولكنهما فوجئا (بصوفى) تكمل :
- سنتركهما يرحلان .
حدّق (أندريه) فى وجهها بدهشة ، وهتف :
- نرحل ؟ !
أشارت إليه ، قائلة فى ضجر :
- نعم .. ارحلا .. هيا .
أسرع يغادر المكان ، وخلفه (مارتينا) ، التى ألقت نظرة طويلة

على (صوفى) ، ثم قالت فى برود :

ـ سنلتقى مرة أخرى حتماً .

لم تبال (صوفى) بعبارتها ، وإنما التفتت إلى (كارلو) ، الذى يعيد مسدسه إلى غمده ، وسألته فى أسى :

ـ لماذا يصرُّ الوسيم على معاملتى بهذا الأسلوب يا (كارلو) ؟ ..

فى نفس اللحظة ، التى ألقت فيها سؤالها ، على مسامع (كارلـو) ، كان (أدهم) قد بلغ الطريق ، ورأى السيارة الأمريكية تبتعد ، ولمح داخلها (أكرم) جالساً على المقعد الخلفى وحده ، و (ستيف) فى المقعد الأمامى ، يصوب إليه مسدسه . فانطلق يعدو خلفها فى قوة وسرعـة ، ولمحه (أرنولد) فى مرآة السيارة ، فقال لـ (ستيف) :

ـ هناك رجل يعدو خلفنا ، ويبدو أنه يهتم بأمر الصيد .

قال (ستيف) فى هدوء :

ـ زد من سرعتك .

ضغط (أرنولد) دوّاسة الوقود ، واندفعت السيارة على الطريق بسرعة أكبر ، ولكن (أدهم) وكأنه قد تحوّل إلى آلة صماء ، ليس لها من عمل سوى العدو ، حتى أن (أرنولد) قال فى دهشة :

ـ كيف يعدو بهذه السرعة ؟

رفع (ستيف) عينيه ، يلقى نظرة على (أدهم) ، عبر زجاج السيارة الخلفى ، والتقى حاجباه فى دهشة ، وهو يلقى على نفسه السؤال ذاته ، ثم قال :

ـ أسرع أكثر .

قال (أرنولد) فى قلق :

ـ سيوقفنا رجال الشرطة ، لو تجاوزنا سرعتنا الحالية ، فـى قلب المدينة ، وليس من المناسب أن تتدخل الشرطة الآن .

كان على حق فى قوله هذا . فقال (ستيف) :

ـ ابتعد عن هذا الطريق إذن .

أطاع (أرنولد) الأمر على الفور ، ودون مناقشة ، فضغط كامح سيارته قليلا ، وانحرف بها فى طريق جانبى واسع ، وراقب (ستيف) الطريق فى اهتمام ، حتى قطعت السيارة مسافة مناسبة ، دون أن يظهر (أدهم) ، فقال فى ارتياح :

ـ لقد نجحت الفكرة .

ولكن (أرنولد) صرخ فجأة :

ـ يا للشيطان !

وضغط فرامل السيارة فى عنف ، فصرخت إطاراتها فى قوة ، واندفع جسد (ستيف) ، وكاد يرتطم بالزجاج الأمامى ، لولا حزام النجاة . فاستدار بدوره إلى حيث يحدق زميلـه ، واتسعت عينـاه فـى دهشة ، عندمـا رأى (أدهم) يعدو نحو مقدمة السيارة ..

لقد اتخذ طريقاً مختصراً مباشرة ، بدلا من أن يدور حول الناصية خلف السيارة ، فسبقها إلى هذه البقعة ..

وصرخ (ستيف) :

ـ لماذا توقفت ؟ .. هيا .. اضربه بمقدمة السيارة .. هيا .

هتف (أرنولد) فى قلق :

ـ وماذا عن رجال الشرطة الفرنسية ، و ...

قاطعه فى حدة :

ـ فليذهب كل شىء إلى الجحيم .. المهم أن نزيح هذا الشيطـان عـن طريقنا .

رفع (أرنولد) قدمه عن كامح السيارة ، وضغط دوّاسة الوقود ، واندفع نحو (أدهم) ، ولكن (أدهم) قفز فوق مقدمة السيارة ، ودار بجسده دورة



واندفع نحو (أدهم) ، ولكن (أدهم) قفز فوق مقدمة السيارة ، ودار بجسده دورة بهلوانية رأسية مدهشة ، قبل أن يهبط على سقفها .

بهلوانية رأسية مدهشة ، قبل أن يهبط على سقفها ، ويتشبث بجانبيها فى قوة ، فهتف (ستيف) :

- أى شيطان هذا ؟

ورفع مسدسه ، ليطلق النيران على سقف السيارة ، لولا أن صاح به (أرنولد) ، وهو يميل بالسيارة يميناً ويساراً ، محاولاً إسقاط (أدهم) :

- هل جننت يا رجل ؟ ! .. أنسيت أن السيارة مصفحة ؟ ! .. سترتد إلينا هذه الطلقات وتقتلنا .

هتف (ستيف فى توتر) :

- وهل سنتركه فوقنا هكذا ؟

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى فوجئ بـ (أدهم) ينزلق عبر النافذة الخلفية المفتوحة ، فى مرونة مذهلة ، ويستقرّ على المقعد الخلفى ، إلى جوار (أكرم) قائلاً فى سخرية :

- معذرة .. أهذا هو الطريق إلى (اللوفر) ؟

أدار (ستيف) فوهة مسدسه إلى (أدهم) ، ولكنه فوجئ بذراعي (أدهم) الفولاذيتين تنتزعانه من مقعده المجاور للسائق ، وتلقيان به فى أرضية المقعد الخلفى فى عنف ، ثم بقبضة حديدية تنتزع مسدسه ، قبل أن يقفز (أدهم) إلى مقعده ، المجاور لـ (أرنولد) ، ويصوب مسدسه إلى هذا الأخير ، قائلاً :

- هيا يا صديقى .. أوقف السيارة .. سينزل الفريق هنا .

قال (أرنولد) فى حدة :

- سمعاً وطاعة .

ولكن قدمه تجاوزت دوّاسة الفرامل ، وضغطت زرًا خفيًا صغيرًا ، فى قاع السيارة ، فانفتح سقف السيارة بغتة ، بسرعة مدهشة ، وانطلق مقعد (أدهم) خارجها ، فى قوة ، بوساطة صواريخ صغيرة أشبه بمقاعد الطائرات المقاتلة ، فى حالة الطوارئ ، و (أرنولد) يصرخ :

ـ الوداع يا مدرب الفريق المصرى .

واصلت السيارة الأمريكية ابتعادها ، فى حين ارتفع المقعد بـ (أدهم) إلى الطابق الثالث ، فى بناية مجاورة ، ثم هوى وسط الطريق ..

ولم يكن هناك ما يمكن التشبث به .

.. لذا فقد هوى (أدهم) من هذا الارتفاع ..

واصطدم مع المقعد بالأرض ..

وأظلمت الدنيا أمامه لحظة ، على الرغم من أن المقعد الاسفنجى قد خفف كثيراً من صدمة السقوط ، فترنح فى قوة وحاول التشبث بأى شىء ، والمارة يسرعون نحوه ، فى مزيد من الدهشة والذعر ، ولكن الدنيا أظلمت لحظة أخرى ، و ...

واستعاد وعيه بغتة ..

وتطلع حوله فى دهشة ..

كان يجلس فى المقعد الخلفى لسيارة أنيقة ، من طراز (رولز رويس) ، يقودها (كارلو) ، وإلى جواره هو تجلس (صوفى) ، التى انحنت عليه هاتفة فى حنان وارتياح :

ـ حمداً لله .. لقد استعدت وعيك أيها الوسيم .. إنك تسبب لى الكثير من المتاعب ، فى كل مرة نلتقى فيها .

اعتدل جالساً ، وتطلع حوله مرة أخرى فى دهشة ، فلم يشعر بفقدان الوعى لأكثر من لحظة واحدة ، وشعر بآلام فى ظهره وساقه ، وهو يسألها :

ـ كيف جئتى بى إلى سيارتك ؟

أجابته فى حنان ، وهى تمسح جبهته بمنديلها :

ـ لقد عثرت عليك فاقد الوعى ، بعد أن تركتنى بوقاحة فى الفندق ، فأخبرت الناس أنك صديقى ، ونقلتك إلى سيارتى ..

ثم ابتسمت مستطردة :

ـ ولكنك سعيد الحظ بالفعل ، فلم تصب بأى جروح أو كسور ، على الرغم من أنهم يؤكدون أنك قد سقطت من ارتفاع عشرة أمتار ، و ...

قاطعها فى حدة :

ـ كيف عثرت علىّ ، فى هذه المرة أيضاً :

قالت فى حماس :

ـ فكرت بأسلوبك ، وبحثت عن الفندق ، الذى يقيم فيه (أكرم) هذا ، فما دام يسافر باسمه ، فهذا يعنى أنه سيستخدم اسمه فى الفندق أيضاً .

هز رأسه ، قائلاً فى تهكم :

ـ لم لا تعتزلين التمثيل ، وتفتتحين مكتباً للتحريات الخاصة ؟

فوجئ بها تجيب فى بساطة :

ـ فكرة جيدة .. سأفعل لو شاركتنى فى هذا المكتب .

تطلع إليها فى دهشة ، ثم عدل رباط عنقه ، قائلاً :

ـ يا للنساء ! !

سألته فى اهتمام :

ـ ما معنى هذه الكلمة ؟ .. إنك تنطقها للمرة الثانية !

ـ لا تعنى شيئاً ، ولكن أخبرينى أولاً .. إلى أين نذهب ؟

أجابته فى جدية :

ـ إلى أقرب مستشفى .. إنك تحتاج إلى فحص كامل ، بعد سقوط كهذا ، فربما كانت هناك إصابات داخلية ، أو ...

قاطعها وهو يقول لـ (كارلو) فى حزم :

ـ بل انطلق إلى السفارة الأمريكية .

رفعت حاجبيها فى دهشة ، هاتفة :

ـ السفارة الأمريكية ؟ ! .. ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟ .. إنك ..

قاطعها مرة أخرى وهو يهتف بـ (كارلو) :

ـ لا تضع الوقت يا رجل .. هيا .. انطلق إلى السفارة الأمريكية على الفور .

تطلع (كارلو) إلى مرآة السيارة ، وهو يقول :

ـ سنيوريتا (صوفى) ،هل ..

قاطعته هى هذه المرة فى صرامة :

ـ ألم تسمع ما أمرك به سنيور (صبرى) ؟ .. هيا يا رجل .. اتجه على الفور إلى السفارة الأمريكية .

ثم التفتت إلى (أدهم) مبتسمة ، وهى تقول :

ـ هل يسعدك هذا ؟ ..

* * *

تطلع الملحق العسكرى الأمريكى إلى (أكرم) لحظات فى صمت ، وبدا له هذا الأخير عصبيًا ضعيفًا متوترًا ، على الرغم من خطورة الأسرار ، التى يدعى امتلاكها ، فسأله فى لهجة قوية ، تحمل الكثير من الصرامة .

ـ لماذا ذهبت إلى السوفيت يا مستر (كارل) ؟

أجابه (أكرم) فى عصبية :

ـ إنكم لم تمنحونى جواباً حاسماً .

كرر الملحق العسكرى سؤاله ، فى صرامة أكثر :

ـ لماذا يا مستر (كارل) ؟

اضطرب (أكرم) وارتبك ، وهو يقول :

ـ كنت أساومهم بشأن إعادة أسرارهم إليهم .

قال الملحق العسكرى فى غضب :

ـ بل كنت تساومهم بشأن بيع أسرارنا لهم يا مستر (كارل) .

هتف (أكرم) فى تخاذل :

ـ هذا ليس صحيحاً .. إننى ..

ضغط الملحق زرًا من أزرار مكتبه ، قبل أن يتم (أكرم) عبارته ، فدخل رجل أصلع قصير ، يحمل شريطا من أشرطة الفيديو ، ووضع الشريط فى جهاز الفيديو ، فى مكتب الملحق العسكرى ، وأداره ، والملحق يقول :

ـ مستر (جيم راسيل) واحد من خبرائنا ، متخصص فى قراءة حركات الشفاة .

شحب وجه (أكرم) ، وانكمش فى مقعده ، فى حين ظهرت صورته على الشاشة ، وهو يتحدث مع (مارتينا) ، وراح (جيم راسيل) يترجم الحديث حرفا حرفاً ، حتى انتهى منه ، وقد صار وجه (أكرم) شاحباً كالموتى ، فانصرف (جيم) ، والتفت الملحق العسكرى إلى (أكرم) قائلًا :

ـ ما رأيك يا مستر (كارل) ؟

ارتجف (أكرم) ، وهو يقول :

ـ كل هذا صحيح .

ثم أضاف فى عصبية :

ـ من حقى المساومة على ما أمتلك .

مط الملحق العسكرى شفتيه فى ازدراء ، مغمغما :

ـ ما تمتلك ؟ !

ثم مال إلى الأمام ، وسأل (أكرم) بصورة مباغتة :

ـ لماذا تحيط يدك اليسرى بالضمادات ؟

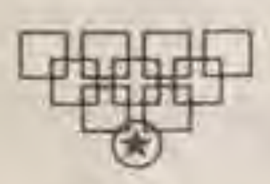
ارتبك (أكرم) وأجاب :

ـ إنه حادث بسيط ، و ..

ولكنه خشى الكذب مرة أخرى ، فأضاف فى عصبية :

ـ لقد فقدت إصبعين .
سأله الملحق العسكرى :
ـ أكانت محاولة لانتزاع اعتراف ما منك ؟
ازدرد لعابه ، وهو يومئ برأسه إيجابا . فسأله الملحق العسكرى :
ـ من أصحاب تلك المحاولة العنيفة ؟
بدا حلقه شديد الجفاف ، وهو يجيب :
ـ الإسرائيليون .
انعقد حاجبا الملحق العسكرى فى شدة ، وهو يقول :
ـ الإسرائيليون ؟ ! .. هل دخل الإسرائيليون اللعبة ؟ !
أجابه (أكرم) فى خفوت :
ـ إنهم فيها منذ البداية .
بدا الملحق شديد الغضب ، على نحو هوى له وجه (أكرم) بين قدميه ، والرجل يقول فى صرامة مخيفة :
ـ نريد هذه الأشرطة يا مستر (كارل) .. كلها .
ارتجف (أكرم) ، وهو يقول :
ـ ولكن .. ولكننى ..
قاطعه الرجل فى حسم :
ـ سندفع لك المبلغ المطلوب من الجانبين .. عشرين مليونا من الدولارات ، مقابل الشرائط كلها .
برقت عينا (أكرم) ، واستعاد نصف هدوئه دفعة واحدة ، وهو يقول :
ـ عشرين مليونا ؟ !
ثم خبا حماسه بغتة ، وهو يعود للانكماش فى مقعده ، قائلا :
ـ ولكن الإسرائيليين لن يغفروا لى هذا ، وسينتقمون منى شر انتقام .

أجابه الرجل فى حزم :
ـ دع لنا أمر الإسرائيليين .. إننا نعرف كيف نتعامل معهم .
لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع صوت سكرتيره الخاص ، عبر جهاز اتصال داخلى دقيق ، وهو يقول :
ـ سيدى الجنرال .. هناك رجل يطلب مقابلتك على الفور ، وهو يقول : إن هذا أمر عاجل بشأن مستر (كارل) .
ارتجف (أكرم) وهتف :
ـ بشأنى أنا .
أشار إليه الملحق العسكرى أن يهدأ ، وسأل سكرتيره :
ـ ومن هذا الرجل ؟
أجابه السكرتير :
ـ اسمه (موشى) .. (موشى إفرام) .
هتف (أكرم) فى دهشة :
ـ (موشى) ؟ ! .. إنه رجل المخابرات الإسرائيلى ، الذى أتعامل معه .
قال الملحق :
ـ فليكن .. فليكن إننى أحب مقابلته .
ثم قال لسكرتيره :
دعه يدخل .
مضت لحظات ، ثم انفتح الباب ، ودخل رجل ممشوق القامة ، لم يكد يصر (أكرم) يقع عليه ، حتى قفز من مقعده فى ذعر ، وصاح :
ـ هذا ليس (موشى) .. ليس (موشى إفرام) ..
وكان على حق ، فالرجل الذى دخل الحجرة لم يكن (موشى إفرام) ..
كان (أدهم) ..
.. (أدهم صبرى) .



١٢ ـ مواجهة عجيبة ...

سرى توتر شديد ، فى عروق الملحق العسكرى الأمريكى ، عندما هتف (أكرم) بأن ذلك القادم ليس (موشى إفرام) ، وانتفض من مجلسه هاتفًا :

ـ من أنت إذن ؟

أجابه (أدهم) فى حزم :

ـ (موشى زفير إفرام) يا سيادة الملحق العسكرى ، ويمكنك أن تتأكد بنفسك من هذا ، لو اتصلت بالملحق العسكرى ، فى سفارة (إسرائيل) .

حدّق (أكرم) فى وجه (أدهم) ذاهلًا ، فقد كان الصوت ، الذى نطق به (أدهم) عبارته ، هو نفسه صوت (موشى) ، وصاح (أكرم) :

ـ مستحيل ! .. إنه ليس (موشى) .

التفت إليه (أدهم) ، وقال فى صرامة :

ـ لن تفلح لعبتك هذه يا (كارل) .. الملحق العسكرى يمكنه التأكد من شخصيتى فى سهولة .

ثم التقط سماعة الهاتف الخاص بالملحق العسكرى ، وناولها إياه ، قائلًا :

ـ أجر الاتصال يا سيدى .

رمقه الملحق بنظرة شك ، ثم طلب رقم السفارة الإسرائيلية فى (باريس) ، وقال :

ـ أنا الملحق العسكرى الأمريكى .. أريد أن أتحدث إلى قرينى لديكم لأمر بالغ الأهمية .

مضت لحظة من الصمت ، ظلّ (أكرم) خلالها يحدّق فى وجه (أدهم)

ذاهلًا ، قبل أن يقول الملحق العسكرى فى اهتمام :

ـ صباح الخير يا صديقى .. هل تعرف رجلًا يدعى (موشى زفير إفرام) ؟

استمع فى انتباه كامل إلى الجواب ، قبل أن يسأل :

ـ هل يمكنك تعرّف صوته ؟

هزّ رأسه فى ارتياح ، ثم ناول السماعة إلى (أدهم) ، وضغط زر الاستماع الخارجى وهو يقول فى حزم :

ـ هيا .. تحدث إليه .

نقل مكبّر الصوت الخارجى صوت (أدهم) ، الذى صار نسخة طبق الأصل من صوت (موشى) ، وهو يقول :

ـ صباح الخير يا عزيزى (بيريز) .. يبدو أن صديقنا الملحق العسكرى الأمريكى يرغب فى التأكد من شخصيتى .

ارتفع صوت (بيريز) ، وهو يضحك قائلًا :

ـ يبدو أن هيئتك تثير الشك يا عزيزى (موشى) .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول بصوت (موشى) :

ـ ولكن صوتى يدعو إلى الثقة .. أليس كذلك ؟

أطلق (بيريز) ضحكة عالية ، وقال :

ـ ليس تمامًا ، ولكننى أستطيع تمييزه ، وسط مظاهرة صاخبة .. كيف حالك يا (موشى) ؟ .. لماذا حضرت إلى (باريس) ؟

كان هذا اعترافًا بموهبة (أدهم) ، وتأكيدًا لأنه (موشى إفرام) ، فى نظر الملحق الأمريكى ، الذى تلاشى توتره ، فى حين قال (أدهم) :

ـ إنها مسألة عمل .. هيا .. إنه المحادثة ، وسأشرح لك كل شىء فيما بعد .

ـ وأنهى الاتصال ، وهو يقول للملحق الأمريكى :

- هل تأكدت الآن ؟
أومأ الملحق برأسه إيجابًا ، وقال :
- نعم .
صاح (أكرم) :
- لا تجعله يخدعك .. صحيح أنه يتحدث بصوت (موشى) تمامًا ، ولكنه ليس هو .
رمقه (أدهم) بنظرة صارمة ، وقال :
- قلت لك إن خدعتك تفتقر إلى الدقة .
ثم التفت إلى الملحق ، واستطرد :
- بماذا حاول ذلك الرجل خداعك أيضا يا سيّدى ؟
تطلّع إليه الملحق فى برود ، وهو يقول :
- ماذا تريد بالضبط يا مسيو (موشى) ؟
أجابه (أدهم) فى سرعة :
- أن أشرح لك الحقيقة كلها يا سيّدى .
ثم أشار إلى (أكرم) ، مستطردا فى صرامة :
- هذا الرجل يحاول خداعنا جميعًا .
ارتجف (أكرم) فى ذعر ، فى حين ردد الملحق فى حذر :
- خداعنا ؟!
قال (أدهم) فى حماس متقن :
- بالطبع .. وسأروى لك القصة كلها .
وجلس على المقعد المجاور لمكتب الملحق ، وهو يتابع :
- هذا الرجل كان يعمل لحسابنا ، فى صفوف المخابرات المصرية ، ثم انكشف أمره هناك ، وبادر بالفرار ، قبل أن يلقوا القبض عليه ، وجاء يطالبنا

بعشرة ملايين دولار ، ثمنا لما قدمه لنا من خدمات ، وعندما رفضنا مطلبه المبالغ هذا ، أقسم أن يسبب لنا أكبر خسارة فى تاريخنا ، وهو يحاول إيهام الجميع بأن لديه عددا من شرائط التسجيل السرية ، الخاصة بالعلاقات المصرية الأمريكية والسوفيتية ، حتى يقود الجميع فى بطء ، إلى أننا الدولة الخائنة ، التى تسعى لكشف أمر الجميع ، والحصول على أسرارهم ، فيغضب منا الأمريكيون والسوفيت .. خطة حقيرة .. أليس كذلك ؟
صاح (أكرم) :
- كاذب .. هذه الشرائط لدى بالفعل .
التفت إليه (أدهم) ، وقال فى قسوة :
- أثبت لنا صدق قولك إذن .. أخبرنا أين هذه الشرائط .
تراجع (أكرم) منكمشا فى مقعده ، وهو يقول :
- لا .. لا يمكننى أن أخبرك .
لوّح (أدهم) بكفيه ، قائلا للملحق البريطانى :
- أرأيت يا سيّدى .
نقل الملحق بصره بينهما فى صمت ، ثم كرر سؤاله :
- وماذا تريد بالضبط يا مستر (موشى) ؟
اعتدل (أدهم) ، وقال مشيرا إلى (أكرم) :
- أريد هذا الرجل .
صرخ (أكرم) :
- لا .
ولكن الملحق تجاهله تماما ، وهو يقول لـ (أدهم) :
- بأى حق .
هتف (أدهم) بطريقة مسرحية :

ـ بحق الصداقة القائمة بين دولتينا ، والتى لن يفيدها الصراع بيننا ، على رجل تافه كهذا .

هز الملحق كتفيه ، وقال :

ـ لا يمكننى إجباره على الذهاب معك .

قال (أدهم) فى سرعة :

ـ ولا يمكنك الاحتفاظ به داخل السفارة يا سيّدى ، فهو ليس مواطنًا أمريكيًا .

قفز (أكرم) من مقعده ، وتشبّث بالملحق ، هاتفًا :

ـ إننى أطلب حمايتكم .. أطلبها رسميًا .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وقال :

ـ الدول وحدها يمكنها طلب الحماية رسميًا أيها الغبى .

أزاح الملحق (أكرم) فى غلظة ، وهو يسأل (أدهم) :

ـ وماذا لو أنه يمتلك الشرائط بالفعل ؟

هز (أدهم) كتفيه ، وقال :

ـ حتى مع احتمال وجودها ، لن يضيركم تسليمه لنا ، فاتفاقية التعاون بين (الموساد) ، وجهاز المخابرات المركزية الأمريكية ، تجبرنا على متحكم هذه الأشرطة ، وكذلك تحتم مصلحتنا هذا ، فبقاؤنا يعتمد على تفوّقكم على الجانب السوفيتى ، ولن نسمح أبدًا بتفوّقه عليكم .

بدا الأمر منطقيًا ، بالنسبة للملحق ، الذى عقد حاجبيه مفكرًا فى عمق ، فصاح به (أكرم) فى ارتياع :

ـ لا تصدّقه يا سيّدى .. إنه ليس اسرائيليًا ، بل مصريًا .. أقسم لك على هذا .

قال الملحق فى شك :

ـ مصرى ؟!

قلب (أدهم) شفتيه ، وهو يقول لـ (أكرم) :

ـ من الواضح أنه لم يكن لك شأن يذكر ، فى المخابرات المصرية ، لأنك تجهل أبسط قواعد العمل .. هل رأيت فى حياتك كلها رجلا يقتحم سفارة دولة عظمى ، مدعيًا أنه ينتمى إلى أحد أجهزة المخابرات ، فى حين أنه ينتمى بالفعل إلى جهاز مخابرات آخر ؟!

هز الملحق رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ مستحيل ! .. هذا يتنافى مع أبسط قواعد العمل ، فى أصغر جهاز مخابرات فى العالم .

صاح (أكرم) فى يأس :

ـ ولكن هذا الرجل مصرى .. أقسم إنه كذلك .

نهض (أدهم) ، قائلا :

ـ قلت لك : إن خدعتك هذه أسخف خدعة رأيتها فى حياتى :

ثم استطرد فى صرامة :

ـ هيا بنا يا رجل .. ستعود معى إلى سفارتنا .

ولكن الملحق قال فجأة :

ـ ليس الآن يا مستر (موشى) .

التفت إليه (أدهم) فى هدوء ، وقال :

ـ لماذا يا سيّدى الملحق ؟

نهض الملحق ، قائلا فى حزم :

ـ أريد رؤية هويتك أوّلا .

قال (أدهم) فى هدوء :

ـ لست أحملها معى بالطبع .. هل رأيت فى حياتك رجل مخابرات ، يحمل هويته فى جيب سترته ، وهو فى مهمة سرية ؟!

قال الملحق فى برود :

ـ أين تحتفظ بها إذن ؟

أجابه (أدهم) فى سرعة :

ـ فى مكتبى بسفارتنا فى (روما) .

قال الملحق فى صرامة :

ـ احضرها إذن ، وخذ مستر (كارل) .

هتف (أدهم) :

ـ أحضرها من (روما) ؟!

أجابه فى حزم :

ـ نعم يا مستر (موشى) .. لن اتعجلك .. خذ وقتك كما تشاء ، وسيبقى مستر (كارل) فى انتظارك هنا ، فى ضيافتنا ، حتى تعود بالهوية ، وتحمله معك .

قال (أدهم) فى حدة مصطنعة :

ـ ألم يؤكد لك (بيزيز) أننى ... ؟

قاطعه الرجل فى صرامة أشد :

ـ الهوية يا مستر (موشى) .

كان من الواضح أن الرجل لن يتنازل عن موقفه أبدا ، كما كان من الحماقة أن يبادر (أدهم) إلى العنف ، داخل سفارة دولة أخرى ، ووسط أمنها وحراسها ، لذا فقد تظاهر بالاستسلام ، وهو يقول :

ـ لا بأس يا سيدى .. صحيح أنك ترهقنى أكثر من اللازم بهذا ، ولكننى سأسافر بطائرتى الخاصة إلى (روما) ، لإحضار هويتى ، وأعود فى الصباح .

قال الملحق فى برود :

ـ رحلة سعيدة .

اتجه (أدهم) إلى باب الحجرة ، تأهبا للانصراف ، ثم توقف عنده ، والتفت إلى (أكرم) ، قائلا فى صرامة :

ـ سأعود .

وأغلق الباب خلفه ..

* * *

« ها هوذا يغادر المكان ... » .

قالتها (مارتينا) بصوتها الخافت ولهجتها الباردة ، وهى ترفع منظارها المقرب عن عينيها ، وتلتفت إلى (أندريه) ، مستطردة :

ـ قضى ما يقرب من نصف الساعة ، داخل السفارة الأمريكية ، وهذا يؤكد أن (كارل) هذا فى الداخل » .

ضرب (أندريه) قبضته اليمنى فى راحته اليسرى ، وهو يقول فى غضب :

ـ لقد ربح الأمريكيون .

قالت (مارتينا) فى برود صارم :

ـ ليس بعد .

وألقت منظارها جانبا ، وهى تستطرد :

ـ (كارل) هذا لن يقضى عمره كله هناك .. فى السفارة الأمريكية .. من المحتم أن يخرجوه ؛ ليحصلوا على الأشرطة على الأقل ، أو يرسلوا رجليهم (ستيف) و (أرنولد) ؛ لإحضارها ، لو أمكنهم إقناع الرجل بالاعتراف بمخبئها .. وفى كل الأحوال سنكون خلفهم ، وفى اللحظة المناسبة نتخلص من الجميع ، ونربح المعركة .

هز كتفيه ، وأشعل سيجارة سوفيتية الصنع ، ذات رائحة قوية نفاذة ، ثم سألها فى اهتمام :

- أتؤمنين حقًا بأهمية هذه الأشرطة ؟

أجابته فى ضيق :

- الرجل لم يكن ليساومنا ، من أجل وهم .. أليس كذلك ؟

قال فى هدوء :

- لست أنفى وجود الأشرطة ، ولكننى أتحدث عن أهميتها .. إننا نعلم جميعا أن المصريين يخططون للتخلص من كل علاقاتهم معنا ، والاتجاه نحو علاقة أمريكية قوية ، ولقد بدأوا هذا بالفعل ، قبل حرب أكتوبر ، التى عبروا فيها قناة السويس ، واستعادوا جزءا من أرضهم المحتلة ، عندما أصدر رئيسهم (أنور السادات) قرارا ، بطرد كل خبرائنا السوفيت من (مصر)(*) ، فلماذا يقلقنا أمر هذه الأشرطة ؟

قالت فى صرامة :

- ليس هذا من شأننا .. لقد عرضنا الأمر على الرؤساء ، فقرروا ضرورة الحصول على هذه الأشرطة ، ومهمتنا ليست التفكير ، فى أهمية ما يأمر به الرؤساء ، بل تنفيذ أوامرهم على الفور ، مهما كانت التضحيات ، ومهما كان الثمن .

قال معترضا :

- دون تفكير ؟

قالت غاضبة :

- التفكير يقتصر على البحث عن الوسائل الجديدة ، لتنفيذ المهمة ، وليس على تنفيذها من عدمه ، فنحن لا ندرك ما يحدث فى دهاليز السياسة ، ومهمة الجيش والمخابرات ما هى إلا امتداد للعمل السياسى ، ووسيلة من وسائل تحقيق أهداف الدول ، وهذا ما تعلمناه فى مركز التدريب .

ردد فى شرود :

(*) حقيقة تاريخية .

- نعم يا عزيزتى (مارتينا) .. هذا ما تعلمناه .

ونفث دخان سيجارته فى عمق ، قبل أن ينهض إلى النافذة مستطردا :

- ولكننى ما زلت أفكر فيما يمكن أن تفعله عشرة ملايين دولار .. صدقينى يا عزيزتى (مارتينا) .. إنها تفعل الكثير .. الكثير جدًا .

التقى حاجباها وهى تحدق فى ظهره بشك ، وأدركت أنه زرع القلق فى قلبها تجاهه ، ولن يمكنها حصاده منه أبدا ..

ليس فى الوقت الحالى على الأقل ..

ولكنها مدت يدها تتحسس مسدسها فى بطء ..

إنها ستتابع مهمتها حتى النهاية ، كأية سوفيتية مخلصة ، ولو حاول (اندريه) التراجع ، أو فكر فى الخيانة ، فستوقفه بأرخص وسيلة فى الدنيا ..

برصاصة ..

* * *

لوح (أكرم) بذراعيه فى عنف ، وهو يصيح فى يأس :

- كيف يمكننى اقناعكم بأنه مصرى ؟ .. كيف ؟

أجابه الملحق العسكرى فى برود :

- دعك من هذا الآن ، وأخبرنا أين توجد الأشرطة ؟

صاح فى توتر :

- لن يمكننى أن أخبرك ، قبل أن أحصل على المال .

قال (ستيف) فى غلظة :

- يمكننا إقناعك بإخبارنا ، لو استخدمنا معك أسلوبا آخر .

رفع (أكرم) كفه اليسرى أمامه ، وهو يشير الى ضماداتها ، قائلا فى عصبية :

- لقد استخدم الإسرائيليون أسلوبًا عنيفًا معى ، فقدت خلاله أصبعين ، ولكنهم لم يعرفوا شيئًا .

قال (أرنولد) ساخرًا :

- ربما لو واصلوا استخدامه لحصلوا على كل شىء .

شحب وجه (أكرم) ، وقال :

- ومن أدراكم أننى لن أرشدكم ـ حينذاك ـ إلا إلى جزء يسير من الشرائط ، وأخفى الباقى ؟

قال (أرنولد) :

- ومن أدراك أننا لن ننتزع لسانك ، لنجبرك على الاعتراف بكل شىء ؟

أشار الملحق العسكرى إلى (أرنولد) فى صرامة ، وهو يقول :

- كفى .

ثم التفت إلى (أكرم) ، مستطردًا :

- لقد اتصلت بالرؤساء فى (واشنطن) ، وعرضت عليهم الأمر .

واعتدل فى وقفته ، مضيفًا :

- ولقد وافقوا على دفع المبلغ .

خفق قلب (أكرم) فى قوة ، وهو يهتف :

- حقًّا ؟!

مال الملحق نحوه ، وقال فى حزم :

- ولكن بشرط واحد .

عاد قلب (أكرم) يرتجف بين ضلوعه ، وهو يقول :

- أى شرط ؟

أجابه الملحق :

- أن تمنحنا دليلا واحدا ، على أن الأشرطة تحوى ما يستحق مثل هذا المبلغ .

التقى حاجبا (أكرم) ، وقال فى عصبية :

- وكيف يمكننى هذا ؟

قال الملحق فى بساطة :

- أحضر شريطا واحدا .

واستدرك فى سرعة :

- كعينة .

بدت على وجه (أكرم) علامات القلق والشك والتفكير ، فقطع الملحق تفكيره ، قائلا فى صرامة :

- أريد ردك على الفور يا مستر (كارل) .

قال (أكرم) متوترًا :

- لا .. لا يمكننى إحضار شريط واحد ، وإلا انكشف مكان الأشرطة كلها .

ارتسمت الصرامة على وجه الملحق العسكرى ، وقال :

- فليكن يا مستر (كارل) .. أنت أردت هذا .

ثم التفت إلى (أرنولد) ، وقال :

- أنت ربحت .. يمكنك استخدام أسلوبك .

اتسعت عينا (أكرم) فى ذعر ، عندما ارتسمت على شفتى (أرنولد) ابتسامة جذلة ، وهو يتجه إليه ، وصرخ :

- لا .. ليس من حقكم هذا .

وتعالى صراخه أكثر .. وأكثر ..

وتضاعفت الامه ..

* * *

لم ينبس (أدهم) بحرف واحد ، منذ غادر السفارة الأمريكية مع (صوفى) ، التى راقبته بضع لحظات فى أسى ، ثم مررت أصابعها بين خصلات شعره الأسود الناعم ، وهى تسأله :

- لماذا تبدو حزينا هكذا ؟

اجابها ، وهو يزيح أصابعها عن شعره :

- لست حزينا ، ولكننى افكر .

قالت فى دلال :

- لن أسمح لك بالتفكير فى شىء اخر ، وأنت إلى جوارى .

التفت إليها ، قائلا فى حدة :

- ما الذى اتى بك إلى (باريس) ؟

أجابته فى سرعة ، وكأنها كانت تنتظر سؤاله :

- أنت .. لقد اتيت من اجلك .

قال فى ضيق :

- وماذا عن عملك ؟

هتفت فى حماس :

- فلتذهب أفلام الدنيا كلها إلى الجحيم .. أنت اصبحت أهم شىء فى حياتى كلها .

صاح مستنكرا :

- شىء ؟!

أطلقت ضحكة مرحة ، وهى تقول :

- أقصد أهم شخص .

ثم مالت نحوه ، وهمست فى وله :

- سأتبعك حتى آخر الدنيا .

فجرت الكلمة فى أعماقه نهرا من الذكريات ..

ذكرى (فدوى) ..

ورحلاتهما معا عبر (أوروبا) ..

ومصرعها ..

و ..

- كلا .. .. ..

نطقها فى حدة ، جعلت (صوفى) تتراجع هاتفة فى دهشة :

- لماذا ؟

قال فى صرامة :

- لا تحاولى فعل هذا .. لقد فعلته أخرى قبلك ، فتسبب هذا فى مصرعها .

هتفت فى ذعر :

- مصرعها ؟!

قال فى مرارة :

- نعم .. قتلها أنها تبعتنى ، حتى آخر الدنيا .. أنا تسببت فى مصرعها .

هتفت شاحبة :

- مستحيل !

ثم مالت نحوه مستطردة :

- إننى على العكس ، أشعر معك بأمان لا حد له .

هتف :

- الأمان معى أنا ؟! .. خطأ يا (صوفى) .. إننى والخطر صنوان لا يفترقان .. نحيا معا ، ونسير معا ، ولا يشعر كلانا بالألفة ، من دون الاخر .

قالت فى إصرار :

- ومن قال إننى اكره الخطر ؟

صاح غاضبا :

- قلت لك إنه ليس فيلما سينمائيا .

ثم التفت إلى (كارلو) ، وقال فى صرامة :

ـ توقف ..

أطاعه (كارلو) بحركة غريزية ، فضغط فرامل السيارة ، وأوقفها على نحو حاد ، فقفز (أدهم) خارجها ، قبل أن تصرخ (صوفى) :

ـ لا .. لا تتركنى .

قال (أدهم) لـ (كارلو) فى حدة :

ـ هيا يا رجل .. ابتعد عن هنا .

ولكن (صوفى) صاحت به :

ـ لا تتحرك يا (كارلو) .

ثم ترقرقت عيناها بالدموع ، وهى تقول لـ (أدهم) فى ضراعة :

ـ سنيور (صبرى) .. لا تتركنى .. أرجوك .. لن يمكننى العيش دونك .

لم يكن (أدهم) مستعدًا لاحتمال مثل هذا الموقف .. لذا فقد صاح بـ (كارلو) :

ـ ألست حارسها الخاص ؟! .. ابتعد بها بسرعة إذن .. هناك محاولة لاغتيالها .

لم يكد (كارلو) يسمع العبارة ، حتى انطلق بالسيارة بأقصى سرعة ، و (صوفى) تهتف :

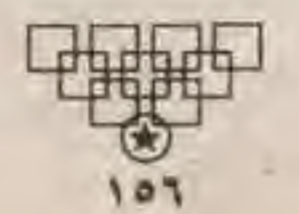
ـ لا يا سنيور (صبرى) .. لا ..

تحرك (أدهم) فى سرعة ، مبتعدًا فى الاتجاه العكسى ، واتجه نحو أول هاتف دولى عام ، وأدار رقم إدارة المخابرات المصرية ، ولم يكد يسمع صوت محدثه ، حتى قال :

ـ أنا (أدهم صبرى) .. أريد التحدث إلى المدير شخصيًا .. إننى أتحدث من (باريس) .

وكانت محادثة طويلة ..

وخطيرة .



١٣ ـ القوة العظمى ...

اعتدلت (منى) ، عند هذه النقطة ، وسألت (قدرى) فى اهتمام :

ـ لماذا كانت هذه المحادثة خطيرة ؟

أجابها (قدرى) :

ـ لأن (أدهم) علم خلالها أن (أكرم) أجرى اتصالًا بالمخابرات المصرية ، وعرض عليها تسليمها الأشرطة كلها ، مقابل تركه وشأنه ، والتنازل عن توجيه تهمة التجسس إليه ، ولقد ضايق هذا الأمر (أدهم) كثيرًا ، فهو بطبعه يكره أن يفر خائن بجريمته ، مهما كان الثمن ، إذ أن هذا ـ فى رأيه ـ يساعد آخرين من ذوى النفوس الضعيفة ، على الخيانة ، أما لو نال الخائن والعميل جزاءه ، وكان هذا الجزاء رهيبًا ، فسيفكر كل ضعيف نفس ألف مرة ، قبل أن يقدم بدوره على الخيانة .

سألته :

ـ ماذا فعل (أدهم) إذن ؟

قال (قدرى) :

ـ لم يكن أمامه سوى طاعة الأوامر ، ولكنه روى للمدير كيف أن (أكرم) يحاول اللعب على كل الأطراف ، لتحقيق أكبر ربح ممكن ، من تلك الشرائط ، مما أثار قلق المدير ، فطلب منه استعادة الشرائط ، أو استعادة (أكرم) نفسه ، بأية وسيلة ممكنة .

ثم ابتسم مستطردًا :

ـ وهذا الأسلوب المفتوح يروق لـ (أدهم) كثيرًا .

ابتسمت بدورها ، قائلة :

- اعلم هذا .

ثم ذهبت ابتسامتها مع اهتمامها الشديد ، وهى تسأله :

- ولكن ما الذى فعله (أدهم) ، بشأن الهوية الإسرائيلية ؟

بدت علامات السعادة على وجه (قدرى) ، وقال :

- هنا يجيء دورى أنا .

ثم تابع فى زهو :

- لقد عرض (أدهم) المشكلة على المدير ، وأخبره بضرورة حصوله على هوية إسرائيلية ، تفيد انتماءه إلى (الموساد) ، باسم (موشى افرام) ، وبحتمية الحصول عليها فى الصباح التالى ، فأخبره المدير بأمرى ، وقال : إننى الوحيد ، الذى يمكنه تحقيق هذا .

قالت (منى) فى اهتمام :

- هكذا التقيت بـ (أدهم) إذن .

أومأ برأسه إيجابا ، وقال :

- من حسن حظى .

وشرد ببصره لحظات ، قبل أن يتابع :

- يومها لم اكن سعيدا ، كما أنا الآن ، فقد انتزعونى من فراشى ، فى العاشرة مساء ، وكنت قد أويت إليه مبكرا ، بعد وجبة دسمة ، وسلمونى أدواتى ، وخط سير مدروس بمنتهى الدقة ، إذ لم يكن هناك ليلتها طيران مباشر إلى (باريس) ، لذا كان من الضرورى أن استقل طائرة إلى (بلجيكا) ، فى الثانية عشرة ، ثم أنتقل إلى أخرى ، فى مطار (بلجيكا) ، تنقلنى إلى (باريس) ، التى وصلتها فى السادسة من صباح اليوم التالى ، دون أن أذوق لحظة واحدة من النوم .

سألته فى لهفة .

وكيف استقبلك (أدهم) هناك ؟

ارتسمت على شفتيه ابتسامة سعيدة ، وهو يشرد ببصره مرة أخرى ، قائلا :

- لن أنسى تلك الأيام أبدا ..

وتنهّد فى حرارة ..

وتابع روايته ..

* * *

كان كل ما يعرفه (أدهم) هو أنه سيستقبل خبيرا من خبراء التزوير والتزييف ، فى مطار (أورلى) ، قادما من (بلجيكا) ، ويحمل اسم (قدرى) ، ولكنه لم يكن قد رأى (قدرى) هذا ، فى حياته كلها ، أو حتى سمع باسمه ، بين أروقة الإدارة ، إذ لم يحتج فى السابق إلى أوراق خاصة ، يتم صنعها وفقا للظروف ولملابسات القضية ..

وعندما هبطت طائرة (بلجيكا) ، فى مطار (أورلى) ، وقف (أدهم) يتابع وجوه القادمين فى اهتمام ، بحثا عن الخبير بينهم ، ولم يلق اهتماما كبيرا لذلك البدين الضخم ، الذى كان يلهث فى تهالك ، على الرغم من الحقيبة الصغيرة المنفردة ، التى يحملها بيده اليسرى ، وهو يطالع شيئا ما فى يده اليمنى باهتمام ، حتى توقّف ذلك البدين أمامه ، ونقل بصره بين وجهه ، وذلك الشيء الذى يطالعه ، قبل أن يقول لاهثا :

- من حسن الحظ أن الشمس لا تشرق ليلا .

حدّق (أدهم) فيه بدهشة ؛ إذ كانت هذه هى جملة السر المتفق عليها ، بينه وبين خبير التزوير المنتظر ، والذى لم تكن صورته فى ذهنه قريبة الشبه حتى بكتلة الشحم واللحم ، التى تقف أمامه ، وعلى الرغم من هذا فقد قال :

- إنها تفعل فى بعض الأحيان .

ابتسم البدين وقال :

- ليس فى (باريس) .



وعندما هبطت طائرة (بلجيكا) ، فى مطار (أورلى) ، وقف (أدهم) يتابع وجوه القادمين فى اهتمام ، بحثًا عن الخبير بينهم ..

ثم مد يده يصافح (أدهم) ، مستطرذا :

ـ إذن فأنت الزبون الجديد .. أنا (قدرى) يا رجل .

غمغم (أدهم) ، محاولا إخفاء خيبة الأمل ، التى ملأت نفسه :

ـ مرحبًا بك فى (باريس) أيها الزميل .

سار (قدرى) إلى جواره ، وهو يقول :

ـ أتضم أن تكون لديك شقة هنا ، ووجبة دسمة ، فأنا مرهق وجائع ، و ..

قال (أدهم) مقاطعًا :

ـ أمامنا عمل ننجزه أولًا .

هتف (قدرى) :

ـ وما شأن العمل بالطعام .. إننى جائع للغاية .

زفر (أدهم) فى ضيق ، وقاده إلى سيارة صغيرة ، استأجرها فى (باريس) ، وتركه يحشر جسده فى المقعد المجاور له ، ثم انطلق به إلى فندقه ، واستنشق (قدرى) هواء (باريس) فى استمتاع ، قبل أن يقول :

ـ أتعلم ما الذى أحلم به ، كلما سمعت اسم (باريس) ؟

تمتم (أدهم) :

ـ لا .. لست أعلم .

أغلق (قدرى) عينيه فى تلذذ ، وهو يقول :

ـ أن أتناول طعام العشاء فى مطعم (مكسيم) الشهير .

تطلع إليه (أدهم) فى دهشة ، وقال :

ـ ألا يشغل ذهنك سوى الطعام ؟

ابتسم (قدرى) قائلًا :

ـ بل والشراب أيضًا .

قالها وانفجرت من حلقه ضحكة مجلجلة ، انزعج لها (أدهم) ، فتطلع

اليه لحظة فى دهشة ، ثم هز رأسه فى استخفاف ، وواصل انطلاقته ، حتى بلغ الفندق ، فغادر السيارة مع (قدرى) ، وهو يتطلع إلى ساعته ، قائلا :

ـ انها السادسة والنصف الآن .. هل يمكنك إنجاز العمل قبل العاشرة ؟

قال (قدرى) محتجًا :

ـ ليس وأنا جائع .

زفر (أدهم) فى ضيق ، وتساءل فى دهشة عن سر اختيار هذا البدين بالذات ، للقيام بعمل بالغ الأهمية ، وقال فى حدة :

ـ ألا يمكننا أن نؤجل الطعام لما بعد ؟

هز (قدرى) رأسه نفيا فى هدوء ، وهو يقول :

ـ لا .. لا يمكننا هذا .

كاد (أدهم) ينفجر غيظا ، وهما يتجهان إلى مطعم الفندق ، وجلس يراقب (قدرى) ، فى مزيج من العصبية والقلق والدهشة ، وهذا الأخير يلتهم كميات الطعام فى شراهة ، حتى انتهى من تناول طعامه فى السابعة والربع ، فربت على معدته ، وابتسم قائلا :

ـ الآن يمكننا أن نبدأ العمل .

قال (أدهم) ساخرا :

ـ هذا لو لم تسقط فاقد الوعى ، بعد لحظات قليلة .

قهقه (قدرى) ضاحكا فى قوة ، والتفتت إليه عيون رواد المطعم ونزلاء الفندق ، فى دهشة واستنكار ، ولكنه لم يبال بها ، وهو يقول :

ـ على العكس يا فتى .. إننى أنتعش فى شدة ، بعد تناول الطعام .

ثم هب واقفا ، وهو يضيف فى حماس :

ـ هيا بنا .

صعدا معا إلى حجرة (أدهم) بالفندق ، أخرج (قدرى) من حقيبته آلة تصوير فورية ، وهو يقول :

ـ هل ستتنكر فى أية هيئة ؟

هز (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلا .. ويمكنك الاستغناء ، عن التصوير ، فلدى بعض الصور بالفعل .

قال (قدرى) فى حزم :

ـ مستحيل ! .. هذه هى نفس الآلة ، التى يستخدمونها فى (الموساد) ، وأنا أحب اتقان العمل .

أخرج من حقيبته قطعة من القماش الأسود ، ثبتها على الحائط فى اهتمام ، ثم أوقف (أدهم) أمامها ، وابتعد عنه بضع خطوات ، ورفع آلة التصوير إلى عينيه ، قائلا :

ـ أنت لست نجما سينمائيًا ، فلا تبتسم .

وضغط آلة التصوير ، فسطع فلاشها ، ثم قفزت منها ورقة محاطة بغلاف أسود ، فقال (قدرى) :

ـ ها هى ذى الصورة .

سأله (أدهم) :

ـ بهذه السرعة ؟!

قال (قدرى) فى هدوء ، وهو ينتزع الغلاف الأسود عن الصورة :

ـ كل شىء يسير بسرعة ، فى هذا العصر يا فتى .

أخرج الصورة فى عناية بالغة ، وفرد قطعة من المخمل ، ووضع فوقها الصورة فى رفق ، ثم أخرج بطاقة من بطاقات (الموساد) ، وهو يقول :

ـ لقد قضيت ستة أيام ، لصنع النسخة السلبية الأصلية ، من هذه البطاقات .. لن يمكنك تفرقتها أبدا ، عن البطاقات الحقيقية .

وجذب مقعدا ، جلس فوقه ، وانهمك فى تثبيت صورة (أدهم) فى البطاقة ، وهو يسأله :

ـ أى اسم تريد ؟

قال (أدهم) ، وهو يراقبه فى اهتمام :

- (موشى زفير إفرام) .

خط (قدرى) الاسم فى دقة مدهشة ، اعترف (أدهم) معها بعبقريته ، وتغيّرت نظرته إليه تدريجيًا ، وانتقلت من الضيق والاستخفاف ، إلى التقدير والاحترام والإعجاب ، حتى انتهى (قدرى) من عمله ، فالتقط البطاقة بسبّابته وإبهامه ، وأبعدها عن عينيه لحظة ، قبل أن يقول فى أسف :

- ليست بالغة الإتقان .

هتف (أدهم) :

- بل هى رائعة .

مط (قدرى) شفتيه ، وقال :

- لو أنك من (الموساد) ، فلن تقول هذا .

ثم أخرج جهازًا صغيرًا من الحقيبة ، مستطردا :

- ولكن هذا أفضل ما يمكن عمله ، بالنسبة لعمل عاجل كهذا .

ودسّ البطاقة فى تجويف رفيع ، فى منتصف الجهاز تماما ، وصدر من الجهاز أزيز خافت ، استمرّ لحظات ، قبل أن تخرج البطاقة من جانبه الآخر ، وقد أحاطت بها طبقة رقيقة من مادة البلاستيك ، فالتقطها (قدرى) ، وناولها إلى (أدهم) ، قائلًا :

- فلندع الله (سبحانه وتعالى) أن تنجح فى خداع أى طفل بهذه .

تطلّع (أدهم) إلى البطاقة ، وابتسم قائلًا :

- أنت رائع يا صديقى .

ثم ربّت على كتفه فى حرارة ، مستطردًا :

- انتظرنى هنا .. سأدعوك لتناول طعام العشاء فى مطعم (مكسيم) ، عندما أنتهى من مهمتى .. إلى اللقاء .

قالها واندفع مغادرًا المكان فى سرعة ، فتنهّد (قدرى) ، وقال :

وفقك الله يا فتى .. صدقنى .. إننى أدعو لك بالنجاح فى مهمتك .

وتنهّد مرة أخرى ، قبل أن يستطرد :

- لن أجد فرصة أفضل ؛ لتناول طعام العشاء فى مطعم (مكسيم) ..

* * *

نهض الملحق العسكرى الأمريكى مبتسما ، يستقبل (أدهم) فى حرارة ، وهو يقول :

- مرحبا يا مستر (موشى) .. كيف أمكنك السفر إلى (روما) والعودة منها ، فى هذا الزمن القصير ؟

أجابه (أدهم) مبتسما :

- لقد وجدت وسيلة أفضل ، فاتصلت بمكتبنا هناك ، وطلبت من زميلتى (سارة) إرسال الهوية .

ثم أخرج البطاقة الزائفة من جيبه ، مستطردا :

- وها هى ذى .

التقط الملحق البطاقة ، وتطلع إليها فى اهتمام بالغ ، ثم ارتفع حاجباه ، وهو يقول :

- رائع .

ثم ضغط أحد الأزرار على مكتبه ، وهو يستطرد :

- أظنك تريد اصطحاب مستر (كارل) معك .

قال (أدهم) فى هدوء :

- بالطبع .

دخل إلى الحجرة (ستيف كونواى) ، فألقى نظرة فاحصة على (أدهم) ، ثم التفت إلى الملحق ، الذى قال مبتسما :

- مستر (موشى) يرغب فى اصطحاب (كارل) .

قال (ستيف) فى برود :

ـ حقًا ؟! .. وهل أنت واثق من أنه (موشى إفرام) ؟

قال الملحق ، دون أن تفارقه ابتسامته :

ـ من تقصد ؟ .. هذا أم ..

واستدار فى سرعة ، مشيرًا إلى الباب الخلفى للحجرة ، مستطردًا :

ـ أم هذا ؟

استدار (أدهم) إلى حيث يشير الملحق ، وسمع صوت (موشى إفرام) الحقيقى ، وهو يقول فى حنق ، يمتزج بشىء من الدهشة :

ـ إنه يستخدم صوتى بمهارة مذهلة .

تحرّكت يد (أدهم) فى سرعة ، على الرغم من أنه لم يكن يحمل سلاحًا ، ولكن (ستيف) صوّب إليه مسدسه ، فى نفس اللحظة التى اقتحم فيها (أرنولد) الحجرة ، حاملًا مدفعًا آليًا ، وخلفه (سارة) ، وصوّب الاثنان سلاحيهما إليه ، فأرخى ذراعيه إلى جواره ، وابتسم فى سخرية ، وهو يستعيد صوته العادى ، قائلًا :

ـ فخ متقن .. أهنئكم .

ابتسم الملحق فى فخر ، وهو يجلس خلف مكتبه ، قائلًا :

ـ لسنا بالسذاجة التى تصوّرتها يا مستر (صبرى) ، كما يحلو لك أن تسمى نفسك .. لقد اتصلت بالسفارة الإسرائيلية ، فور انصرافك ، وطلبت من (بيريز) صورة شخصية لـ (موشى إفرام) ، ولم يكن يشبهك بالطبع ، فطلبت حضوره ، ووصل فجر اليوم ، مع زميلته .

هتفت (سارة) فى شماتة :

ـ ألم أقل لك إنك ستخسر اللعبة أيها المصرى ؟

تجاهلها (أدهم) تمامًا ، وهو يقول للملحق :

ـ أعترف أننى أخطأت التصرف هذه المرة أيها الملحق ، ولكنى سأستفيد كثيرًا من هذه الأخطاء فى المستقبل .

قال (أرنولد) فى سخرية :

ـ المستقبل ؟! .. يالك من متفائل .

وقالت (سارة) ساخرة :

ـ لقد انتهى أمرك يا رجل .. لم يعد هناك مستقبل تنتظره .

هزّ (أدهم) كتفيه فى هدوء ، وقال :

ـ ولماذا التشاؤم يا عزيزتى (سارة) .. إننى لم أخسر المعركة بعد ، فما زال هناك سلاح لم أستخدمه بعد .

سأله (ستيف) فى غلظة ، وهو يصوّب إليه مسدسه فى توتر :

ـ أى سلاح هذا ؟ .. أخبرنا بسرعة ، وإلا أطلقت عليك النار .

ابتسم (أدهم) ، قائلًا :

ـ لقد استخدمت حتى الآن السلاح الأوّل ، كما تقول قواعد العمل بالمخابرات .. وهو سلاح العقل .. وعندما يفشل هذا الصراع ، لا يصبح أمام رجل المخابرات سوى استخدام السلاح الثانى .

ودار على عقبيه فجأة ، ليضرب بقدمه مسدس (ستيف) ، مستطردًا :

ـ سلاح القوة .

كانت مبادرته مفاجأة للجميع ، فارتبك (أرنولد) و (سارة) ، فى حين حدق (موشى) ذاهلًا ، وهتف (ستيف) :

ـ اللعنة .

أما (أدهم) نفسه ، فقد مال فى حركة شديدة المرونة ، والتقط مسدس (ستيف) ، قبل أن تذهب به ركلته بعيدًا ، ثم وثب عبر مكتب الملحق العسكرى ، وأمسك الذراع الأيسر لهذا الأخير ، ولواها خلف ظهره فى عنف ، ثم ألصق فوهة المسدس بصدغه ، وهو يقول فى سخرية :

- أرأيتم أن الأمل لم ينته بعد .

صرخت (سارة) فى غضب ، وهى ترفع مدفعها الآلى نحوه :

- سأقتلك ، حتى ولو احتميت بالملحق العسكرى نفسه .

كادت تضغط الزناد بالفعل ، لولا أن ضرب (أرنولد) يدها بعيدا ، وهو يهتف :

- هل جننت ؟ . ستقتلين الملحق العسكرى لو فعلت .

صرخت :

- المهم أن نقتل ذلك الشيطان .

انتزع منها (أرنولد) المدفع الآلى فى عنف ، وهو يقول :

- كلا .. قواعدنا تختلف كثيرا عن قواعدكم .

وقال (أدهم) فى سخرية :

- تعلمى الدرس يا عزيزتى (سارة) .

استشاطت غضبا ، فى حين قال الملحق العسكرى فى عصبية :

- أتظنك تربح بهذه الوسيلة ؟

قال (أدهم) ساخرا :

- بالتأكيد .

قال (ستيف) فى عصبية :

- اسمع ياصاح .. إنك هنا داخل السفارة الأمريكية ، ولست فى متجر صغير مجهول ، ونظم الأمن هنا لن تسمح لك بـ ..

قاطعه (أدهم) فى صرامة :

- أحضر (كارل) .

ظهر الغيظ على وجه (ستيف) ، وهو يقول فى حدة :

- بهذه البساطة ؟!

لوى (أدهم) ذراع الملحق أكثر ، وهو يقول :

- مر هذا الوغد بتنفيذ الأمر .

صرخ الملحق فى ألم ، وصاح :

- نفذ ما يطلبه هذا الشيطان يا (ستيف) ، وأحضر (كارل) اللعين هذا .

كاد (ستيف) يحطم أسنانه ، وهو يضغط فكيه ببعضهما البعض فى عنف ، ثم اندفع لإحضار (كارل) ، فى حين هتفت (سارة) فى غضب :

- لو أن الأمر بيدى لنسفتك نسفا .

قال (أدهم) ساخرًا :

- فلنحمد الله أنه ليس كذلك .

تأوه الملحق فى ألم ، وقال :

- إنك ترتكب أكبر خطأ فى حياتك يا رجل .. سيكلف هذا دولتك الكثير .

قال (أدهم) ساخرًا :

- دولتى ؟! .. لحساب من تظننى أعمل يا رجل .

قال الملحق فى ألم :

- لحساب المصريين بالطبع .. لقد أخبرنى (موشى) كل شىء .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة كبيرة ، قبل أن يقول :

- يا للسذاجة ! .. إننى لست رجل مخابرات كما تظنون أيها الأغبياء ، ولست أعمل لحساب المصريين أو غيرهم ..

سأله (أرنولد) فى توتر :

- لحساب من تعمل إذن ؟

أجابه (أدهم) فى غلظة :

- ليس هذا من شأنك .

التقى حاجبا (أرنولد) فى غضب ، فى نفس اللحظة التى عاد فيها ستيف ، وهو يدفع (أكرم) أمامه ، قائلا :

ـ ها هوذا :

ثم أخرج من جيب معطفه مسدسا آخر ، وألصقه برأس (أكرم) ، الذى بدا شديد التهالك والإرهاق ، وقال فى حدة :

ـ ولكننى سأقتله أمامك ، لو لم تستسلم .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـ افعل يا رجل .. أطلق النار على رأسه ، فأطلق أنا النار على رأس الملحق ، ونصبح متعادلين .

هتف الملحق :

ـ لا تتصرف بحماقة يا (ستيف) .. أعطه ذلك الحقير ، ولينصرفا معا .

زمجر (ستيف) فى غضب ، ودفع (أكرم) إلى الأمام ، هاتفا :

ـ ها هوذا .

دفع (أدهم) الملحق أمامه ، وهو يقول :

ـ حسنا أيها السادة .. والآن سنرحل جميعا .. (كارل) ، والملحق ، وأنا وسأطلق سراح الملحق على بعد مائة متر من السفارة .

عضت (سارة) شفتيها فى غيظ ، وأشاحت بوجهها ، و (أدهم) يغادر المكان مع (كارل) والملحق ، وهى تقول فى حدة :

ـ اللعنة !

أما رجال أمن السفارة ، فقد أصابهم مزيج من الحنق والغضب والغيظ ، وهم يقفون مكتوفى الأيدى ، أمام هذا الموقف العجيب ، خوفا على حياة الملحق العسكرى ، وظل كل منهم يتحسس مسدسه فى توتر ، دون أن يجرؤ على انتزاعه من غمده ، حتى أصبح (أدهم) وأسيراه خارج مبنى السفارة ، ودفع (أدهم) (أكرم) داخل سيارته المكشوفة ، وهو يقول :

ـ هيا .. لقد غادرنا المكان بالفعل .

صعد (أكرم) إلى السيارة ، وهو يقول فى صوت أقرب إلى البكاء :

ـ لقد عذبونى كثيرا باستخدام أقطاب كهربية ، وعصى مطاطية مؤلمة للغاية .. إنهم وحوش .

قال (أدهم) فى غلظة :

ـ إنك تستحق هذا .

ثم دفع الملحق بعيدا ، وهو يقول :

ـ هنا تنتهى مهمتك يا سيدى ، ولكننى سأظل أصوب مسدسى إليك ، حتى ننطلق بالسيارة بالفعل .

قال الملحق فى توتر :

ـ اسمعنى يا رجل .. لو أنك تفعل كل هذا من أجل المال ، فيمكننا أن نمنحك الكثير لو أردت ، مقابل ترك هذا الرجل هنا .

قال (أدهم) فى سخرية :

ـ ليس قبل معرفة ما يساويه بالضبط .

وأدار محرك السيارة ، وهو يصوب مسدسه إلى الملحق ، وقال ساخرا :

ـ الوداع يا سيدى الملحق .. أسعدنى لقاؤك بالتأكيد ، و ..

فجأة بتر عبارته ، عندما قفزت (سارة) ، من شرفة السفارة إلى سيارته ، وأمسكت يده الممسكة بالمسدس ، وهى تهتف :

ـ ربما لم تحن لحظة الوداع بعد .

تشبثت به كقطة شرسة ، وهى تطلق صرخات وحشية عنيفة ، فاستل (ستيف) مسدسه ، وصاح :

ـ إنها فرصتنا .. هيا .

اندفع مع (أرنولد) نحو السيارة ، وكلاهما يحمل مسدسه ، ولكن

(أدهم) ضغط دواسة الوقود بالسيارة ، وانطلق بها بأقصى سرعة ، دون أن يتخلى عن صراعه مع (سارة) ، التى تصرخ :

ـ قلت لك : إنك لن تنتصر .

تراجع (أكرم) فى خوف ، وهو يراقب صراعهما العنيف ، و (أدهم) يبذل طاقة مضاعفة ؛ للسيطرة على السيارة ، وهو يبتعد بها عن السفارة الأمريكية ، مقاتلًا (سارة) فى الوقت ذاته ، حتى خرجت السيارة إلى طريق رئيسى ، فصرخ (أكرم) :

ـ احترس .

وبنظرة سريعة ، أدرك (أدهم) سر صرخة (أكرم) :

لقد كانت هناك حافلة ركاب ضخمة تندفع نحو السيارة ، على بعد متر واحد ..

وكان الاصطدام حتميًا .



١٤ ـ مطاردة ...

اعتدلت (مارتينا) فى حركة حادة ، داخل ذلك المنزل ، الذى تراقب منه السفارة الأمريكية مع زميلها (أندريه) ، وقالت :

ـ ماذا يفعلون ؟!

هب (أندريه) من فراشه ، وسألها :

ـ ماذا حدث ؟

قالت فى انفعال ، قلما رآه فيها أى مخلوق :

ـ ذلك المصرى يغادر السفارة ، وهو يمسك الملحق العسكرى ، ويدفع أمامه (كارل) .. يا للجرأة ! .. هل استعاد مواطنه بالقوة ؟

انتزع منها المنظار المقرّب ، قائلًا :

ـ دعينى أر .

تطلّع عبر المنظار المقرّب بدوره ، وهتف :

ـ يا للشيطان ! .. إنه أجرأ رجل رأيته بالفعل .

ثم أعاد إليها المنظار ، والتقط مسدسه ، وهو يقول :

ـ هيا بنا .. سنلحق به .

أمسكت ذراعه ، قائلة :

ـ انتظر .. اترك الأمريكيين يطاردونه أوّلا ، فظهورنا الآن سيزيد الأمر تعقيدًا .. اتركهم يطاردونه ، ولنر ماذا سيفعلون .

قال فى حدة :

ـ قد ينجح فى الفرار منهم .

اجابته فى برود :

- فى هذه الحالة سنطبق عليه ، دون أن نخشى معرفتهم لوجودنا ، أما لو ألقوا القبض عليه ، فسنتدخل عندئذ فعليًا ، وننتزعه من بين أيديهم .

مط شفتيه قائلا :

- فليكن .. هيا بنا ، وسننتظر مطاردتهم له ، ثم نضرب نحن ضربتنا .

ثم استدرك فى سرعة :

- ولكن تذكرى ان هذه خطتك أنت ، وستتحملين نتائجها أمام الرؤساء .

رمقته بنظرة احتقار ، وهى تقول :

- أعلم هذا .. اننى أتحمل المسئولية كلها .

تنهد قائلا :

- فى هذه الحالة لا بأس .. هيا بنا .

وبدأت المطاردة السوفيتية ..

* * *

كان الاصطدام حتميًا ، فى مثل هذه الظروف ، فالحافلة تنطلق بسرعة كبيرة ، و (أدهم) يقطع الطريق على نحو مباغت ، و (سارة) تتشبث به ، وتقاتله فى شراسة ، و ..

ولكن عقل (أدهم) درس الموقف كله ، على الرغم من كل هذا ، وبحث عن أفضل وسيلة للنجاة ، ووضعها موضع التنفيذ على الفور ، وبإشارة منه الى القدمين ، زادت قدم (أدهم) اليمنى من ضغطها ، على دواسة الوقود ، وارتفعت الاشارة الى الكفين ، فأدار عجلة القيادة إلى اليسار ، بزاوية حادة طويلة ..

وارتفع بوق الحافلة ، مع ذعر قائدها ، الذى ضغط فراملها بدوره ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، عندما رأى سيارة (أدهم) تعبر أمامه بسرعة كبيرة ، ثم تنحرف فى حدة ، وتبتعد عن مقدمته بزاوية مخيفة ..

ولكنه ارتطم بحقيبتها الخلفية ..

وكان الارتطام عنيفًا ، على الرغم من كل ما فعله (أدهم) ..

وانحرفت سيارة (أدهم) فى عنف ، ولكنه سيطر على عجلة قيادتها فى قوة ومهارة ، و (سارة) تنتزع مسدسها ، هاتفة :

- اتل صلاتك الأخيرة أيها المصرى ، فسأرسلك على الفور الى الجحيم .

ألصقت فوهة مسدسها برأسه ، وهمت بإطلاق النار ، ولكن يده تحركت فى سرعة ، ورفعت يدها عاليا ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها رصاصتها ، وضاعت فى الهواء ، فصرخت فى غيظ :

- اللعنة عليك .. ألف لعنة !

ضغط (أدهم) فرامل سيارته بغتة ، فانخفضت السرعة فى عنف ، واختلّ توازن جسد (سارة) ، فاندفعت إلى الأمام ، وامسك (أدهم) عنقها ، وهو يحملها ، ويلقيها خارج سيارته ، قائلا فى سخرية :

- معذرة ، لست أرغب فى الذهاب الى الجحيم ، فى الوقت الحالى ، ولا فى اية أوقات أخرى .

سقطت خارج السيارة ، وارتطمت بالأرض فى عنف ، وهى تصرخ :

- أيها الحقير .

وحاولت أن تعتدل ، لتطلق النار عليه ، ولكنه انطلق بالسيارة مبتعدا ، وهو يهتف :

- وربما أرسلتك إلى هناك بدلا منى .

صرخت فى غضب وغيظ :

- سأرسلك أنت أولا .

وأطلقت رصاصتين خلف السيارة ، ولكنها أخطأتها تماما ، من فرط الغضب والغيظ ، ولم تكد تعيد مسدسها الى جوارها فى حنق ، حتى عبرت أمامها السيارة الأمريكية ، وهى تحمل (ستيف) و (أرنولد) ، فصاحت :

- انتظرانى .. انتظرانى .

توقفت أمامها سيارة أخرى ، وسمعت صوت (موشى) ، يقول :

- هيا .. أسرعى .

قفزت داخل السيارة ، وهتفت به :

- اتبعهم .. هيا .

اشترك فى المطاردة بسيارته ، وراحت السيارات الثلاث تقطع شوارع (باريس) فى سرعة كبيرة ، تفوق السرعة المسموح بها داخل المدن ، مما أثار غضب ودهشة رجال شرطة المرور ، فاندفع اثنان منهم على دراجتيهما الآليتين ، للاشتراك فى المطاردة ..

وفى توتر شديد ، سأل (أكرم) (أدهم) :

- إلى أين تحملنى ؟ .. وماذا ستفعل بى ؟

قال (أدهم) فى صرامة :

- اصمت .

ارتجف (أكرم) ، وهو يقول :

- لقد اتصلت برجال المخابرات المصرية ، وقلت لهم إننى سأعيد إليهم الشرائط ، مقابل التنازل عن اتهامى بالتجسس ، والتوقف عن مطاردتى .

قال (أدهم) فى سخرية ، وهو ينحرف فى طريق جانبى :

- وبعدها تبيع نسخة من الشرائط للأمريكيين ، وأخرى للسوفيت ، وتنعم بحياة أصحاب الملايين مقابل خيانتك .. لا أيها الوغد .. لن نمنحك كل هذه المتعة ، مقابل خيانة دولتك .

شحب وجه (أكرم) ، وامتقع ، وتولدت فى أعماقه شراسة عجيبة ، أشبه بشراسة الفأر ، عندما يفقد الأمل فى النجاة ، وقال فى حدة :

- فى هذه الحالة لن أرافقك .

قال (أدهم) فى سخرية :

- أتظنك تفعل هذا بإرادتك ؟

هتف (أكرم) :

- سأفعل كل شىء بإرادتى ، منذ هذه اللحظة .

وانقض فجأة على (أدهم) ، ودفع عجلة القيادة إلى اليسار ، وهو يصرخ :

- كل شىء ..

انحرفت السيارة بغتة ، واندفعت نحو الإفريز ، و (أدهم) يلكم (أكرم) ، هاتفا :

- ابتعد .

ولكن السيارة ارتطمت بالإفريز بالفعل ، وانحرفت على نحو عنيف ، وانزلقت إطاراتها فى شدة ، و ..

وانقلبت رأسا على عقب ..

انقلبت فى عنف ، وانزلقت عدة أمتار ، لترتطم بها سيارة أخرى ، وتدفعها للدوران حول نفسها وسط الطريق ، ووسط صرير عشرات الإطارات ، لسيارات فاجأها الموقف ، فضغط قادتها فراملها فى قوة ، فى محاولة لتفادى الاصطدام ..

وصاح (ستيف) :

- لقد وقع فى أيدينا .

وقع بصره على (أدهم) ، وهو يغادر السيارة المقلوبة ، ويجذب جسد (أكرم) خارجها ، فصاح :

- أوقف السيارة .

أوقف (أرنولد) السيارة ، وانتزع مسدسه ، وانطلق مع (ستيف) إلى حيث السيارة ، وسط عشرات المارة ، الذين ازدحموا لمشاهدة ما حدث ، وصاح بهم (أرنولد) :



وقع بصره على (أدهم) ، وهو يغادر السيارة المقلوبة ، ويجذب جسد (أكرم) خارجها ، فصاح : ـ أوقف السيارة ..

ـ ابتعدوا .. ابتعدوا .. إنها مسألة بوليسية .

ولكن أحدهم لم يحاول إفساح الطريق ، بل تضاعف الازدحام ، وأصبح (ستيف) و (أرنولد) يقاتلان لبلوغ السيارة ، حتى وصلت (سارة) مع (موشى) ، وصاحت فى صرامة :

ـ ابتعدوا .. السيارة بها قنبلة ، وستنفجر بعد لحظات .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى كان الجميع يعدون مبتعدين عن السيارة ، وهم يطلقون صيحات ذعر ، فهتف (ستيف) :

ـ يالها من فتاة !

واستعد مع (أرنولد) بمسدسيهما ، لا قتناص (أدهم) ، واستعادة (أكرم) ، ولكن لم يكد الازدحام ينقشع ، حتى اتسعت عيونهما فى دهشة ، فلم يكن هناك أدنى أثر لـ (أدهم) ..

ولا لـ (أكرم) ..

وفى غضب هتفت (سارة) :

ـ اللعنة ! .. أين ذهب ؟

ثم اندفعت إلى أحد المارة ، ممن كانوا يلتفون حول السيارة ، وسألته فى حدة :

ـ أين قائد السيارة ؟

أجابها مشيرا إلى بناية قريبة :

ـ لقد حمل الآخر الفاقد الوعى ، ودخل به تلك البناية

دفعته (سارة) بعيدًا ، وهتفت بـ (ستيف) :

ـ إنه هنا .

انطلق الثلاثة يعدون ، إلى داخل البناية ، وقال (ستيف) ، مشيرا إلى المصعد :

- سأصعد أنا و (سارة) فى درجات السلم ، ويستقل (أرنولد) المصعد .

أسرعت (سارة) تتبع (ستيف) عند السلم ، وهى تقول لـ (أرنولد) :

- احترس كثيرا ، فخصمنا أكثر دهاء من الثعالب .

لوح (أرنولد) بمسدسه ، قائلا :

- اطمئنى يا صغيرتى .. أنا متخصص فى صيد الثعالب .

استقل المصعد إلى الطابق الأخير ، وجذب مشط مسدسه ، وهو يقول :

- صغيرتنا (سارة) تضفى على هذا الرجل قوة خرافية ، ولكننى سأثبت لها أنه مجرد هدف صغير ، تنسفه رصاصاتى من المحاولة الأولى .

سمع من أعلى صوتا ساخرا ، يقول :

- أو ينسفك هو .

رفع سلاحه بسرعة إلى سقف المصعد ، ولكن (أدهم) انقض عليه من فتحة الطوارئ العلوية ، وأطاح بمسدسه ، قائلا :

- لقد نسيتم مكانا رائعا للاختباء أيها الوغد .

حاول (أرنولد) أن يلكمه فى أنفه ، وهو يقول :

- حتى لو نسيناه ، فلن ينقص هذا من مهارتنا .

ولكن (أدهم) تفادى اللكمة فى مرونة ، وترك قبضة (أرنولد) ، ترتطم بجدار المصعد ، ثم هوى على فكه بلكمة عنيفة ، قائلا :

- أأنت واثق ؟

ضربت اللكمة رأس (أرنولد) بجدار المصعد ، وارتد فى قوة ، فتلقفته قبضة (أدهم) اليسرى بلكمة أخرى أكثر عنفا ، ضربت رأسه مرة ثانية بالجدار ..

ولكنه لم يفقد وعيه ..

كانت مقاومته قوية وشديدة بالفعل ، وهو ينقض على (أدهم) ، صارخا :

- لن تنتصر .. إنك تقاتل (أرنولد) .. (أرنولد ماجور) .

ولكن (أدهم) أزاح ذراعيه عن كتفيه فى عنف ، ثم هوى بحافتى كفيه على جانبى عنقه ، وأعقب هذا بلكمتين متتابعتين فى معدته ، ثم ثالثة على مؤخرة عنقه ..

وسقط (أرنولد) ..

سقط مكتوما ، تحت قدمى (أدهم) ، الذى التقط نفسا عميقا ، ثم انحنى يعدل من وضعه ، ويجلسه داخل المصعد ، مغمغما :

- أعترف أنك مقاتل شرس يا رجل .

كان المصعد قد بلغ الطابق الأخير ، فانفتحت أبوابه ، وقفز (أدهم) خارجه ، وأسرع إلى حيث ترك (أكرم) الفاقد الوعى ، فوق السطح ، فحمله فى خفة ، وعاد به إلى المصعد ، و ..

ولكن فوهتا مسدسين آليين استقبلتاه ، وخلفهما ظهر (ستيف) و (سارة) ، وعينا الأخيرة تبرقان فى ظفر ، وهى تقول :

- لم يكن عليك أن تتقاتل مع (أرنولد) داخل المصعد ، فقد صنع قتالكما جلبة قوية ، تكفى لإيقاظ مريض تحت تأثير البنج ، فى حجرة العمليات .

ولكن (أدهم) لم يضع لحظة واحدة ..

صحيح أنه كان يحمل (أكرم) بذراعيه ، ولكنه قفز بقدميه معا ، وركل مسدسى (ستيف) و (سارة) فى آن واحد ، ثم دفعهما بجسد (أكرم) ، هاتفا :

- معذرة .. ليس لدى ما أضيعه من وقت .

سقط الاثنان أرضا ، من فرط المفاجأة ، وتحركت قدم (أدهم) اليمنى فى

سرعة ، فركل (ستيف) فى فكه ركلة عنيفه ، جعلت رأس هذا الأخير يرتطم بالأرض فى قوة ، فى نفس الوقت الذى أمسكت فيه (سارة) قدمه اليسرى ، وصاحت :

- حتى ولو أصررت أنا ؟!

جذبت قدمه اليسرى فى عنف ، فى اللحظة التى كانت قدمه اليمنى تركل فيها وجه (ستيف) ، فاختل توازنه ، وسقط مع حمله أرضا ، وقفزت هى تستعيد مسدسها ، وتهتف فى حدة :

- ستبقى هنا الى الابد ايها المصرى .

استدارت تصوب مسدسها إليه ، صارخة :

- إلى الابد .

ولكنه حمل جسد (أكرم) ، وألقاه عليها ، هاتفا :

- لا تتسرعى بالقول يا عزيزتى .

ارتطم بها جسد (اكرم) ، وسقطت معه أرضا ، وسمعته يطلق آهة ألم ، هاتفا فى ذعر :

- ماذا تفعلون بى ؟!

قفز (أدهم) واقفا على قدميه ، وركل مسدس (سارة) مرة أخرى ، قائلا :

- لا تعبثى بهذه الألعاب النارية يا فتاتى .. إنك ..

قبل أن يتم عبارته ، فوجىء بـ (أرنولد) يطلق صرخة غضب هائلة ، وهو ينقض عليه فى عنف ، ويحيط وسطه بذراعيه صارخا :

- لن تهزم (أرنولد) أبدا .

شعر (أدهم) بالدهشة ؛ لأن (أرنولد) استعاد وعيه بهذه السرعة ، ولكنه أدرك من الذراعين المفتولتين ، اللتين تلتفان حول عنقه ، أن الرجل يتمتع بقوة شديدة ، لابأس بها ، فدفع ركبته فى صدر (أرنولد) ، هاتفا :

- من يدرى يا رجل ؟

تلقى (أرنولد) الضربة فى صمود ، ورفع جسد (أدهم) فى عنف ، وهو يندفع به نحو حاجز السطح ، صارخا :

- ستدفع ثمن ما فعلت غاليا .

أدرك (أدهم) أن (أرنولد) يريد إلقاءه من السطح ، فلكمه فى فكه لكمتين عنيفتين ، ولكن (أرنولد) تلقاهما فى غضب ، وأطلق زمجرة مخيفة ، دون أن يفلت (أدهم) ، الذى استجمع كل قوته فى قدم ، وضرب بها (أرنولد) بين قدميه فى عنف ، فأطلق (أرنولد) خوارا عجيبا ، وتخلى ذراعاه عن (أدهم) ، الذى هبط على قدميه ، وكال لـ (ارنولد) لكمة كالقنبلة فى فكه ، وأخرى فى معدته ، وثالثة فى أنفه ..

وسقط (أرنولد) أرضا ، وعبر (ادهم) جسده بقفزة واحدة ، متجها نحو البقعة ، التى ألقى فيها (أكرم) ..

ولكن (أكرم) لم يكن هناك ..

لقد اختفى ..

اختفى مع (سارة) ..

* * *

جلس (موشى) فى السيارة متوترا ، يتطلع الى ساعته بين لحظة واخرى ، وهو يغمغم فى عصبية :

- لماذا تأخروا ؟! .. المفروض أن يلقوا القبض على (كارل) ، ويتخلصوا من الآخر فى سرعة .

تطلع فى قلق الى رجال الشرطة ، الذين يفحصون السيارة المقلوبة ، ويستجوبون الشهود ، ورأى بعضهم يشير الى مدخل البناية ، التى اختفى داخلها (أدهم) ، فردد فى توتر :

- ستزداد الأمور تعقيدا ، لو تأخروا أكثر من هذا .

كان يراقب مدخل البناية ، عندما التصقت فجأة فوهة مسدس باردة بصدغه ، وسمع صوتا أكثر برودة ، يقول :

ـ هل تنتظر أحدا ؟

اتسعت عيناه فى ذعر ، وهو يختلس النظر بهما إلى (مارتينا) ، فى نفس الوقت الذى فتح فيه (أندريه) باب السيارة الآخر ، وانزلق ليجلس إلى جواره ، قائلا :

ـ كيف حالك أيها الرفيق (موشى) .. إننا لم نلتق منذ زمن طويل .

ارتجفت الكلمات على شفتى (موشى) ، وهو يقول :

ـ ماذا تريد بالضبط يا (أندريه) ؟

سأله (أندريه) فى هدوء ، وهو يشعل سيجارته السوفيتيه ، ذات الرائحة النفاذة القوية :

ـ هل دخلتم اللعبة أيضا ، أيها الرفيق (موشى) ؟

سأله (موشى) فى توتر :

ـ أية لعبة ؟

أجابته (مارتينا) فى برود مخيف ، وهى تلصق فوهة المسدس الباردة برأسه أكثر وأكثر :

ـ ليس لدينا وقت للف والدوران أيها الرفيق الإسرائيلى .. نريد إجابات مباشرة ، وإلا فسأضغط زناد مسدسى ، وينفجر رأسك كالقنبلة .

سرت قعريرة باردة فى جسد (موشى) ، وقال :

ـ حسنا يا (مارتينا) .. الجواب هو نعم .. إننا فى اللعبة منذ البداية ، بل نحن أصحابها الفعليين ، فذلك الرجل كان يعمل لحسابنا .

سأله (أندريه) ، وهو ينفث دخان سيجارته فى عمق :

ـ هل يمتلك بالفعل هذه الشرائط ، التى يتحدث عنها ؟

أومأ (موشى) برأسه إيجابا ، وقال :

ـ نعم .

هز (أندريه) رأسه فى هدوء ، ثم نفث دخان سيجارته مرة أخرى ، وقال :

ـ هذا يجعل لقتالنا معنى على الأقل .

ثم غادر السيارة ، وأغلق بابها قائلا :

ـ الوداع أيها الرفيق (موشى) .. يؤسفنى أننا لن نلتقى بعد الآن .

اتسعت عينا (موشى) ، وهو يقول فى رعب :

ـ لن نلتقى بعد الآن ؟! .. ماذا تعنى ؟

ابتسمت (مارتينا) فى برود ، وقالت :

ـ هذا ما يعنيه أيها الرفيق (موشى) .

وضغطت زناد مسدسها المزود بكاتم لصوت ..

وانفجر رأس (موشى) بالفعل ..

* * *

هبطت (سارة) بالمصعد مع (أكرم) ، وهى تقول فى شراسة :

ـ لو حاولت الهرب منا مرة أخرى ، فسأقتلك ككلب أجرب بلا رحمة يا (كارل) .

فوجئت بـ (أكرم) يقول فى شراسة مماثلة :

ـ لن أسمح لكم بمعاملتى بهذا الأسلوب بعد الآن يا (سارة) .

حدقت فى وجهه بدهشة ، وهى تقول :

ـ منذ متى ؟

أزاح مسدسها بعيدا ، وهو يقول فى حدة :

ـ منذ هذه اللحظة .

صاحت فى غضب :

- ومن سيسمح لك ؟
صرخ فى وجهها :
- لست أحتاج إلى إذن من أحد يا (سارة) .. لقد بترت إصبعين من كفى ، وسببت لى عذابًا لا حدود له ، لتحصل دولتك على مالدى من أسرار مجانًا ، ولكنك لن تستمرى فى هذا الأمر أبدًا .. لو أنكم تريدون الشرائط ، فلتدفعوا ما أطلبه ، وإلا فاقتلونى ، ولن تحصلوا على شىء قط .

بدا من الواضح أنه لم يعد ذلك الجبان الرعديد ، الذى كانت تعرفه من قبل ، وأن العيش وسط الخطر الحقيقى قد أبدل شخصيته فى سرعة عجيبة ، فخفضت مسدسها ، وقررت اتخاذ سياسة جديدة فى معاملته ، وهى تقول :
- إننا سندفع ما تطلبه بالطبع ، يا (كارل) ، لماذا تصورت العكس ؟
قال فى حدة :
- أريد عشرين مليونًا من الدولارات ، وليس عشرة فحسب .
قالت بابتسامة هادئة :
- لا بأس .. ستحصل على ما تريد .
قال فى عصبية :
- أريد قرارًا رسميًا .
قالت محاولة تهدئته :
- ستحصل عليه بالتأكيد .. اطمئن .
رفع كفه اليسرى أمامها ، مستطردًا فى حدة :
- وماذا عن الإصبعين المبتورين ؟!
قالت فى توتر :
- ستحصل على تعويض مناسب .
بلغ بهما المصعد الطابق السفلى ، فغادراه معًا ، وهو يقول فى حدة :

- سأطلب مليون دولار عن كل إصبع على الأقل ، و ...
سمعا فجأة شخصًا يهتف :
- ها هوذا .
التفتا إلى مصدر الصوت فى ذعر ، ورأيا عددًا من رجال الشرطة يتطلعون إليهما ، وبينهم شخص قصير ، يستطرد مشيرًا إليهما :
- إنه الشخص الذى كان داخل السيارة .
واتجه إليهما رجال الشرطة فى حسم ..

* * *

اندفع (أدهم) نحو المصعد ، محاولًا اللحاق بـ (أكرم) و (سارة) ، ولكن (أرنولد) تعافى فى سرعة مدهشة ، واندفع خلفه صارخًا :
- لن تهرب يا رجل .
استدار إليه (أدهم) فى سرعة ، واستقبله بركلة عنيفة فى معدته ، ثم قفز موجهًا ركلة أخرى إلى أنفه ، فتراجع (أرنولد) فى غضب وثورة ، ثم عاد ينقضّ على (أدهم) ، ويحيط وسطه بذراعيه ، هاتفًا :
- لقد تجاوزت حدودك .
لكمه (أدهم) فى وجهه لكمة عنيفة ، أعقبها بأخرى أشد عنفًا ، ولكن (أرنولد) زمجر فى غضب ، وهو يندفع بـ (أدهم) نحو حاجز السطح ، و (أدهم) يكيل له اللكمة تلو الأخرى ، فى نفس الوقت الذى استعاد فيها (ستيف) وعيه ، ونهض يلتقط مسدسه ، قائلًا :
- ألقه يا (أرنولد) .. ألقه .
أطلق (أرنولد) صرخات عنيفة قوية غاضبة ، واحتمل لكمات (أدهم) ، على الرغم من قوتها وعنفها ، وهو يدفعه خارج السطح ..
وهنا هتف (أدهم) :
- أنت أجبرتنى على هذا .

وبكل ما يملك من قوة ، هوى بقبضته على عنق (أرنولد) ..

وارتفع صوت تلك القرقعة المخيفة ..

وجحظت عينا (أرنولد) ، وهو يطلق حشرجة رهيبة ، وتراخى ذراعاه حول جسد (أدهم) ، وهو يجاهد لاستنشاق الهواء ، بعد أن حطمت لكمة (أدهم) حنجرته ، وسدت أمام رئتيه طريق الهواء ..

وشعر (ستيف) أن (أدهم) قد أفلت من (أرنولد) ، فهتف :

ـ لا .. لن تفلت .

واندفع بكل سرعته نحو (أرنولد) ، ودفعه دفعة قوية ، هاتفا :

ـ فلتسقطا معا .

وكانت الدفعة قوية بالفعل ، فارتطم (أدهم) بحاجز السطح ، ودفعه جسد (أرنولد) خارجه ، و ..

وهويا معا .



١٥ ـ الهروب ...

توتّرت (سارة) فى شدة ، وأخفت مسدسها فى جيب سترتها الجلدية ، عندما تقدّم منها رجال الشرطة ، وقال أحدهم لـ (أكرم) :

ـ أأنت قائد هذه السيارة ؟!

هزّ (أكرم) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ لا .. لست قائدها .. كنت أركب إلى جواره فحسب .

سأله رجل الشرطة فى صرامة :

ـ كيف وقع الحادث ؟

قال فى توتر :

ـ لست أدرى .. لقد انفجر إطار السيارة فجأة ، و ..

قاطعه رجل الشرطة :

ـ ليس هذا ما قاله شهود الحادث .

صاح (أكرم) :

ـ إنهم كاذبون .

بدت الصرامة على وجه رجل الشرطة ، وهو يقول :

ـ حسنا يا سيّدى .. ستحسم التحقيقات هذا الأمر .. هل يمكنك مرافقتنا إلى قسم الشرطة ؟

اضطربت (سارة) ، وهى تقول :

ـ قسم الشرطة ؟! .. ليس هذا من حقك ، وليس ..

قاطعها الشرطى فى حزم :

بل هو من حقى يا سيدتى ، حتى لو استخدمت القوة لهذا ، وحتى لو ..

انطلقت فجأة صرخة سيدة من المارة ، وصاح رجل :

ـ إنهما يسقطان من أعلى .

تراجع رجل الشرطة فى حركة حادة ، ورفع الجميع رءوسهم إلى أعلى ، ورأوا (أدهم) و (أرنولد) يسقطان من سطح المبنى ، وهتفت (سارة) :

ـ رائع .

ثم جذبت (أكرم) من يده ، هاتفة :

ـ هيا بنا .. سيشغلهم هذا عنا .

تبعها وهو يرفع عينيه إلى أعلى ، ورأى (أدهم) يتشبث بإفريز نافذة الطابق العلوى ، فى حين يواصل جسد (أرنولد) سقوطه ، وهو يطلق صرخة مكتومة مخيفة ، قبل أن يرتطم جسده بالأرض فى عنف ، ويتعالى صراخ المارة ..

وانشغل رجال الشرطة بالفعل فى متابعة (أدهم) ، الذى تعلق بإفريز الشرفة العلوية فى قوة ، ثم دفع جسده ليقف فوقه ، ورجال الشرطة يهتفون :

ـ لابد من معاونته .. أسرعوا .

تجاهلت (سارة) كل هذا ، وهى تعدو مع (أكرم) نحو سيارتها ، ولم تكد تبلغها حتى فتحت بابها ، و ..

وأطلقت شهقة ذعر ..

كان (موشى) ملقى داخل السيارة ، وسط بركة من الدماء ، وقد تفجرت جمجمته ، وبدا منظره شديد البشاعة ، فتراجعت (سارة) هاتفة :

ـ من فعل هذا ؟

ارتجف (أكرم) لرؤية هذا المشهد ، وصاح :

ـ يا إلهى ! .. إنها مجزرة .

أغلقت باب السيارة فى عنف ، وتلفتت حولها قائلة :

ـ سنستقل واحدة من سيارات الأجرة .

سمعت من خلفها صوتًا يقول فى حدة :

ـ وما عيب سيارتنا يا زميلة الكفاح ؟

كان (ستيف) ، الذى هبط فور دفعه (أدهم) و (أرنولد) ، للحاق بها ، قبل أن تفر مع (أكرم) ، فالتفتت إليه ، هاتفة :

ـ كنت أنتظرك .

دفعها مع (أكرم) إلى سيارته الأمريكية ، وهو يقول :

ـ حقًا ؟!

دفعهما داخل السيارة ، وقفز خلف عجلة القيادة ، ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

ـ اللعنة !

كان يرى أمامه (مارتينا) و (أندريه) ، وهما يتجهان إلى سيارته ، فى خطوات سريعة ، فضغط دواسة الوقود فى سرعة ، وجذب عصا السرعة إلى الاتجاه الخلفى ، وتراجع بالسيارة فى سرعة ، فاندفع (أندريه) و (مارتينا) يعدوان نحوه ، ولكنه أدار عجلة القيادة فى مهارة ، فدارت السيارة حول إطاراتها ، وهى تطلق صريرًا مخيفًا ، جذب انتباه الجميع ، حتى رجال الشرطة ، قبل أن تنطلق السيارة مبتعدة ، فى الاتجاه الآخر ..

وتوقفت (مارتينا) عن العدو ، وهى ترمق السيارة المبتعدة بنظرات ساخطة ، فى حين لهث (أندريه) ، وهو يقول :

ـ هيا إلى سيارتنا .. سنطاردهم حتى النهاية .

أمسكت ذراعه فى قوة ، قائلة :

ـ خطأ .

هتف بها :

- أى خطأ فى هذا ؟! .. إنهم سيفرون أمام أعيننا .

ابتسمت ابتسامة باردة ، وهى تقول :

- اطمئن .. ما دام الأمريكى هو الذى يقود اللعبة الآن ، فسيتجه بصيده حتمًا إلى السفارة الأمريكية ، وكل ما علينا إذن هو أن نقود سيارتنا فى هدوء إلى هناك ، وننتظر ما سيفعلونه ، حتى تحين اللحظة المناسبة ، لحصولنا على الصيد .

ثم رفعت عينيها إلى أعلى البناية ، ومطت شفتيها فى ضيق ، عندما رأت افريز النافذة العلوية خاليًا ، فقد كان هذا يعني أن (أدهم) لم يعد هناك ..

لقد نجا ..

* * *

هوى (أدهم) مع (أرنولد) ، من سطح المبنى ، ورأى إفريز النافذة العلوية يمتد أمامه ، فمد ذراعيه فى سرعة ، وتشبث بحافته ، ثم التفت محاولًا إنقاذ (أرنولد) ، إلا أن جسد هذا الأخير كان قد تجاوزه ، وواصل سقوطه من عل ..

واستجمع (أدهم) قوته ، ودفع جسده إلى أعلى ، ووقف فوق الإفريز ، وتطلع إلى حافة السطح ، التى ترتفع مترين فوق رأسه ، وأدرك أنه لن ينجح فى بلوغها بقفزة واحدة ، فعاد يلقى نظرة إلى أسفل ، ورأى رجال الشرطة يحيطون بجثة (أرنولد) ، ثم يشيرون إليه فى أعلى ، وبعضهم يسرع نحو مدخل البناية ، فى حين تستقل (سارة) سيارة الأمريكيين ، مع (ستيف) و (أكرم) ، وتنطلق بها مبتعدة ..

ولم يكن (أدهم) مستعدًا للدخول فى مشكلة جديدة ، مع الشرطة الفرنسية ..

وكان - فى الوقت ذاته - يحتاج إلى اللحاق بـ (أكرم) بأقصى سرعة ، قبل أن ينتزع منه (ستيف) و (سارة) ماليديه ..

وفى هدوء وحزم ، التفت (أدهم) إلى النافذة العلوية ، وراح يعالج رتاجها فى مهارة ، حتى استجاب الرتاج له ، ففتح النافذة ، وقفز داخل الشقة ، ورأى صاحبتها تطلق شهقة فزع ، وتتراجع فى ذعر ، فلوّح بكفه فى حركة مسرحية ، وهو يقول مبتسمًا :

- معذرة يا سيدتى .. يبدو أننى أخطأت الطريق إلى برج (إيفل) .

قالها واندفع نحو باب الشقة ، وهى تفسح له الطريق مذعورة ، وصعد فى درجات السلم فى خطوات سريعة ، حتى بلغ السطح ، وتناهى إلى مسامعه وقع أقدام رجال الشرطة ، الذين يصعدون فى درجات السلم ، ورأى المصعد يكاد يبلغ الدور العلوى ، حاملا عددًا آخر منهم ، فأدار عينيه فى السطح فى سرعة ، حتى استقر بصره على بناية قريبة ، يبعد سطحها عن سطح المبنى ، الذى يقف فوقه ، بحوالى أربعة أمتار ..

وكان له سقف هرمى الشكل ، ينحنى إلى أسفل بزاوية تقترب من الخمسة والأربعين درجة ..

ولم يكن هناك سبيل آخر للفرار ..

وبسرعة ، حسم (أدهم) أمره ..

واتخذ قراره ..

ووضعه موضع التنفيذ ..

وفى هدوء ، تراجع (أدهم) حتى نهاية السطح ، وقدر المسافة ببصره ، ثم انطلق ..

ومع انطلاقته ، اقتحم رجال الشرطة المكان ، ورفع أحدهم مسدسه نحوه ، هاتفًا فى صرامة :

- توقف أو ..

ولم يتم عبارته ..

كان ذلك المشهد الذى رآه كافيًا ، ليفجِّر فى أعماقه أكبر قدر عرفه من الدهشة ، منذ مولده على الأقل .

رأى (أدهم) يعدو نحو حاجز السطح بسرعة كبيرة ، ثم يقفز إلى قمة الحاجز بقدمه اليمنى ، ويدفع جسده إلى الأمام ..

نحو الفراغ ..

وكمشهد من أفلام الأساطير والخرافات ، عبر جسد (أدهم) الأمتار الأربعة ، قبل أن يهبط فوق المبنى المقابل ..

وفى ذهول تام ، هتف رجل الشرطة :

ـ مستحيل !

أما (أدهم) نفسه ، فقد هبط على السطح المائل ، وانزلق جسده فوقه فى سرعة ، ولكن يداه تشبثتا بالحافة ، وتأرجح جسده فى مرونة ، قبل أن يتركها إلى سطح مستوٍ قريب ، يبعد مترين فحسب عنها ..

وعندما بلغ رجال الشرطة حاجز السطح ، كان هو يقفز إلى سطح ثالث ، يساوى فى ارتفاعه السطح الثانى ، ويبتعد فى خفة مدهشة ، فهتف أحد رجال الشرطة

ـ أبهلوان هو ؟!

أجابه آخر :

ـ لم أشاهد هذا قط ، حتى فى السيرك !

وصاح ثالث :

ـ ألن نطارده ؟

أجابه قائدهم فى حدة :

ـ نطارده ؟! .. وكيف يمكننا الوصول إليه الآن ؟ .. إنه سيختفى من المنطقة كلها ، قبل أن نهبط إلى أسفل .

هتف شرطى فى ذعر :



وكمشهد من أفلام الأساطير والخرافات ، عبر جسد (أدهم) الأمتار الأربعة ، قبل أن يهبط فوق المبنى المقابل ..

- يا إلهى ! .. لقد نسينا أمر قائد السيارة ، التى جئنا لفحصها ! .. لا ريب أنه هرب بدوره كذلك .

التقى حاجبا قائدهم فى غضب ، وهو يقول :

- كنت أعلم هذا .. كنت أعلم أنه يوم مشئوم ، منذ تشاجرت مع زوجتى فى الصباح .

وألقى نظرة بعيدة ، نحو البقعة التى اختفى فيها (أدهم) ، مكرِّرًا فى حنق :

- كنت أعلم هذا ..

* * *

بدا (أكرم) عصبيًا ، وهو يجلس فى حجرة الملحق العسكرى ، داخل السفارة الأمريكية ، ورمقه الملحق بنظرة صارمة ، وهو يقول :

- إنك تسبب لنا العديد من المشكلات يا مستر (كارل) .

أجابه (أكرم) فى عنف :

- من منا سبَّب المشكلات للآخر أيها الملحق ؟ .. كان بإمكانكم إنهاء الأمر فى بساطة شديدة ، لو أنكم منحتمونى المبلغ المطلوب ، وحصلتم على الأشرطة ، ولكن الجميع يحاولون الحصول على مالدى مجانًا .

قال الملحق فى حدة :

- ليست هذه هى القضية يا (كارل) .. لقد أسأت فهم الموقف كله .. المبلغ الذى طلبته لا يثير لدينا أدنى قدر من الاهتمام ، وكان يمكننا دفعه لك بكل بساطة ، لو أنك تلعب اللعبة بأسلوب نظيف ومباشر ، ولكن المشكلة هى أنك تحاول اللعب على جميع الأطراف ، وهذا سيفقدك ثقة كل جهة تتعامل معها .. إننا نريد الأشرطة الخاصة بنا ، وتلك الخاصة بالسوفيت ، وهم كذلك يريدون أشرطتهم وأشرطتنا ، وكلانا لا يمكنه الثقة بك ، وهذا يعنى أن مجرَّد منحك النقود ، والحصول على الأشرطة ، لن يعنى الأمان والاطمئنان ،

فبإمكانك - بكل بساطة - بيع نسخة منها للمعسكر الآخر ، لذا فمن المحتم أن نجبرك على الإفضاء بموضع كل مالديك من نسخ للأشرطة ، مع الاحتفاظ بك فى الوقت ذاته .

قال (أكرم) فى حدة :

- تقصد التخلُّص منى .

انعقد حاجبا الملحق ، وهو يقول :

- أنت أجبرتنا على هذا .

صاح فى ثورة :

- فى هذه الحالة ستخسرون اللعبة كلها ، وسيتم نشر الوثائق كلها علانية ، فتنفضح كل علاقاتكم السرية مع المصريين ، و ..

قاطعه الملحق فى حزم :

- ألم أقل لك : إنك أنت تجبرنا على هذا و

بتر (أكرم) عبارته ، ومطَّ شفتيه فى غضب ، فى حين تابع الملحق بنفس الحزم :

- وعلى الرغم من هذا ، فنحن نستطيع إنهاء الأمر بصورة متحضرة .

سأله (أكرم) ، فى صوت أشبه بالزمجرة :

- كيف ؟!

وجلس الملحق خلف مكتبه ، وشبك أصابع كفيه فوقه ، وهو يسأله :

- كم كنت تتوقع ، من العملية كلها يا مستر (كارل) ؟

سأله (أكرم) فى حذر :

- ماذا تعنى ؟

أجابه فى شىء من الحزم :

- أعنى ما الذى كنت تتوقع الحصول عليه ، من جميع الأطراف ؟ .. وأريد

إجابة واضحة وصريحة ومباشرة .

نقل (أكرم) بصره بين وجوه (سارة) ، و (ستيف) ، والملحق ، قبل أن يجيب فى توتر :

- ثلاثون مليونا من الدولارات ، وعفو شامل من المصريين .

قال الملحق :

- عظيم .. وماذا لو منحناك نحن كل هذا ؟

اعتدل يسأل فى لهفة :

- كيف ؟

أجابه الملحق ، وهو يلوّح بكفه :

- سنمنحك الثلاثين مليون دولار .

تهللت أسارير (أكرم) ، وهم بقول أمر ما ، إلا أن التوتر لم يلبث أن احتلّ ملامحه مرة أخرى ، وهو يقول :

- وماذا عن العفو الشامل ، الذى انتظره من المصريين ، مقابل إعادة الأشرطة إليهم ؟

قال الملحق فى هدوء :

- ستحصل عليه أيضًا .

هتف فى شك :

- كيف ؟

عاد الملحق يشبّك أصابع كفيه أمامه ، وهو يجيب :

- لقد درسنا الأمر جيدًا ، ووجدنا أنه لن يضيرنا أن تسلّم نسخة من الأشرطة للمصريين ، مقابل الحصول على العفو الشامل ، مع إقناعهم بأنها النسخة الوحيدة ، فهى اتصالاتهم ، وهم يحتفظون بنسخة رسمية منها ، ولكن من المستحيل أن تسمح لك بتسليم نسخة من الأشرطة للسوفيت .

وألقى نظرة صارمة على (سارة) ، قبل أن يستطرد :

- ولا للإسرائيليين .

عقدت حاجبيها فى غضب ، فى حين استغرق (أكرم) لحظات فى التفكير ، قبل أن يقول :

- اتفقنا .. متى أتسلّم النقود .

ابتسم الملحق ، قائلًا :

- بمجرّد تسلّمنا الشرائط .

بدا الحذر على وجه (أكرم) ، وقال :

- هذا الأمر يحتاج إلى التفكير .

مطّ الملحق شفتيه فى ضيق ، وقال :

- فليكن .. ولكن هذا التفكير لن يكون هنا .

بهت (أكرم) ، وهو يقول :

- هل تطردنى ؟

هزّ الملحق رأسه نفيًا ، وقال :

- كلّا ، ولكن البقاء فى سفارتنا لم يعد مأمونًا بالنسبة إليك ، ولا حتى البقاء فى (باريس) كلها ، لذا فسننقلك إلى دولة أخرى .

سأله (ستيف) :

- هل نحمله إلى (واشنطن) ؟

هزّ الملحق رأسه نفيًا مرة أخرى ، وقال :

- لقد رفض الرؤساء هذه الفكرة ، وقالوا إنه من الضرورى أن يبقى (كارل) فى (أوروبا) ، فهو يحتفظ بالشرائط فى مكان ما منها حتمًا ؛ لذا فسننقله إلى مكتبنا فى (برلين) .

بدا القلق على وجه (أكرم) ، وعقدت (سارة) حاجبها فى شدة ، فى حين سأل (ستيف) فى اهتمام :

- الغربية أم الشرقية ؟

ابتسم الملحق ، وقال :

- الغربية بالطبع .. إننا لن نضع رأسنا بين فكى خصومنا .. أليس كذلك ؟

هتف (أكرم) :

- ومن قال إننى أقبل الذهاب إلىَ هناك ؟

التفت إليه الملحق ، وقال فى صرامة :

- لك كل الحق فى الاختيار يا مستر (كارل) .. أيهما تفضل .. الذهاب إلى (برلين) الغربية ، أم إلى (تل أبيب) ؟

شحب وجه (أكرم) ، وأجاب فى سرعة :

- متى نسافر إلى (برلين) يا سيادة الملحق ؟

وابتسم الملحق العسكرى فى ظفر ..

لقد ربح المعركة ..

ربحها الأمريكيون ..

* * *

« برلين .. »

نطقها (قدرى) فى اهتمام ، وهو يهزّ رأسه فى هدوء ، ثم رفع عينيه إلى (أدهم) ، قائلاً :

- كانت فكرة رائعة ، أن تدس جهاز اتصال دقيق ، فى ثياب ذلك الوغد .. لقد نقل لنا كل حديثهم بمنتهى الدقة .

قال (أدهم) :

- ولكنه وضعنا أمام مشكلة جديدة .

سأله (قدرى) :

- أية مشكلة ؟

أجاب (أدهم) فى اهتمام :

- إنهم سيحيطون (أكرم) بحراسة مشدّدة حتمًا ، وهم ينقلونه إلى المطار ، والأرجح أنه سيحصل على نوع من الحصانة الدبلوماسية الأمريكية ، فى أثناء هذا ، مما سيجعل محاولة اختطافه أشبه بالانتحار .

قال (قدرى) فى حماس :

- استقبله فى (برلين) إذن .. إنهم واثقون من سرية خطة نقله ، ولن يحيطوه بحراسة مشدّدة هناك ، فلو وصلت قبلهم ، يمكنك مباغتتهم ، و ..

قاطعه (أدهم) مبتسمًا :

- مهلاً يا رجل .. الوصول إلى (برلين) قبلهم ليس بالأمر الهيّن .. لقد عرفوا الاسم الذى أسافر به ، وسيحاول رجالهم منعى من السفر ، ولابد من البحث عن وسيلة أخرى للخروج من هنا .. ربما بوساطة السيارة إلى (لكسمبورج) ، ومنها جوًّا إلى (برلين) ، وهذا يستغرق ..

قاطعه (قدرى) مبتسمًا :

- ولماذا كل هذه التعقيدات ؟ .. استقلّ الطائرة إلى (برلين) مباشرة .. هذا أفضل ، ثم أخرج من حقيبته جواز سفر أحمر اللون ، مستطردًا :

- وستستخدم هذا .. إنه تحفتى المفضلة .. جواز سفر دبلوماسى بريطانى ، لاتنقصه سوى صورتك ، وتأشيرة أنيقة لدخول (ألمانيا) .

واتسعت ابتسامته ، وهو يلتقط آلة التصوير الفورية ، مستطردًا :

- والآن أخبرنى .. ما الاسم البريطانى الذى تفضله ، وفى أية هيئة تحب أن تسافر ؟

وتضاعف الإعجاب فى أعماق (أدهم) ..

* * *

كان مطار (أورلى) مزدحمًا ، فى ذلك اليوم ، ولكن الأبواب كلها فُتحت للدبلوماسى البريطانى (أندرو صموائيل) ، فانتهت إجراءاته فى سرعة ، وجلس ينتظر موعد إقلاع طائرته ، المتجهة إلى (ألمانيا) ، فى صالة

خاصة ، ذات جدران زجاجية ، تطل على صالة المطار ..

ومن خلف الزجاج ، شاهد الدبلوماسى البريطانى (ستيف) ، مع عشرة من رجال الأمن الأمريكيين ، وهم يحيطون بـ (أكرم) ، فى انتظار الطائرة ، فارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وغمغم بلهجة مصرية خالصة :

ـ أراهن أنك لم تكن تنتظر كل هذا الموكب أيها الوغد .

لمح من بعيد (سارة يعقوب) ، وهى تُنهى اجراءات السفر ، وتتخفى بمنظار شمس داكن ، فتابع :

ـ ويبدو أن عزيزتنا (سارة) تتسلل خفية إلى الطائرة ، لمعرفة أين ستذهب بالضبط .

واتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

ـ رائع .. كل أطراف اللعبة فى طريقهم إلى (برلين) .

كان يتابع المشهد كله فى اهتمام وتلذذ ، عندما سمع أحد الضباط الفرنسيين يهتف فى حفاوة :

ـ مدموازيل (صوفى) .. يا للروعة ! .. مرحبًا بك فى (باريس) .. إننا نتابع كل أفلامك فى شغف ..

التفت بسرعة إلى (صوفى) ، التى تدخل قاعة كبار الزائرين مبتسمة ، يحيط بها عدد من الصحفيين والضباط ، وخلفها حارسها (كارلو) ، وهى تلوّح بكفها فى رقة ، وتبتسم قائلة :

ـ يسعدنى أنكم تتابعون أفلامى هنا ، ويؤسفنى أننى ـ على عكسكم تمامًا ـ لست أتابع السينما الفرنسية للأسف .

هتف أحدهم فى أسف :

ـ يا للخسارة !! .. السينما الفرنسية جيدة للغاية يا مدموازيل ، فلدينا هنا (جان جابان) ، و (ايف مونتان) ، و (جان لوى ترنتنيان) ، و (آلان ديلون) ، و ..

لوّحت بكفها قائلة :

ـ أعرفهم بالطبع ، فكل منهم يتميّز بالوسامة ، ولكننى التقيت فى هذه الآونة بشخص يفوقهم جميعًا ، و ..

بترت عبارتها بغتة ، وهى تحدّق فى وجه (أدهم) ، الذى يختفى خلف قناع تنكرى متقن ، وصاحت :

ـ يا إلهى ! .. إنه هو .

التفت الجميع إلى حيث تنظر ، وأشاح (أدهم) بوجهه فى سرعة ، ولكنه سمعها تتابع فى سعادة ولهفة :

ـ ها هوذا أكثر الرجال وسامة .. سنيور (صبرى) .. يا لسعادتى !

وأمام عيون الجميع ، اندفعت نحو (أدهم) ..

واتجهت الخطة نحو الفشل .



١٦ ـ النساء ...

مطت (منى) شفتيها فى ازدراء ، وهى تقول فى خفوت :

ـ يا للنساء !

توقف (قدرى) عن روايته ، وسألها :

ـ ماذا تقولين ؟

رفعت صوتها قليلًا ، وهى تجيبه :

ـ أقول : يا للنساء !

تطلع إلى وجهها فى دهشة ، قبل أن ينفجر ضاحكًا ، ويقول :

ـ عجبًا يا عزيزتى (منى) .. تتحدثين عن النساء وكأنك لست واحدة منهن .

اعتدلت قائلة :

ـ إنما أقصد تلك النساء ، اللاتى لا يثرن سوى المتاعب ، أينما حللن ، من أمثال (صوفى لورانو) ، التى تتبع (أدهم) فى كل مكان ، وتفسد خطته أينما ذهب .

قهقه ضاحكًا مرة أخرى ، وقال :

ـ ربما كانت (صوفى) أقل النساء خطرًا . بالنسبة لـ (أدهم) . فى مغامرته تلك ، فعلى الرغم مما تسببه له من إزعاج ، إلا أنها . على الأقل . ليست شرسة مثل (سارة) ، أو دموية مثل (مارتينا) .

وشرد ببصره لحظة ، قبل أن يضيف :

ـ وبالمناسبة .. لقد سيطرت النساء تقريبًا ، على هذه المرحلة من المغامرة .

هتفت فى دهشة :

ـ سيطرن عليها ؟! .. ما الذى تعنيه بهذا ؟

لوّح بكفه ، قائلًا :

ـ أعنى أنهن كن صانعات الأحداث .

سألته فى ضيق :

ـ وماذا عن (أدهم) ؟

أجابها فى هدوء :

ـ لست أقصد الجانب الخاص بـ (أدهم) ، وإنما أقصد ذلك الجانب الأخر .

قالت فى اهتمام :

ـ أتقصد جانب الأمريكيين والسوفيت ؟

قال مبتسمًا :

ـ تمامًا .

ثم اعتدل فى مجلسه ، وقال :

ـ ما رأيك فى زجاجة مياه غازية ؟

غمغمت :

ـ لست أميل إلى تناول السكريات .

التفت إلى ثلاجة صغيرة ، تحتل ركنًا من حجرته ، وتناول منها زجاجتى مياه غازية ، وهو يقول :

ـ لدى نوع بدون سكر (دايت) ، فـ (أدهم) يفضل المشروبات عادة هكذا ، ويقول إن السكر من المواد الضارة للجسم ، و ..

هتفت :

ـ (قدرى) .. أخبرنى أوّلًا ماذا فعل (أدهم) !

ابتسم وهو يضع أمامها زجاجة المياه الغازية ، الخالية من السكر ، وقال :

ـ لم يكن موقفه بالغ الخطورة إلى هذا الحد .

ضربت الأرض بقدمها ، قائلة :

ـ ولكننى أريد أن أعرف .

أومأ برأسه قائلًا :

ـ وستعرفين بإذن الله .

ورفع زجاجة المياه الغازية الخاصة به إلى فمه ، وأفرغ نصفها بجرعة واحدة ، ثم عاد يروى ما لديه ..

* * *

كان (أدهم) يتفجر غيظًا فى أعماقه ، ويتساءل فى حنق عن تلك المصادفات العجيبة ، التى تلقى (صوفى) فى طريقه دائمًا ، وعلى الرغم من هذا فقد تطلّع إلى هذه الأخيرة فى هدوء ، وعيناه تحملان قدرًا من الدهشة ، أمام ذلك الحشد من الصحفيين والضباط ، وهو يقول بالإيطالية ، بعد أن أضاف إليها لكنةً إنجليزية واضحة :

ـ معذرة يا سيدتى .. هل التقينا من قبل ؟

التقى حاجباها الجميلان ، وهى تتطلّع إلى عينيه فى اهتمام ، مغمغمة :

ـ عجبًا ! .. ألست سنيور صـ .. ؟

بترت عبارتها بغتة ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة مرحة ، وتألّقت عيناها فى جذل ، قبل أن تعتدل قائلة :

ـ أوه .. معذرة يا سنيور .. تصورتك شخصًا آخر .. شخصًا أميل إليه .

قالتها والتفتت فى اعتداد ، واتجهت إلى حشد الصحفيين والضباط ، الذين أمطروها بالأسئلة ، حول ذلك الشخص الذى تميل إليه ، ومدى تشابهه مع ذلك الكهل الأشيب الفودين ، الكث الشارب ، الذى اندفعت نحوه ، وهى تجيبهم

بإجابات غامضة ، تزيد من فضولهم وشغفهم ولهفتهم ..

وفى هدوء حمل (أدهم) حقيبته الوحيدة ، وغادر صالة كبار الزائرين ، فقال ضابطها مرتبكًا :

ـ مسيو (صموانيل) .. اعتذر عن ذلك الإزعاج ، و ..

قاطعه (أدهم) فى هدوء :

ـ لا عليك يا ولدى .. لست أميل إلى الزحام .. وأظننى أفضّل الاندماج بالمواطنين العاديين .

تابعته (صوفى) ببصرها فى اهتمام ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة جذلة ، ثم التفتت إلى ضابط الجوازات ، تسأله :

ـ إلى أين يسافر ذلك الكهل ؟

أجابها فى حماس :

ـ إنه دبلوماسى بريطانى ، فى طريقه إلى (برلين) .

قالت فى شغف :

ـ أوه .. (برلين) .. كم أعشق المناخ الألمانى .. قل لى أيها الضابط .. أيمكننى تحويل تذكرتى إلى (برلين) ؟

زمجر (كارلو) ، قائلًا :

ـ ولكننا فى طريقنا إلى (روما) .

قالت فى صرامة :

ـ سنذهب إلى (برلين) يا (كارلو) .. هذه رغبتى .

عقد حاجبيه فى غضب ، ولاذ بالصمت فى سخط ، فى حين قال الضابط فى قلق :

ـ (برلين) ؟! .. لست أدرى ما إذا كان هذا سهلًا يا مدموازيل (صوفى) ، فطائرة (برلين) مزدحمة ، و ..

قاطعته (صوفى) فى دلال :

- هناك تذاكر الطوارئ .. أليس كذلك ؟

التصقت به قليلاً ، وتصاعدت رائحة عطرها إلى أنفه ، فهتف :

- بالتأكيد .. سأجد حتمًا تذكرتى طوارئ .

وأسرع لإحضار التذكرتين ، فى حين ابتسمت هى ، وغمغمت :

- قلت لك أيها الوسيم : إننى سأتبعك حتى نهاية الدنيا .. وسأفعل .

واتسعت ابتسامتها فى ظفر ..

* * *

ربما كانت هذه أعجب رحلة طيران ، فى حياة (أدهم) ..

لقد اجتمع فيها مع كل خصومه ، فى طائرة واحدة ..

بل كل معارفه ، لو شئنا الدقة ..

هو و (أكرم) و (ستيف) ، و (صوفى) ، و (كارلو) ، كانوا يجلسون فى مقاعد الدرجة الأولى ، و (سارة) فى مقاعد الدرجة الثانية ، أما فى الدرجة السياحية ، فقد احتل (أندريه) و (مارتينا) آخر مقعدين ، ومالت (مارتينا) على أذن (أندريه) ، قائلة :

- تلك الممثلة اللعينة هنا .. لقد رأيتهم يحيطون بها فى المطار ، ولكننى لم أتصوّر أنها ستصحبنا ، فى هذه الرحلة .

هزّ (أندريه) كتفيه ، وقال :

- أمرها لا يعنينى قط .. كل ما نريده هو (كارل) وشرائطه :

- قالت (مارتينا) فى برود :

- ولكننى سأقتلها ، لو سنحت الفرصة .

هتف فى حدة :

- لا تحاولى هذا يا (مارتينا) .. إنك ستفسدين مهمتنا هكذا .

رمقته بنظرة استخفاف ، وتجاهلت الحديث حول هذه النقطة ، وهى تقول :

- ماذا سنفعل بالأمريكى ؟

أجابها فى هدوء :

- كالمعتاد .

وأسبل جفنيه فى تراخ ..

فى نفس اللحظات ، التى دار فيها ذلك الحديث ، كانت (صوفى) تنحنى على الجالس إلى جوار (أدهم) ، وتقول له بابتسامة ساحرة :

- معذرة .. هل يمكننا تبادل مقعدينا ؟

تطلّع إليها الرجل مبهورًا ، فأضافت مشيرة إلى (أدهم) :

- أريد الجلوس إلى جوار والدى .

هب الرجل فى حماس ، وهو يقول :

- بالطبع يا آنستى .. بالطبع .

انتقل بسرعة إلى جوار (كارلو) ، وأشاح (أدهم) بوجهه فى ضيق ، دون أن يعترض ، فلقد أدرك ، فى صالة كبار الزائرين ، أن (صوفى) قد تعرفته ..

وفى سعادة ، جلست (صوفى) على المقعد المجاور له ، وابتسمت فى جذل طفولى ، وهى تقول :

- كيف حالك يا سنيور (صبرى) ؟

سألها فى ضيق :

- كيف تعرّفتنى ؟

أجابته فى سعادة :

- فى البداية تعرّفت تكوين جسدك ، فأسرعت إليك ، وعندما بلغتك



وأشاح (أدهم) بوجهه فى ضيق ، دون أن يعترض ، فلقد أدرك ، فى صالة كبار الزائرين ، أن (صوفى) قد تعرفته ..

تصوّرت أننى قد أخطأت ، فتنكرك متقن للغاية فى الواقع ، ولكننى تذكّرت كيف حوّلت وجهك إلى وجه (كليف) ، على نحو أذهله وأذهلنى ، فتطلّعت إلى عينيك مباشرة ، وعندئذ تعرّفتك على الفور ، فليس من السهل أن أنسى عينين كعينيك .

مرة أخرى اعترف (أدهم) بذكائها ، وشكر حسن حظه ؛ لأنها تعمل إلى جواره ، وليس ضمن خصومه ، ولكنه قال فى صرامة :

ـ ألا تدركين أنك تفسدين عملى هكذا ؟

رفعت عينيها فى دهشة ، قائلة :

ـ كيف ؟! .. إننى لم أخبر أحداً بأمرك .

قال فى حدة :

ـ ولكنك شخصية شهيرة ، وممثلة معروفة ، والعيون تلاحقك أينما تذهبين ، ووجودك إلى جوارى يجذب الأنظار إلىّ ، ويهدّد بفضح تنكرى .

هزّت رأسها فى حماس ، قائلة :

ـ اطمئن .. إنك متنكر بدقة مدهشة .

شعر باستحالة اقناع عقل عنيد كعقلها ، فأطلق زفرة قوية ، واستسلم لقدره ، وحاول أن يسترخى فى مقعده ، وهو يدعو الله ألا ينتبه (أكرم) أو (ستيف) أو (سارة) لأمره ..

وكان هذا كل ما يملكه ، فى هذه اللحظة ..

وكل ما يتمناه ..

ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه .

ففى مقعد (ستيف) و (أكرم) ، كان هذا الأخير يراقب (صوفى) فى توتر ، قبل أن يميل على أذن (ستيف) ، قائلاً :

ـ أخشى أن ذلك المصرى هنا .

التقى حاجبا (ستيف) ، وهو يقول :

- هنا ؟! .. أتقصد فى الطائرة ؟

أومأ (أكرم) برأسه إيجابًا ، فقال (ستيف) فى عصبية :

- كيف ؟! .. إننى لم أره قط .

قال (أكرم) :

- أنسيت أنه يجيد التنكر ؟

سأله (ستيف) فى توتر ، وهو يدير عينيه فى وجوه الركّاب ، الذين يمكنه رؤيتهم من موقعه :

- كيف تعرّفته إذن ، لو أنه كذلك ؟

أجابه (أكرم) :

- لم أتعرفه ، ولكن تلك الممثلة التافهة هنا ، على متن الطائرة ، ولقد انتقلت من مقعدها لتجلس إلى جوار شخص ما ، وليقطع ذراعى لو لم يكن هذا الشخص هو ذلك المصرى .

ازداد انعقاد حاجبى (ستيف) فى شدة ، ثم نهض قائلًا فى حزم :

- انتظرنى .

ارتجف (أكرم) عندما تركه (ستيف) وحده ، والتصق بمقعده ، وهو يراقب (ستيف) ، الذى قطع ممر الطائرة فى خطوات واسعة ، حتى بلغ موضع (صوفى) و (أدهم) ، وانحنى يقول لـ (صوفى) فى هدوء ، وبابتسامة مدروسة :

- مس (صوفى) .. كم يسعدنى أن ألتقى بك .. إننى عاشق لأفلامك .

تطلّعت إليه (صوفى) فى هدوء ، وقالت :

- أشكرك .

حافظ (ستيف) على ابتسامته المدروسة ، وهو ينقل بصره إلى (أدهم) ، ويفحص ملامحه فى سرعة ، قائلًا :

- أتعلم يا سيّدى .. كل الركّاب يحسدونك ؛ لأنك تجلس إلى جوار فاتنة السينما العالمية .

أجابه (أدهم) فى هدوء ، وبصوت ضعيف :

- هذا من حسن حظى .

وأسرعت (صوفى) تقول ، بابتسامة كبيرة :

- إنه والدى .

رفع (ستيف) حاجبيه ، وتراجع قائلًا فى دهشة :

- والدك ؟!

ثم ابتسم ابتسامة واسعة ، مستطردًا :

- كم تسعدنى مقابلتك يا سيّدى .

ومد يده يصافح (أدهم) ، الذى أرخى كل عضلاته ، وترك يد (ستيف) تضغط يده فى قوة ، قبل أن يتأوه قائلًا :

- مهلًا يا ولدى .. لن تحتمل عظامى شبابك هذا .

أفلت (ستيف) يده ، وهو يقول :

- معذرة يا سيّدى .. لقد فعلت هذا دون وعى .

ثم انحنى أمام (صوفى) ، قائلًا :

- تحياتى مرة أخرى يا آنستى .

وتركهما عائدًا إلى مقعده فى ارتياح ، فسأله (أكرم) ، فى لهفة :

- هل تعرّفته ؟

هزّ (ستيف) رأسه نفيًا ، وقال فى هدوء :

- إنه ليس هو ، بل حتى لا يشبهه .. إنه والدها ، ويسافر معها إلى (برلين) .

قال (أكرم) فى عصبية :

- وهل صدقت هذا ؟

أجابه (ستيف) فى صرامة :

- اسمع يا هذا .. إننى رجل مخابرات محترف ، والدروس التى تعلمتها تقول : إنه من المستحيل أن تنكر أى مخلوق ، بوسيلة تجعلك تجهله تمامًا ، لو أنك تعرفه من قبل .. هل تفهم ؟

رمقه (أكرم) بنظرة محنقة ، وهو يقول :

- نعم .. أفهم .

ثم أطبق شفتيه ، وعقد ساعديه فى غضب ، طوال المرحلة التالية من الرحلة ، حتى تطلّع (ستيف) إلى ساعته ، وقال :

- سنتصل بعد عشر دقائق من الآن ، و ..

قبل أن يتم عبارته ، سمع صوتًا أنثويًا يقاطعه قائلًا :

- كيف حالك يا عزيزى (ستيف) ؟

التفت مع (أكرم) إلى مصدر الصوت ، فى حركة حادة ، واتسعت عينا (أكرم) فى ذعر ، فى حين هتف (ستيف) فى دهشة :

- (ساره) .. أتسافرين على متن الطائرة معنا ؟

أجابته فى هدوء :

- إنها مفاجأة لى أيضًا ، فلم أكن أعلم أنكما تسافران على نفس الطائرة .

قال (ستيف) فى غضب :

- اسمعى يا (سارة) .. هذا الأسلوب لا يروق لنا .. صحيح أن مخابراتنا نتعاون مع (الموساد) ، ولكن هذا لا يعنى أن نفقد خصوصياتنا تمامًا ، أو ..

قاطعته مرة أخرى :

- دع هذه المحاضرة لما بعد يا (ستيف) .. المهم أننى أريد التحدث إليك الآن للضرورة .

سألها فى غلظة :

- بشأن ماذا ؟

ألقت نظرة سريعة على (أكرم) ، وقالت :

- أمر بالغ الأهمية .

تطلّع بدوره إلى (أكرم) ، وقال :

- حسنًا .. هل يمكنك أن تتركنا وحدنا يا (كارل) ؟

همّ (أكرم) بالنهوض ، وهو يقول :

- بالتأكيد يا مستر (ستيف) .. إننى ..

قاطعته (سارة) فى صرامة :

- كلا .

ثم أضافت فى صوت خافت ، وهى تتطلّع إلى (ستيف) :

- لن أخاطر بشرح مالدى وسط الركاب ، حتى ولو تحدثنا بصوت منخفض .

بدا القلق على وجه (ستيف) ، وهو ينهض قائلًا :

- حسنًا .. سنتحدّث فى مكان آخر .

قادته عبر الممر إلى حيث دورات المياه ، وقابلتهما المضيفة فى الطريق ، وقالت :

- لا تبتعدا عن مقعديكما طويلًا ، ولا تذهبا إلى دورة المياه ، فنحن نستعد للهبوط ، والمفروض أن يكون كل راكب على مقعده الآن .

قالت (سارة) بابتسامة هادئة :

- إنها دقيقة واحدة على الأكثر .

بدا القلق على وجه المضيفة ، وهى تسرع إلى حجرة المضيفات ، قائلة :

- أرجو ألا يزيد الأمر عن هذا .. لصالحكما .

أومأت (سارة) برأسها إيجابًا ، وهى تحتفظ بابتسامتها ، وأزاحت ستائر دورات المياه ، واختفت خلفها مع (ستيف) ، الذى سألها فى عصبية :

ـ ماذا لديك ، ويحتاج إلى كل هذا يا (سارة) ؟

قالت فى هدوء :

ـ ليس لدى أى شىء للأسف ، يا عزيزى (ستيف) ، ولكن لديك أنت شىء نريده ، ويمكننا أن نفعل أى شىء للحصول عليه .

ردد فى حذر :

ـ شىء ؟!

أجابته فى هدوء :

ـ إننى أقصد (كارل) وشرائطه بالطبع .

هتف فى غضب :

ـ أهى محاولة رشوة ؟

ارتفع لحظتها صوت المضيفة ، وهى تطالب الحاضرين بالجلوس على مقاعدهم ، وإطفاء سجائرهم ، وربط أحزمة الأمان ، فابتسمت (سارة) ابتسامة غامضة ، وهى تقول :

ـ كلا يا عزيزى (ستيف) .. لقد أسأت الفهم .. إنه بالطبع ليست محاولة رشوة .

وانتزعت مسدسها المزوّد بكاتم للصوت من حقيبتها بغتة ، وألصقت فوهته بموضع القلب عنده ، وهى تضيف فى شراسة :

ـ بل محاولة قتل .

وأطلقت النار .



١٧ ـ برلين ...

شعر (أكرم) بقلق بالغ ، وهو ينتظر عودة (ستيف) ، ثم لم يلبث هذا القلق أن تحوّل إلى رعب شديد ، عندما فوجىء بـ (سارة) تجلس إلى جواره ، فى مقعد (ستيف) ، وتربط حزام الأمان حول وسطها فى هدوء ، فهتف مذعورًا :

ـ أين ستيف ؟!

أجابته فى صرامة :

ـ انس أمر (ستيف) .. لقد استبعدناه .

أدرك ما يعنيه هذا على الفور ، فانكمش فى مقعده برعب ، وتطلّع إليها فى ارتياع ، حتى هبطت الطائرة فى (برلين الغربية) ، وأدهشه أن انتهت إجراءاتهما الجمركية ، وغادرا المطار معًا ، قبل أن يكشف مخلوق واحد أمر مصرع (ستيف) ، داخل الطائرة ، فسأل (سارة) فى قلق :

ـ إلى أين ستأخذيننى ؟

أجابته بصوت صارم عنيف :

ـ لا تلق أية أسئلة .

قال فى حدة :

ـ وماذا عن النقود ؟

قالت فى ازدراء :

ـ ستحصل على ما تريد .. اطمئن .

أشارت إلى واحدة من سيارات الأجرة ، فأسرعت إليها ، متجاوزة راكبًا

آخر ، وفتح سائقها الباب ، قائلاً :

ـ مرحبًا بكما فى (برلين الغربية) ، و ..

وفجأة دفعت يد قوية (سارة) داخل السيارة ، فهتفت محنقة :

ـ ما هذا ؟ .. كيف تجرؤ ؟..

لم تتم عبارتها ، عندما اعتدلت ووقع بصرها على وجه (أدهم) ، الذى تخلى عن تنكره ، وصوّب إليها مسدسًا صغيرًا ، وهو يدفع (أكرم) إلى جوارها ، قائلاً فى سخرية :

ـ كيف حالك يا عزيزتى (سارة) ؟

أغلق الباب فى إحكام ، ثم جلس على المقعد المجاور للسائق ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هيا يا رجل .. انطلق .

انطلق السائق بالسيارة على الفور ، وهو يقول :

ـ سمعًا وطاعة يا سيّدى .. ولكن إلى أين ؟

أجابه فى صرامة ، وهو يصوّب مسدسه إلى (سارة) :

ـ القنصلية المصرية .

هزّ الرجل رأسه متفهمًا ، واتخذ طريقه فى هدوء عجيب ، فى حين قالت (سارة) فى شراسة :

ـ كيف وصلت إلى هنا ؟

أجابها ساخرًا :

ـ على متن الطائرة نفسها يا عزيزتى .

انكمش (أكرم) فى مقعده ، وردّد فى ارتياع :

ـ كنت أعلم هذا .. كنت أعلم أنك هو .. (ستيف) الغبى رفض تصديقى .

صاحت به (سارة) :

ـ اصمت .

ثم قالت لـ (أدهم) فى حدة :

ـ كيف تدعى أنك كنت على متن الطائرة ، على الرغم من أننى لم أرك هناك ؟

ابتسم فى سخرية ، وهو يجيب :

ـ كنت أرتدى طاقية الإخفاء .

قالت فى توتر :

ـ ترتدى ماذا ؟

قال متهكمًا :

ـ لا عليك .. إنه مصطلح لا يفهمه سوى المصريين ، والأذكياء .

هتفت فى حنق :

ـ لو أنك تتصوّر أنك ستربح بهذه الوسيلة ، فأنت واهم .

أطلق ضحكة ساخرة ، وقال :

ـ عجبًا ! .. أيستخدم جميع العاملين ، فى كل أجهزة المخابرات ، العبارات نفسها ؟

هتفت غاضبة :

ـ اسخر ما شئت ، ولكنك لن تربح هذه اللعبة أبدًا .

قال متهكمًا :

ـ يؤسفنى أننى قد ربحتها بالفعل يا عزيزتى ، فهناك طاقم من رجال الأمن المصريين ، ينتظرنى عند القنصلية المصرية ، وبمجرّد وصولنا إلى هناك سيتسلّمون هذا العميل الوغد ، وبعد ساعة واحدة ، ستحمله طائرة دبلوماسية خاصة ، داخل صندوق دبلوماسى ، إلى (القاهرة) ، حيث يحاكم بتهمة التجسس لحساب دولة أجنبية ، ويشنق جزاء ما اقترفت يداه .

أمسك (أكرم) عنقه ، وهو يهتف :

ـ لا .. لا .. أرجوك .. لقد اتصلت بالإدارة فى (القاهرة) ، وعرضت عليهم إعادة الشرائط كلها ، مقابل العفو عن جريمتى .

قال (أدهم) فى صرامة :

ـ اقتراح مرفوض .

انكمش (أكرم) فى مقعده أكثر وأكثر ، وهو يقول :

ـ أرجوك .. الرحمة .

وهنا أوقف السائق سيارته ، وقال :

ـ لقد وصلنا .

أدار (أدهم) عينيه إلى المبنى ، الذى توقفت عنده السيارة ، ثم انعقد حاجباه فى قوة ..

لم يكن مبنى القنصلية المصرية ..

بل كان قنصلية أخرى ..

القنصلية الإسرائيلية ..

وفجأة ، رأى (أدهم) مسدسًا ضخمًا ، فى يد السائق ، ولمح على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يصوّب المسدس إليه ، قائلاً :

ـ معذرة .. نسيت تقديم نفسى .. النقيب (جوزيف كاهان) .. من (الموساد) ..

* * *

من المؤكّد أن هذا كان مفاجأة فعلية لـ (أدهم) ، فلم يكن يتوقّع أبدًا أن يكون السائق واحدًا من رجال (الموساد) ، إلا أنه ، وفى هذه اللحظة بالذات ، استعاد مشهد (سارة) ، وهى تشير إلى هذه السيارة ، فيتجاوز سائقها راكبًا آخر يشير إليه ، ويذهب إليها مباشرة ، وكأنما أتى من أجلها بالذات ..

وامتلأت نفسه بالحنق ، لعدم ملاحظته هذا ، وأقسم فى أعماق نفسه ألا يقع فى مثل هذا الخطأ ثانية ، و (سارة) تطلق ضحكة شامتة عالية ، وتقول :

ـ أرأيت أنك لن تربح هذه المعركة أيها المصرى ؟! .. إشارة واحدة منى ، ويهرع إلى هنا فريق كامل ، من فرق مكافحة الإرهاب ، من قنصليتنا ، ويتعلّق عنقك أنت فى حبل المشنقة .

قال فى هدوء :

ـ أتظنيننى أبدو وسيمًا حينذاك ؟

قالت فى حدة :

ـ بل ستبدو أفضل بالنسبة لى ، ولسانك مدلّى إلى الخارج .

ابتسم فى سخرية ، فى حين قال (جوزيف) :

ـ هل نرسل الإشارة ؟

أجابته فى حماس :

ـ بالطبع .. ماذا ننتظر ؟

امتدت يده نحو بوق السيارة ، و ..

وفجأة تحرّك (أدهم) ..

قفزت يده بغتة ، تمسك معصم (جوزيف) ، ورفع يد هذا الأخير إلى أعلى ، وضربها بسقف السيارة ، فانطلقت رصاصة من المسدس ، ارتطمت بالسقف ، واخترقته إلى الخارج ، فى نفس اللحظة التى ضغطت فيها قدم (أدهم) اليسرى دوّاسة الوقود ، وحرّكت يده ذراع السرعة ، فانطلقت السيارة فى عنف ، واندفع (أكرم) و (سارة) إلى الخلف ، والأخيرة تهتف :

ـ اصمد يا (جوزيف) .

ولكن قبضة (أدهم) اليسرى لكمت أنف (جوزيف) فى قوة رهيبة ، ثم

تراجعت ، وعادت تنقض على أسنانه كالقنبلة ، فسقط المسدس من يده ، وامتلأ فمه بالدماء ، فى حين أمسك (أدهم) عجلة القيادة ، فى محاولة للسيطرة على السيارة ، فى اللحظة الأخيرة ، قبل أن تنحرف لترتطم بحافلة ضخمة ..

وصاحت (سارة) فى غضب :

ـ أى شيطان أنت ؟

قالتها وهى تنتزع مسدسها من حقيبتها ، وتضغط زناده ..

وانحنى (أدهم) فى اللحظة الأخيرة ، ولكن رصاصة (سارة) احتكّت بجبهته ، قبل أن تخترق زجاج السيارة ، فأمسك يدها بيسراه ، وهو يحافظ على توازن السيارة بيمناه ، إلا أنها نقلت المسدس إلى يسراها فى سرعة ، وأطلقت عليه رصاصة ثانية ، شعر بها تقطع جزءًا من لحم كتفه ، على الرغم من حركته السريعة لتفاديها ..

وفى عنف ، انحرف (أدهم) بالسيارة جانبًا ، فاختلّ توازن (سارة) ، وتراجعت بمسدسها ، وهنا استدار هو فى سرعة ، وقبض على يدها فى عنف ، ولوى معصمها فى قسوة ، فأجبرها على إفلات مسدسها ..

وسقط المسدس عند قدمى (أكرم) ، و (سارة) تُطلق صيحة ألم عنيفة ، فانحنى (أكرم) يلتقطه ، وهو يقول فى انفعال حاد :

ـ سأقتلك يا فتى .. هذا أفضل من عودتى معك إلى (القاهرة) .

ضرب (أدهم) يده فى قوة ، وهو يقول :

ـ ومن سيسمح لك ؟

كان من العسير أن يحافظ على توازن السيارة وخط سيرها ، ويقاتل فى الوقت ذاته ، فانحرفت السيارة على نحو بالغ الخطورة ، داخل الطريق العكسى ، و ..

وكان الاصطدام العنيف ..

حافلة ركاب ضخمة ارتطمت بالجانب الأيسر للسيارة ، وجرفتها أمامها

لبضعة أمتار ، قبل أن تتوقف ، وسط صراخ راكبيها ..

وشعر (أدهم) بآلاف المطارق تهوى على رأسه ..

صحيح أنه لم يفقد الوعى هذه المرة ، ولكنه بات قاب قوسين أو أدنى من هذا ، فى حين لقى (جوزيف) مصرعه على الفور ، ولم تصب (سارة) إلا بجروح طفيفة ، فجذبت (أكرم) ، الذى لم يصب بخدش واحد ، وهى تهتف :

ـ هيا بنا .. سنذهب إلى قنصليتنا .

انطلقا يعدوان مبتعدين ، وسط السيارات ، فى حين بذل (أدهم) قصارى جهده للحاق بهما ، ولكنه غادر السيارة مترنحًا ، وراح يقطع الطريق بين السيارات فى صعوبة ، وهو يرى من بعيد (سارة) و (أكرم) ، وقد انتزعت الأولى رجلًا من سيارته ، واحتلّت مكانه ، وإلى جوارها (أكرم) ، وانطلقا بعيدًا ..

وتفجّر الحنق والسخط فى أعماقه ، وهو يحاول اللحاق بهما ، حتى سمع صوت (صوفىّ) تهتف :

ـ أنا هنا .. هل تريد أية مساعدات ؟!

ولأوّل مرة شعر بالسعادة لسماع صوتها ، والتفت يبحث عنها ، فرآها داخل سيارة (مرسيدس) حديثة ، تلوّح له بيدها فى مرح ، و (كارلو) يقود السيارة فى هدوء كعادته ، فدفع جسده دفعًا إليها ، وركب إلى جوارها ، هاتفًا بـ (كارلو) :

ـ اتبع تلك (الفولكس) الحمراء هناك .

أطاعه (كارلو) دون مناقشة ، بعد أن اعتاد أن أوامر (أدهم) هى نفسها أوامر (صوفى) ، التى انحنت تتحسّس جبهة (أدهم) فى إشفاق حنون ، وهى تقول :

ـ يا للمسكين ! .. إنك مصاب فى كتفك وجبهتك .

غمغم :

- إنها إصابة بسيطة :

أخرجت منديلها ، وراحت تمسح الدماء عن جبهته ، وهى تقول :

- ما من إصابة بسيطة .. إننى أفقد الوعى ، عندما يشكّنى دبوس عادى .

لم يهتم بما تقول ، وتركها تمسح الدماء عن جبهته ، وهو يراقب السيارة الحمراء فى اهتمام ، ثم لمح تلك السيارة الضخمة التى تطاردها ، فقال لـ (كارلو) :

- أسرع يا رجل .. أسرع .

زمجر (كارلو) ، قائلا :

- الازدحام شديد ، ولا يمكننى القيادة أسرع من هذا ..

واختفت السيارتان وسط الزحام ، الذى تضاعف بكثرة عند مفترق طرق شهير ، وتضاعف معه القلق فى أعماق (أدهم) ، الذى أصبح كل ما يبتغيه هو أن يستعيد (أكرم) وشرائطه ..

وفى الوقت المناسب ..

* * *

أطلقت (سارة) صرخة ظافرة ، ولوّحت بقبضتها عاليًا فى الهواء ، وهى تقود (الفولكس) الحمراء ، فى طريقها إلى القنصلية الإسرائيلية ، وصاحت فى سعادة :

- انتصرنا .. ربحنا اللعبة فى النهاية .

انكمش (أكرم) فى مقعده ، وهو يقول فى عصبية :

- ماذا ستفعلون بى ؟

أجابته هاتفة :

- سنحصل على ما لديك يا رجل .

سألها مرتجفا :

- وماذا عن النقود ؟

أطلقت ضحكة ساخرة عالية ، وقالت :

- بل سل عن حياتك يا رجل .. هل سنبقى عليها ، أم نرسلك إلى الجحيم ؟

اتسعت عيناه فى ذعر ، قبل أن يهتف :

- لقد خدعتنى يا (سارة) .

صاحت به فى صرامة :

- اخرس .. لقد أبقينا على حياتك حتى الآن ، وينبغى أن تشكرنا لهذا ، ولو منحتنا الشرائط دون مشاكل ، فسنترك لك حياتك ، وربما منحناك بعض المال .

هتف فى عصبية شديدة :

- لن تحصلوا على شريط واحد ، قبل أن تدفعوا الملايين العشرة .

انتزعت مسدسها فى حركة حادة ، وصوّبته إلى رأسه ، قائلة :

- هل تراهن ؟

تراجع مذعورًا ، ثم صاح :

- ليس هذا عدلًا .. إنكم تسرقون جهد عمرى كله .

قالت ساخرة :

- أنت أيضًا سرقته من المصريين ، وكل ما سنفعله نحن هو أن نأخذه منك ، بنفس الثمن الذى دفعته فيه .

أشار إلى صدره ، صائحًا :

- وماذا عن أيام الخوف والتوتر والفزع ، وأنا أخشى فى كل لحظة أن ينكشف أمرى ؟! هل ستدفعون ثمن هذا ؟

أجابته فى صرامة :

- لقد تقاضيت ثمنه بالفعل .

صاح فى مرارة :

- وياله من ثمن بخس لك .. لك !

فهقهت ضاحكة ، قبل أن تقول :

- للخيانة ! .. لماذا تخشى نطقها إلى هذا الحد ؟ .. أليست هى الحقيقة ؟

هتف فى ألم :

- كفى يا (سارة) .. لن أثق بكم بعد هذا أبدًا .

جاءت ضحكتها عالية للغاية هذه المرة ، وهى تقول :

- لن تثق بنا ؟! .. أين يا عزيزى ؟ .. فى الجحيم ؟!

اتسعت عيناه مرة أخرى فى ذعر ، ثم اندفع محاولا الإمساك بعجلة القيادة ، وهو يهتف :

- أوقفى السيارة .. أريد النزول هنا .

صاحت وهى تضربه بمسدسها فى فكه بقوة :

- اخرس .

كانت الضربة من القوة ، حتى أنه ارتد فى عنف ، وشعر بآلام رهيبة فى فكه ، فصاح :

- أيتها اللعينة !! .. ماذا تفعلين بى ؟

هوت بمسدسها على فكه مرة أخرى ، صائحة :

- قلت لك اخرس .

حطمت الضربة الثانية سنة من أسنانه الأمامية ، وملأت فمه بالدماء ، فصرخ فى ألم وغضب :

- كيف تجرئين على ..

أخرسته بضربة ثالثة ، حطم فيها مسدسها أنفه ، وانهمرت الدماء منه فى غزارة ، وهى تقول فى صرامة :

- لو أردت المحافظة على فمك ، فأغلقه تمامًا .

أخرج منديله ، محاولا إيقاف نزيف أنفه وفمه ، فى نفس اللحظة التى تجاوزتهما فيها السيارة الأمريكية ، ثم انحرفت لتعترض طريق سيارتهما ، فضغطت (سارة) فرامل سيارتها ، هاتفة :

- من هذا الأحمق ، الذى ..

بترت عبارتها ، عندما رأت (مارتينا) تقفز خارج السيارة ، وارتفع حاجباها فى دهشة ، وهى تهتف :

- السوفيت ؟!

ثم انحنت فى سرعة ، لتتفادى طلقة نارية ، أطلقتها (مارتينا) ، من مسدسها المزوَّد بكاتم للصوت ، وسمعت صوت الرصاصة تخترق زجاج السيارة الأمامى ، و (أكرم) يصرخ :

- لا .. لا تقتلونى .

قفزت (سارة) خارج السيارة ، لتطلق النار على (مارتينا) ، ولكنها وجدت السيارة الأمريكية خالية ، فتلفتت حولها فى توتر ، وسمعت صوت (مارتينا) يأتى من خلفها ، قائلًا فى برود :

- لا تبحثى كثيرًا .. أنا هنا .

استدارت إليها (سارة) فى سرعة ، ولكن (مارتينا) أطاحت بمسدسها بطلقة أخرى صائبة ، فتراجعت (سارة) فى فزع ، وشاهدت (أندريه) ينتزع (أكرم) من مقعده فى حزم ، ويدفعه نحو السيارة الأمريكية ، فلوّحت بيدها قائلة لـ (مارتينا) :

- حسنًا يا (مارتنا) .. لقد انتصرت هذه المرة .. هيا .. سنتصافح ، و ..

قاطعتها (مارتينا) فى برود :



بترت عبارتها ، عندما رأت (مارتينا) تقفز خارج السيارة ، وارتفع حاجباها فى دهشة ..

ـ الوداع يا (سارة) .

اتسعت عينا (سارة) فى رعب ، وهى تردد :

ـ الوداع ؟!

وضغطت (مارتينا) زناد مسدسها فى هدوء ..

وانطلقت رصاصة صامتة ..

واخترقت جمجمة (سارة) ..

وفى مزيج من الألم والذهول والفزع ، جحظت عينا (سارة) لحظة ، ثم تفجرت الدماء من رأسها ، وهوت جثة هامدة ..

وصرخ المارة فى رعب ، واندفع أحد رجال الشرطة الألمانية نحو (مارتينا) ، هاتفًا فى صرامة :

ـ سيدتى .. إننى ..

التفتت إليه (مارتينا) بحركة سريعة ، وأطلقت رصاصة أخرى من مسدسها ، اخترقت قلب الشرطى مباشرة ، فارتد كمن أصابته صاعقة ، وهوى بدوره جثة هامدة ..

وتعالى صراخ المارة أكثر وأكثر ..

وفى هدوء مثير ، اتجهت (مارتينا) نحو السيارة الأمريكية ، التى أدار (أندريه) محركها ، وهم بالانطلاق بها ..

ووصل (أدهم) فى اللحظة نفسها ، فى سيارة (صوفى) ، وقفز منها حاملًا مسدسه الصغير ..

ولكن (أندريه) انطلق بالسيارة ، و (مارتينا) تبتسم فى سخرية باردة ، وهى تقول :

ـ تأخرت أيها المصرى .

انطلق (أدهم) خلف السيارة ، على الرغم من إصاباته ، ولكن سرعة السيارة تصاعدت ، وراحت تبتعد عنه أكثر وأكثر ، فتوقف وسط الطريق ،

وصوّب إليها مسدسه الصغير فى إحكام ، و ..

وأطلق النار ..

أطلق رصاصته على الإطارات الخلفية للسيارة ، وأصابت الرصاصة هدفها ، ولكنها ارتطمت بحاجز من الزجاج المصفّح ، لم يتبينه جيدًا ، من هذه المسافة ، وارتدت عنه فى عنف ، والسيارة تواصل ابتعادها ..

وهنا استدار (أدهم) ، وعاد راكضًا إلى سيارة (صوفى) ، وصاح بـ (كارلو) :

ـ ابتعد .

ترك له (كارلو) مقعد القيادة فى هدوء ، فانطلق (أدهم) بالسيارة خلف سيارة السوفيت ، وشعر بالقلق يملأ نفسه ، عندما رأى الاتجاه الذى يتخذونه ، وهم يغادرون المدينة إلى طريق فرعى ، يحمل لافتة مميّزة ..

وزاد (أدهم) من سرعة سيارته ، فى محاولة للحاق بسيارة (أندريه) و (مارتينا) ، ولاح له من بعيد ذلك الحاجز المميز ، ورأى (مارتينا) تتجاوزه بسيارتها ، وهى تبرز بطاقة خاصة ، ثم توقف السيارة ، وتلتفت إليه فى سخرية شامتة ، فضغط فرامل السيارة ، وهبط بسرعتها فجأة ، حتى أوقفها على بعد عدة أمتار من الحاجز ، ورأى الجنود خلفه يرفعون بنادقهم لمواجهته ، فقال فى ضيق :

ـ يا للعينة!

سألته (صوفى) فى حماس :

ـ لم لا تواصل مطاردتها ؟

قال فى حنق :

ـ لم يعد هذا ممكنًا .

ثم أشار إلى اللافتة ، مستطردًا :

ـ لقد أصبحت داخل (برلين الشرقية) الآن(*) .

هتفت (صوفى) فى لهفة :

ـ حقًا ؟! .. أهذه هى ألمانيا الشرقية ؟! .. رائع .. إننى لم أزر أية دولة ، من دول (أوروبا الشرقية) قط .

رمقها بنظرة محنقة ، وقال .

ـ أهذا كل ما يقلقك ؟

سألته فى براءة :

ـ أهناك شىء آخر ، ينبغى أن يقلقنى ؟

وفى نفس اللحظة لوّحت (مارتينا) بكفها ، قائلة فى سخرية شامتة ظافرة :

ـ الوداع أيها المصرى .. لقد خسرت معركتك عند هذه النقطة .

ثم انطلقت بالسيارة ، إلى قلب (ألمانيا الشرقية) ، تاركة إياه خلفها ، وفى أعماقه شعور بالمرارة والخسارة ..

خسارة المعركة .



(*) حدثت وقائع هذه القصة ، قبل توحيد (ألمانيا) الشرقية والغربية .

١٨ ـ خلف السور الحديدى ...

انطلقت زفرة قوية من أعماق (منى) ، كادت ترفع حرارة الجو داخل الغرفة ، وهى تقول فى صوت يحمل الدهشة والحيرة معًا :

ـ سألها (قدرى) ، وهو يفتح زجاجة المياه الغازية الرابعة :

ـ ما الذى يدهشك ؟

هزّت رأسها ، قائلة :

ـ كأنى بك ، فى هذه القصة ، تتحدث عن (أدهم صبرى) آخر ، غير هذا الذى نعرفه .. إنه لا يقاتل بالقوة نفسها ، ولا يناضل كما ينبغى ، ولا ..

قاطعها هاتفًا فى دهشة :

ـ بعد كل هذا ؟! .. ما الذى تتوقعين منه أن يفعله ؟ .. يعبر بوّابة (برلين الشرقية) عدوًا ، ويفتح صدره لرصاصات الجنود ؟ .. أنسيت أنه ظلّ يقاتل ، طوال الوقت ، من (لندن) إلى (روما) إلى (باريس) ، إلى (ألمانيا) دون توقّف ؟! .. أنسيت أنه لم يكن قد استعاد توازنه بعد ، ولم يمض على وفاة (قدرى) بين ذراعيه أسبوع واحد ؟! .. إننى على عكسك يا عزيزتى (منى) ، أعتقد أن (أدهم) قد بذل فى هذه المغامرة ما يفوق طاقة البشر ، وقاتل وحده جيشًا من أعدائه وخصومه ، ليستعيد العميل ، وينقذ أسرار وطنه من الضياع .

هزّت رأسها وقالت :

ـ إنك على حق ، ولكننى اعتدت أن يقاتل (أدهم) طوال الوقت دون توقّف ، وألا يتراجع أمام أية حواجز ، مهما بدت له عالية وقوية ومنيعة .

لوّح بكفه هاتفًا :

ـ ومن قال إنه تراجع ؟!

ثم مال نحوها ، مستطردًا :

ـ كل ما فى الأمر هو أنه كان يحتاج إلى التفكير ، وإلى علاج جراحه ، قبل أن يبدأ الجولة الجديدة ، ولا تنسى أنه كان سيقاتل هذه المرة فى مجتمع مغلق ، حذر ، يعامل كل قادم إليه بافتراض أنه جاسوس خطير ، حتى يثبت العكس ، ومثل هذا المجتمع لا يحتاج إلى خطة سريعة ، وعنيفة ، بل إلى لعبة متقنة ومدروسة .

أومأت برأسها موافقة ، وهى تقول :

ـ أعلم هذا .

ثم سألته فى اهتمام :

ـ ماذا فعل (أدهم) إذن ؟

قال مبتسمًا :

ـ الكثير .

وعاد يروى ..

* * *

انتهى طبيب الفندق من تضميد جراح (أدهم) ، واعتدل يخلع قفازيه ، وهو يقول :

ـ جراحك نظيفة ياهر (أرمان) ، وجسدك قوى ، لذا ستشفى الجراح بسرعة .. اطمئن .

سألته (صوفى) فى اهتمام :

ـ متى يمكنه العودة إلى عمله ؟

أجابها فى هدوء :

ـ هذا يتوقف على نوع العمل ، فلو أنه عمل كتابى بسيط ، فيمكنه العودة إليه بعد يومين فحسب ، أما لو كان عملًا عنيفًا إلى حد ما ، فلست أنصح بعودته إليه ، قبل مرور أسبوع كامل على الأقل .

التفتت إلى (أدهم) ، هاتفة :

ـ أرأيت ؟

ثم قادت الطبيب إلى الخارج ، مستطردة :

ـ أشكرك يا سيادة الطبيب .. أشكرك كثيرًا .

صافحها عند الباب ، وهو يقول :

ـ تسعدنى خدمتك جدًا يا سيدتى ، فأنا أتابع أفلامك الرقيقة الناعمة منذ زمن ، وأصدقك القول إننى لم أر أروع منها ، فى حياتى كلها ، على الرغم من أنها ليست ألمانية .

منحته ابتسامة فاتنة ، وهى تقول :

ـ أشكرك يا سيدى .

انحنى على أذنها ، هامسًا :

ـ وبالمناسبة .. لم أقتنع أبدًا بأن السيارة هى سبب هذه الجروح ، فلا يمكن حدوثها إلا بوساطة رصاصة .

ابتسمت ابتسامة ساحرة ، وهى تقول :

ـ أنت عبقرى يا سيدى .

انحنى يطبع قبلة على كفها ، قائلًا :

ـ وأنت فاتنة يا سيدتى .

وانصرف وابتسامة كبيرة تملأ وجهه ، فى حين عادت هى إلى (أدهم) ، وقالت :

ـ لقد سمعت بنفسك ماقاله الطبيب .. لن يمكنك العودة إلى عملك قبل أسبوع كامل .

لوّح بكفه قائلًا :

ـ فليذهب الطبيب وحديثه إلى الجحيم .. لابد لى من دخول (برلين الشرقية) الليلة .

هتفت فى دهشة واستنكار :

ـ الليلة ؟! .. أترغب فى الانتحار ؟

قال فى حزم :

ـ لا فائدة من النقاش .. إنه عملى وواجبى ، ولن أتنازل عنهما أبدًا .

قالت فى حدة :

ـ وكيف سيمكنك السفر إلى (برلين الشرقية) ؟ .. أنسيت أنك قد فقدت جواز سفرك ، وأنت تعدو خلف سيارة السوفيت ؟

عقد حاجبيه مفكرًا ، وهو يقول :

ـ هناك حتمًا وسيلة أخرى .

قالت فى غضب :

ـ لن تذهب إلى (برلين الشرقية) .. لن أسمح لك .

التفت إليها فى حركة حادة ، وتقافز غضب الدنيا من عينيه ، وهو يقول :

ـ تسمحين لى ؟!

تراجعت خائفة ، وهى تقول :

ـ لم أقصد هذا فعليًا .. إننى قلقة عليك فحسب .

رمقها بنظرة صارمة ، قبل أن يشيح بوجهه عنها ، مرددًا :

ـ هناك وسيلة حتمًا .

تطلّعت إليه لحظة فى إشفاق ، ثم اقتربت منه ، ووضعت يدها على كتفه القويّة ، قائلة فى خفوت :

ـ هل تصرّ على الذهاب الليلة ؟

أجابها فى صرامة :

ـ كل الإصرار .

ازدردت لعابها ، قبل أن تقول :

ـ فى هذه الحالة لدى وسيلة مناسبة .

التفت إليها ، يسألها فى اهتمام :

ـ ما هى ؟

أجابته فى سرعة :

ـ مثلما فعلت فى (روما) .. ستسافر بجواز سفر شخص آخر .

سألها فى اهتمام :

ـ شخص مثل من ؟

ازدردت لعابها مرة أخرى ، قبل أن تقول :

ـ (كارلو) .. حارسى (كارلو) .

واعترف (أدهم) بذكائها مرة أخرى ..

* * *

« أين الأشرطة ، أيها الرفيق (كارل) ؟ .. »

ألقت (مارتينا) السؤال فى برود ، وهى تتطلع إلى (أكرم) بعينيـن باردتين كالثلج ، وارتجف جسده فى خوف ، ولكنه تماسك بقدر الإمكان ، وهو يجيب :

ـ فى مكان أمين .

مط (أندريه) شفتيه ، وهو يشعل سيجارته ، وسحب نفسًا عميقًا فى قوة ، وهو يهز رأسه فى ضيق ، فكررت (مارتينا) سؤالها ، وقد أضيفت إلى لهجتها لمسة صارمة :

ـ أين الأشرطة ؟

ابتلع (أكرم) ريقه ، ليبلل حلقه الجاف ، وهو يقول :

ـ دعينى أنا أسألك أوّلًا .. أين النقود ؟

قال (أندريه) ، وهو ينفث دخان سيجارته فى عمق :

ـ لن تحصل على دولار واحد ، قبل أن نتسلم أشرطة التسجيل كلها .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ ولن تتسلموا شريطًا واحدًا ، قبل أن أحصل على المبلغ كله .

ضاقت عينا (مارتينا) ، وهى تقول فى صرامة :

ـ لا تمل شروطًا أيها الرفيق .

قال فى عصبية :

ـ إنكم تسرقون أملى الوحيد ، فى الحياة والثراء .

قالت فى برود :

ـ وأنت شديد الجشع .

صاح محنقًا .

بل أنتم البخلاء .. لقد عرض الأمريكيون عشرين مليونًا ، مقابل الأشرطة كلها .

تبادلت (مارتينا) نظرة باردة مع (أندريه) ، ثم قالت :

ـ ونحن نعرض مليونًا واحدًا .

صرخ (أكرم) :

ـ مليون واحد ؟! .. مستحيل ! .. لن تحصلوا على بقة فراش بهـذا الثمن .

قالت (مارتينا) فى هدوء مثير :

ـ هل تراهن ؟

صاح فى حدة :

- أراهن بهذه المليون دولار ، على أنكم لن تحصلوا منى على حرف واحد ، قبل أن تدفعوا المبلغ كاملًا .

نهضت قائلة :

- اتفقنا .

ثم أخرجت من جيبها أداة حادة رفيعة ، وهى تستطرد :

- وأراهنك أنا على المبلغ كله ، أنك ستركع أمامى ، بعد ساعة واحدة من الآن ، وتتوسّل إلى أن أحصل على أشرطة التسجيل كلها ، دون دولار واحد .

وحدّق (أكرم) فى تلك الأداة الرفيعة الحادة ، وهو يتراجع صائحًا :

- لا .. ليس من حقك هذا .

والتقى حاجبا (أندريه) فى قوة ، وهو ينفث دخان سيجارته ، ويراقب ذلك المشهد الرهيب ، قبل أن يطلق (أكرم) صرخة قوية ..

صرخة ارتج لها مبنى الأمن كله ..

★ ★ ★

كانت عقارب الساعة تشير إلى الحادية عشرة مساءً ، عندما توقفت سيارة (صوفى) المرسيدس الفاخرة ، أمام حاجز الحدود ، لـ (برلين الشرقية) ، فتقدّم منها ضابط الجوازات ، وقال :

- أوراقك لو سمحت .

ناولته جواز سفرها ، وجواز السفر الذى يحمل صورة (كارلو) ، وهى تبتسم ابتسامة عذبة ، من تلك الابتسامات التى أذابت قلوب ملايين المشاهدين لأفلامها ، وهى تقول :

- إنه سائقى الخاص ، وهو إيطالى أيضًا .

قارن الضابط بين صورة جواز السفر ، وبين وجه سائق السيارة ، وسأل (صوفى) فى اهتمام :

- ما سبب زيارتك لـ (برلين الشرقية) يا سيدتى ؟

تحسّست شعرها فى حركة مدروسة ، وهى تجيب :

- إننى ممثلة سينمائية ، كما قرأت فى جواز سفرى ، وسأبدأ قريبًا فى تصوير فيلم رومانسى ، تدور حوادثه فى (برلين الشرقية) ، وأردت رؤية المكان بطبيعته ، حتى يمكننى تقمص الدور جيدًا .

مطّ الرجل شفتيه ، وقال :

- لست أحب أفلامكم ، التى تنتجونها عنا ، فهى تظهرنا بمظهر المتعجرفين ، الصارمين ، الذين يشكون فى كل غريب .

سألته :

- ألستم كذلك ؟

ابتسم الرجل ، قائلًا :

- ليس إلى هذه الدرجة .

ثم أشار إلى الحارس برفع الحاجز ، وهو يستطرد :

- ولكننا نتمنى لك إقامة سعيدة فى دولتنا يا سيّدتى .

قالت بابتسامة أنيقة :

- أشكرك .

أدار (أدهم) محرّك السيارة ، وعبر بها حاجز الحدود فى هدوء ، وانطلق بها داخل (برلين الشرقية) ، ولم يكد يبتعد عن الحدود ، حتى هتفت هى فى حماس :

- هل أعجبتك ؟

أجابها فى اقتضاب :

- نعم .

وواصل انطلاقته بالسيارة فى صمت ، فسألته فى شغف :

- المدينة ضخمة .. أتعلم أين ينبغى أن نبحث عنهم ؟

أجاب في هدوء :

ـ بل أعرف بالتحديد أين نجدهم .

سألته في لهفة :

ـ أين ؟

أجاب وهو يعبر تقاطعًا ضخمًا :

ـ (مارتينا عظيموف) ،و (أندريه رابينوفيتشي) من رجال الـ (كي . جي . بي) .

هتفت :

ـ الـ (ماذا) ؟!

ابتسم قائلًا :

ـ الـ (كي . جي . بي) .. المخابرات العامة السوفيتية .

هتفت :

ـ آه .. أظنني قرأت شيئًا كهذا .. ولكن كيف عرفت اسميهما ؟

أجاب في هدوء :

ـ في عالمنا عدد من المشاهير ، في كل جهاز مخابرات في العالم ، ونحن نعرف هؤلاء المشاهير ، ونحفظهم عن ظهر قلب ، وفي الـ (كي . جي . بي) ، يوجد فريق فاقت شهرته الآفاق ، ويعمل داخل (أوروبا) بالذات ، وهذا الفريق يتكوّن من (مارتينا) و (أندريه) .

قالت في سعادة :

ـ عظيم .. إنك تخبرني بأسرار عظيمة .

ابتسم في سخرية ، قائلًا :

ـ لو أنها أسرار هامة لما أخبرتك عنها يا صغيرتي ، ولكنك ستجدينها لدى كل رجل مخابرات صغير ، في العالم أجمع .

قالت في جذل :

ـ ولكنها ليست متاحة للعامة .

ثم عادت تسأله في شغف :

ـ ولكنك لم تخبرني بعد .. كيف تعرف مقرهما بالتحديد ؟

أجابها في بساطة :

ـ ماداما من أفراد الـ (كي . جي . بي) ، فسيكونون حتمًا في المقر السري للمخابرات السوفيتية ، في (برلين الشرقية) .

سألته في دهشة :

ـ وهل تعرف هذا المقر السري ؟

أجاب في هدوء :

ـ بالطبع .

سألته في لهفة :

ـ وأين هو ؟

ابتسم هذه المرة ، وهو يقول :

ـ معذرة يا عزيزتي .. ليس هذا من الأسرار المتاحة .

مطّت شفتيها في غضب طفولي ، وعقدت ساعديها أمام صدرها ، وهي تهتف :

ـ سنيور (صبري) .. لقد فعلت من أجلك الكثير ، وما زلت ترفض معاملتي كزميلة .

هتف ضاحكًا :

ـ زميلة ؟! .. يالك من ساذجة !

ضربت الأرض بقدميها ، هاتفة :

ـ أريد أن أعرف .

تجاهلها تمامًا ، وهو يميل إلى جانب الطريق ، ويتوقف أمام فندق ضخم ، قائلًا :

- هيا .. لقد وصلنا إلى الفندق .

هبطا معًا من السيارة ، وأنهيا إجراءات الإقامة ، في حجرتين متجاورتين ، وقالت هي ، وهما يصعدان إلى حجرتيهما :

- لن تذهب وحدك إلى أي مكان .. سنذهب معًا .

أجابها في صرامة :

- كفاك عبثًا .. قلت لك أكثر من مرة : إنه ليس فيلمًا سينمائيًا .. سأذهب وحدي لإتمام المهمة ، وسأترك السيارة هنا ، والمطلوب منك هو الانتظار حتى الصباح ، فإذا لم أعد قبل الثامنة فاستقلي السيارة ، وعودي إلى (برلين الغربية) على الفور .. هل تفهمين ؟

عقدت ساعديها أمام صدرها ، وهي تقول في غضب :

- لماذا تستأثر وحدك بالأعمال الجيدة ؟

تطلع إليها في دهشة ، ثم هز رأسه مغمغمًا بالعربية :

- يا للنساء !

صاحت محنقة :

- لماذا تستخدم هذه الكلمة دائمًا ، كلما قلت أنا عبارة لا تروقك .. أراهن أنها نوع من السباب .

ضحك قائلًا :

- بل من عبارات الدهشة .

هتفت :

- الدهشة ؟! .. ولماذا تدهشك أساليبي ؟

ضحك مرة أخرى ، وقال :

- رويدك يا صغيرتي .. لسنا زوجين ، لتفعلي بي كل هذا .

حدقت في وجهه بدهشة ، وقالت :

- وما صلة الزواج بهذا ؟

ابتسم قائلًا :

- سأشرح لك هذا فيما بعد .. والآن إلى اللقاء ، وحاولي تنفيذ أوامري بمنتهى الدقة ، فهذا وحده قد يعيدك إلى موطنك حية .

هزت كتفيها قائلة :

- سأحاول .

وأسرع يغادر حجرتها إلى حجرته ، وهناك خلع سترته وقميصه ، وانتزع تلك القطع المطاطية ، التي تزيد من حجمه ، وتمنحه مظهرًا أشبه بـ (كارلو) ، ثم انتزع عن وجهه ذلك القناع الرقيق ، الذي يحمل ملامح هذا الأخير ، وجلس أمام المرآة ، يبدل ملامحه مرة أخرى ، ثم أخرج من حقيبته حلة داكنة ، وغطاء للرأس من الفراء ، ارتداهما في عناية ، وتطلع إلى وجهه في المرآة ، قبل أن يقول باللغة الألمانية ، في لكنة سوفيتية واضحة :

- الآن يبدأ العمل الجاد .

وأخرج من حقيبته جهازًا صغيرًا ، دسه في جيبه ، مستطردًا :

- أتمنى ألا يكون ذلك الجاسوس الوغد قد أبدل سترته ، وإلا فسيفوتني تسجيل فصل بالغ الأهمية من الرواية .

غادر الفندق ، وسار في الطرقات في هدوء ، حتى بلغ ناصية قريبة ، فتوقف ، وأخرج الجهاز من جيبه ، وضغط أزراره في حرص ، في محاولة لالتقاط ذبذبة جهاز التسجيل الدقيق ، الذي أخفاه في ثياب (أكرم) ، وهو يغمغم :

- جهاز رائع ، ولكنه لا يعمل إلا على بعد كيلو متر واحد من الهدف للأسف .

حرك مؤشر الجهاز في سرعة ومهارة ، حتى التقط الذبذبة المطلوبة ..

واستقبل الجهاز ثانية كل الأصوات ، التى يلتقطها القرص الحساس ، المثبت فى ثياب (أكرم) ..

وكان كل ما التقطه عبارة عن صرخة ، التقى لها حاجبا (أدهم) فى شدة ..

صرخة ألم رهيبة ..

* * *

ضاقت عينا (مارتينا) أكثر وأكثر ، وهى تتراجع فى هدوء ، وتتطلع بابتسامة متلذذة إلى العرق الغزير ، الذى يغمر وجه (أكرم) ، وإلى أطراف أصابعه الدامية ، وأظافره المثقوبة ، وقالت :

- ما رأيك أيها الرفيق (كارل) ؟ .. هل تعترف بأنك قد خسرت الرهان ؟

صاح (أكرم) فى انهيار :

- أنت أبشع مخلوق رأيته ، فى حياتى كلها .. أنت وحش مفترس ، فى صورة إنسان .

قالت (مارتينا) فى برود :

- هكذا ؟!

ثم انحنت تلتقط إصبعًا جديدة ، ودفعت آلتها الحادة الرفيعة بين الظفر ولحم الإصبع ، واخترقت بها الظفر نفسه من الداخل ، فأطلق (أكرم) صرخة مدوية ، وأشاح (أندريه) بوجهه فى ضيق ، وهو ينفث دخان سيجارته فى عصبية ، فى حين هوى رأس (أكرم) على صدره ، وسقط فاقد الوعى ، فالتقى حاجبا (مارتينا) فى غضب ، وهى تقول :

- لقد فقد وعيه مرة ثانية .

قال (أندريه) فى عصبية :

- لست أدرى لماذا تصرين على استخدام هذه الوسيلة القذرة ؟ .. ألم يوافق الرؤساء على منحه خمسة ملايين دولار ، مقابل ما لديه ؟

قالت فى صرامة :

- لن يحصل على دولار واحد .

سألها فى حدة :

- لماذا ؟

صرخت :

- لأن هذا ما أريده .

ثم التقى حاجباها أكثر ، حتى بدت أشبه بصورة مجسمة للشيطان ، وهى تستطرد :

- سأبتر أصابعه واحدا بعد الآخر ، وأمزق رأسه ، وأسلخه حيًا ، حتى يعترف بمخبأ الأشرطة .. هل تفهم ؟

هب من مقعده ، قائلا فى حنق :

- سيحاسبك الرؤساء على هذا .

قالت فى صرامة :

- اطمئن .. لن يقلقهم كثيرا ما أفعل ، ما دمت سأحصل فى النهاية على ما يريدون .

تأوه (أكرم) فى هذه اللحظة ، فابتسمت ابتسامة وحشية ، وقالت :

- ها هوذا يستعيد وعيه فى سرعة ، ويستعد لجولة جديدة .

كان هذا يكفى (أدهم) ، ليعلم أنه من المحتم أن يتحرك فى سرعة ، وإلا فقد كل شىء .

وفى خطوات سريعة عبر المسافة ، التى تفصله عن مقر الـ (كى . جى . بى) السرى ، والذى يحمل اسم وكالة أنباء (تاسا) السوفيتية الشهيرة ، وقال لحارس المكان فى اضطراب مصطنع :

- هل يمكننى مقابلة أحد المسئولين هنا ؟

فحصه الجندى من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، قبل أن يقول :

ـ لماذا ؟

فرك (أدهم) كفيه ، متظاهرًا بالارتباك ، وهو يقول :

ـ لدى أمور بالغة الأهمية والخطورة ، أريد أن أبلغ بها أحد المسئولين هنا .

سأله الحارس فى حذر :

ـ فى وكالة (تاسا) للأنباء ؟!

تلفت (أدهم) حوله ، متظاهرًا بالخوف ، ثم قال بألمانية سليمة ، وبلهجة شرقية خالصة :

ـ بل فى الجانب الآخر .

حدّجه الجندى بنظرة حذرة أخرى ، ثم قال :

ـ سأرى ما يمكننى فعله .

والتقط مسماع جهاز اتصال داخلى ، وضغط أحد أزراره ، دون أن يرفع عينيه عن (أدهم) ، وقال :

ـ مساء الخير أيها الرفيق (دونيسكى) .. لدى هنا مواطن ألمانى ، يقول : إن لديه بعض الأمور ، البالغة الأهمية والخطورة ، ويريد الإدلاء بها لأحد المسئولين هنا .

انتظر لحظات ، وهو يستمع إلى صوت محدثه ، قبل أن يقول :

ـ كما تأمر أيها الرفيق (دونيسكى) .

وأنهى الاتصال ، وهو يقول لـ (أدهم) فى صرامة :

ـ انتظر .

مرّت لحظات من الصمت ، قبل أن يظهر شاب نحيل ، أشقر الشعر ، حدج (أدهم) بنظرة فاحصة ، قبل أن يقول :

ـ الرفيق (ميخائيل دونيسكى) ماذا لديك أيها الرفيق المواطن ؟

تلفت (أدهم) حوله ، ورمق الجندى بنظرة حذرة ، قبل أن يقول :

ـ إنها أمور بالغة الخطورة أيها الرفيق الضابط .

أومأ (ميخائيل) برأسه متفهمًا ، ثم قال :

ـ حسنًا .. سنناقش هذا فى مكتبى .

واصطحب (أدهم) إلى داخل المبنى ، وقاده إلى حجرته فى الطابق الثانى ، ثم جلس خلف مكتبه ، وسأله :

ـ والآن ماذا لديك أيها الرفيق ؟

تلفت (أدهم) حوله فى حذر ، فقال الرجل فى صرامة :

ـ قل ما يحلو لك واطمئن ، فلا توجد أجهزة تصنت هنا ، ولا أحد يرى أو يسمع ما تفعله .

سأله (أدهم) :

ـ أأنت واثق من هذا ، أيها الرفيق الضابط ؟

قال (ميخائيل) فى حدة :

ـ تمام الثقة .. هيا .. هات ما لديك .

مال (أدهم) نحوه ، وهو يقول :

ـ هناك جاسوس هنا .

انتفض جسد (ميخائيل) ، وهتف :

ـ جاسوس ؟! .. أى قول هذا يا رجل ؟

أشار إليه (أدهم) بالصمت ، وهمس :

ـ إننى أعرفه جيدًا ، وأنا واثق تمامًا مما أقول .

شعر (ميخائيل) بغضب هائل ، وقلق لا حدود له ، وهو يسأله :

ـ أنت تعرفه جيدًا ؟! .. من هو إذن ؟

أجابه (أدهم) فى سخرية :

- أنا .

انعقد حاجبا (ميخائيل) ، وهو يقول فى دهشة :

- أنت ؟!

هوى (أدهم) على فكه فجأة بلكمة كالقنبلة ، قائلا :

- هل تريد دليلًا قاطعًا .. ها هوذا .

انفجرت اللكمة فى فك الرجل ، ودفعته إلى الخلف ، ليرتطم رأسه بالحائط فى عنف ، ثم هوى فاقد الوعى ..

وفى هدوء ، خلع (أدهم) معطفه ، فبدا تحته زى عسكرى متقن ، يشبه تمامًا أزياء كبار ضباط الـ (كى . جى . بى) ، وانحنى يلتقط قبعة (ميخائيل) ، ويضعها على رأسه ، وهو يقول :

- معذرة يا صديقى .. سأستعير منك هذا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى اندفع ضابط آخر إلى الحجرة ، هاتفًا :

- (ميخائيل) .. لقد اتصلت صديقتك ، و ..

بتر عبارته ، وهو يحدق فى جسد (ميخائيل) الفاقد الوعى ، وينقل بصره إلى وجه (أدهم) ، ثم لم يلبث أن تراجع فى حركة حادة ، ورفع مسدسه هاتفًا :

- من أنت ؟

واستعدت سبّابته العصبية لضغط الزناد ..





انفجرت الكلمة فى فك الرجل ، ودفعته الى الخلف ، ليرتطم رأسه بالحائط فى عنف ، ثم هوى فاقد الوعى ..

١٩ ـ فى عرين الأسد ...

ضغط (أندريه) أسنانه فى قوة ، عندما ارتفعت صرخة جديدة من حلق (أكرم) ، الذى انهار غارقًا فى نهر من العرق ، وأظفاره المثقوبة تصرخ فى ألم رهيب ، و (مارتينا) تقول فى برود عجيب ، وكأنها تتلذذ بكل لحظة :

ـ ما قولك أيها الرفيق (كارل) .. ألم تستسلم بعد ؟

انهار (أكرم) ، وراح يبكى فى مرارة وألم ، وهو يردد :

ـ أيها الوحوش .. أيها الوحوش .

بدا الغضب على وجهها لأول مرة ، وهى تقول :

ـ يبدو أنك أغبى من أن تدرك ما تُقدم عليه .. ألا تعلم ما سأفعله بك ، لو لم تفصح عن مكان الأشرطة .

أجابها باكيًا :

ـ هذه الأشرطة هى أملى الوحيد ، ولو حصلتم عليها دون مقابل ، أكون قد خسرت كل شىء .

هتفت غاضبة :

ـ إنك ستخسر كل شىء بالفعل .

ثم جذبته من شعره فى حدة ، وأدنت آلتها الحادة الرفيعة من عينه اليسرى ، مستطردة فى لهجة مخيفة :

ـ سأقتلع عينك اليسرى ، وبعدها اليمنى ، و ..

قاطعتها صيحة (أندريه) :

ـ كفى يا (مارتينا) .

التفتت إليه فى وحشية ، كقطة برية مفترسة ، وقد ذهب برودها الشهير كله ، واستيقظ فى أعماقها ذلك الوحش الكاسر ، الذى تخفيه دومًا خلف قناع الثلج هذا ، وصرخت :

ـ ما الذى تعنيه بكفى ؟

أجابها فى غضب :

ـ أعنى أنك قد تجاوزت حدودك ، وكل الحدود المسموح بها ، حتى فى حالات استجواب الجواسيس الأمريكيين .. من الواضح أن الرجل لن يستسلم فى سهولة ، فتلك الأشرطة تمثل له كل آماله فى مستقبل جيد ، وإلا فالضياع وحده ينتظره ، ولن يتنازل عن آماله بسهولة .

صاحت :

ـ إنه خائن .. عميل .. باع دولته مقابل حفنة من المال .. أية شفقة تأخذك ، على وغد مثله .

هتف فى غضب :

ـ إنه بشر على الأقل ، وأوامر الرؤساء صريحة فى هذا الشأن .. امنحيه الملايين الخمسة ، ولنحصل على الأشرطة ، ولنلقيه فى أى مكان يشاء .

صرخت :

ـ مستحيل .. لقد أقسمت ألا يحصل على دولار واحد .

اعتدل (أندريه) ، وقال فى صرامة :

ـ فى هذه الحالة أجد نفسى مضطرًا .

التقى حاجباها فى توتر ، وهى تقول :

ـ مضطر لماذا ؟

أجاب فى حدة :

ـ لإبلاغ الرؤساء .

بدا الغضب على وجهها ، وهو يلقى سيجارته أرضا ، ويطؤها بقدمه فى عنف ، مستطردا فى ثورة :

ـ ولتعلمى أنهم لن يقبلوا بأقل من إقالتك ، لتجاوزك الحدود إلى هذه الدرجة .

قالها واستدار يغادر المكان ، ولكنها انتزعت مسدسها المزوّد بكاتم للصوت ، وصوّبته إلى رأسه ، قائلة فى حدة :

ـ (أندريه رابينوفيتشى) .

التفت إليها ، واتسعت عيناه فى دهشة وذعر ، وهى تقول :

ـ الوداع .

ثم ضغطت زناد مسدسها ..

واخترقت رصاصتها رأس (أندريه) ، وضربت جسده بالباب فى عنف ، قبل أن يسقط جثة هامدة ..

وفى حركة عنيفة ، استدارت إلى (أكرم) ، وألصقت فوهة مسدسها برأسه ، صارخة فى جنون :

ـ الآن فرغ صبرى بالفعل أيها الرفيق .. ستخبرنى أين تخفى الأشرطة ، وإلا فسأنسف رأسك بلا تردد .

ـ كانت انتفاضة (أكرم) شديدة العنف هذه المرة ، فقد أدرك أن الفتاة التى قتلت زميلها بلا تردد ، لن تتوانى عن نسف رأسه بالفعل ، فى ثورة غضب وجنون ، لذا فقد هتف :

ـ سأخبرك .. سأخبرك .

وانهار مستطردا :

ـ سأخبرك بكل شىء :

ـ وانهمرت دموع اليأس من عينيه ..

* * *

صوّب الضابط السوفيتى مسدسه إلى (أدهم) ، وهو يهتف فى توتر بالغ :

ـ من أنت ؟ .. وما الذى فعلته بـ (ميخائيل) ؟

استدار إليه (أدهم) فى هدوء ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ بل قل من فعل به هذا .

ثم دبّ النشاط فى جسده فجأة ، فقفزت قدمه تضرب المسدس ، من يد الرجل ، الذى تراجع فى ذعر ، عندما فقد مسدسه ، وفتح شفتيه ليصرخ بعبارة ما ، ولكن قبضة (أدهم) بلغت فكه ، بأسرع مما غادرته الكلمات ، وهوت على أسنانه كالصاعقة ..

وتردد صوت بشع ، لتحطم صف الأسنان الأمامى للرجل ، الذى هوى فاقد الوعى ، كلوح من الخشب ..

وتجمّد (أدهم) فى مكانه لحظة ، ليتأكد من أن أحدا لم ينتبه إلى ما حدث ، ثم التقط القبعة الرسمية لأحد الرجلين ، ووضعها على رأسه ، وشد قامته ، ثم غادر الحجرة فى هدوء ، وأغلق بابها خلفه فى بساطة ..

وعبر الممر الطويل سار (أدهم) ممشوق القوام ، يعقد كفيه خلف ظهره ، متخذا هيئة كبار الضباط ، وقد صبغ شعره باللون الأشقر ، وأضاف عدستين زرقاوين إلى عينيه ، وقلب شفتيه على نحو صارم عنيف ، حتى استوقف أحد الجنود ، وسأله :

ـ أين الأسير ، الذى أحضره (أندريه) و (مارتينا) ؟

نطقها بلهجة آمرة صارمة ، وبلغة ألمانية ذات لكنة سوفيتية ، مما جعل الجندى يجيب فى سرعة :

ـ آخر حجرة فى الممر ، إلى اليسار يا سيّدى .

تبادل (أدهم) معه تحية عسكرية صارمة ، ثم واصل طريقه عبر الممر ،

حتى بلغ الحجرة المنشودة ، وقبل أن يدق بابها ، سمع (أكرم) داخلها يقول فى انهيار :

ـ الأشرطة كلها فى خزانة سرية خاصة ، فى بنك (كريدى سويس) ، فى (زيورخ) بـ (سويسرا) .. ورقم الخزانة هو (١٠٩٧٦) ، تحت حرفى الألف والحاء ، ولا يمكن الحصول عليها دون بطاقة تحمل توقيعًا خاصًا منى ، مع معرفة الرقم السرى ، والحصول على مفتاح يستحيل تقليده .

سألته (مارتينا) فى انفعال :

ـ وأين ذلك المفتاح ؟

أجابها منهارًا :

ـ فى كعب حذائى الأيسر ..

قفزت تجذب ساقه فى عنف ، وانتزعت حذاءه من قدمه ، ودفعت مديتها فى كعبه ، وأزاحته من مكانه ، ثم برقت عيناها فى ظفر ، وهى تقول :

ـ ها هوذا .

التقطت المفتاح المغناطيسى الخاص فى لهفة ، وأمسكته فى قبضتها فى ظفر ، هاتفة :

ـ أخيرًا .

ثم انحنت على (أكرم) ، وجذبته من قميصه فى عنف ، قائلة فى صرامة مخيفة :

ـ اسمع يا هذا .. اعترافك هذا يؤكد ضرورة بقائك على قيد الحياة ، حتى نستعيد الأشرطة ، لذا فسترحل معى الآن من هنا ، وسنسافر فورًا إلى (برلين الغربية) ، ومنها نستقل طائرة الصباح إلى (ميونخ) ، وهناك ستضع توقيعك على البطاقة ، وتستخدم مفتاحك ، مع الرقم السرى ، وتستعيد الأشرطة .

سألها فى انهيار :

ـ ألن أحصل من دولتك على أى مقابل ؟

هتفت :

ـ دولتى ؟! .. فلتذهب دولتى إلى الجحيم .. إننى سأحصل على الأشرطة أوّلًا ، وبعدها سأبيعها لمن يدفع أكثر ، حتى ولو كان الأمريكيون أنفسهم .

وهنا دفع (أدهم) باب الحجرة ، وقفز داخلها ، وأغلق الباب خلفه فى إحكام ، وهو يصوّب مسدسه إليها ، قائلًا :

ـ هذا لو كان لديك الوقت للتنفيذ يا (مارتينا) .

التفتت إليه فى وحشية ، وهتفت :

ـ أنت ؟!

أجابها فى صرامة :

ـ انتهى كل شىء يا فتاتى .. لقد سمعت ما قلته ، وسجلته أيضًا ، بوساطة قرص تسجيل دقيق ، يختفى فى سترة (أكرم) ، ويمكننى تقديم هذا التسجيل إلى رؤسائك ، لو لم نخرج من هنا سالمين ، أنا وذلك الوغد .

هتفت فى غضب :

ـ قدمه للشيطان نفسه ، ولكنك لن تخرج من هنا سالمًا .

قالتها وانقضت عليه فى شراسة ، على الرغم من المسدس الذى يصوّبه إليها ، وأظفارها الحادة تسعى لتمزيقه إربًا ، ولكنه تفادى انقضاضتها ، دون أن يطلق رصاصة واحدة ، وانحنى فى خفة ومرونة ، ثم دفعها بعيدًا عنه ، قائلًا :

ـ حذار يا فتاتى .. صحيح أننى أكره ضرب النساء ، ولكن الضرورات تبيح المحظورات .

أطلقت صرخة شرسة أخرى ، وانقضت مرة ثانية عليه ، فقفز متفاديًا إياها ، فى هذه المرة أيضًا ، وقال :

- لا بأس .. أنت أجبرتني على هذا .
ودار على عقبيه في رشاقة تثير الإعجاب ، ثم هوى على مؤخرة عنقها بضربة فنية مدروسة ، من حافة يده ، جعلتها تطلق شهقة عجيبة ، أشبه بخوار ثور يحتضر ، قبل أن تهوى ككتلة من الحجر ..
وفي هدوء صارم ، قال (أدهم) لـ (أكرم) :
- هيا .
ثم حل القيود التي تربطه بالمقعد ، فنهض (أكرم) في استسلام يائس ، وهو يغمغم في مرارة :
- المفتاح .
انحنى (أدهم) يلتقط المفتاح من يد (مارتينا) ، ودسه في جيبه ، ثم قال لـ (أكرم) في صرامة :
- سأطلق النار عليك بلا رحمة .. لو حاولت الفرار .
غمغم (أكرم) منهارًا :
- اطمئن .. لن أحاول .
غادرا الحجرة معًا ، و (أدهم) يصوّب إليه مسدسه ، وكأنه يصطحبه كأسير ، ولا أحد يعترض طريقهما ، حتى بلغا الباب الخارجي ، فقال (أدهم) لحارسه في صرامة ، وبلهجة آمرة واثقة :
- افتح الباب .
أدى الحارس التحية العسكرية ، دون أن يحاول حتى النظر في وجه (أدهم) ، وأسرع يفتح الباب ، وأدى التحية العسكرية مرة أخرى ، عندما عبره (أدهم) ، وهو يصوّب مسدسه إلى ظهر (أكرم) ، الذي بدا منهارًا بائسًا ، بعد أن أدرك أنه فقد بالفعل ، كل ما قاتل من أجله طيلة الوقت ..
وفجأة ظهر (ميخائيل دونيسكي) ، في شرفة مكتبه بالطابق الثاني ، وصاح :

- أوقفوا هذا الرجل .. إنه زائف .
لم يكد يطلق هذه الصيحة ، حتى تكهرب الجو فجأة ، فتراجع حارس البوابة ، وانتزع مدفعه الآلي عن كتفه ، وانطلقت صفارات الإنذار ..
ولكن (أدهم) تحرّك بسرعة أكبر كالمعتاد ..
لقد هوى بقبضته على فك الحارس ، في ضربة كالقنبلة ، أعقبها بأخرى فجزت أنفه تمامًا ، ثم اختطف المدفع الآلي في حركة سريعة ، وأطلق رصاصاته نحو طاقم الأمن ، الذي هب استجابة لصفارات الإنذار ، و (ميخائيل) يصرخ :
- أوقفوه .. لقد اختطف الأسير .
كانت رصاصات (أدهم) تصيب أهدافها بمنتهى الدقة ، مما أثار ذعر طاقم الأمن ، فاختفى جنوده خلف السيارات والسواتر ، في محاولة للإفلات من تلك الرصاصات الصائبة ، في حين اندفع (أدهم) نحو واحدة من سيارات الجنود ، وهو يدفع (أكرم) أمامه ، ثم دفعه داخلها ، وقفز يحتل مقعد القيادة ، وهو يواصل إطلاق النار على الجنود وأدار محرك السيارة ..
وانطلق ..
ومع انطلاقته هب الجنود من مخابئهم ، وأمطروا السيارة الهاربة بالنيران ، و (ميخائيل) يصرخ :
- طاردوه بسياراتكم .. لا تسمحوا له بالفرار .
قفز الجنود إلى سياراتهم ، وانطلقوا بها خلف سيارة (أدهم) ، الذي ابتعد في سرعة ومهارة ، قبل أن تلحق به سيارة واحدة ، وانحرف في طريق جانبي صغير ، ثم أطفأ مصابيح سيارته ، وأوقفها بين عدد من الأشجار ، وراح يراقب الطريق في حذر ، ممسكًا المدفع الآلي في حزم وتربص ..
وأمام عينيه عبرت السيارات الأخرى الطريق ، دون أن يلمحه ركابها وسط الأشجار ، وابتعدوا في سرعة كبيرة ، بحثًا عنه ..

وبعد لحظات صمت خلالها الطريق تماما ، قال (أدهم) :
- لقد رحلوا .
سمع (أكرم) يقول فى مرارة :
- أنا أيضا فى طريقى إلى هذا .
التفت إليه (أدهم) فى سرعة ، ورأى الدماء تنزف من صدره ، وتغرق قميصه ، بالقرب من موضع القلب ، فسأله :
- هل أصبت ؟
أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وقال :
- نعم .. أصابتنى إحدى الرصاصات ، التى انهمرت علينا أثناء الفرار .
فحص (أدهم) الجرح بسرعة ، وأدرك بحكم خبرته أنه جرح مميت ، ولكنه قال فى حسم :
- أنت تحتاج إلى علاج طبى عاجل .
قال (أكرم) فى مرارة :
- لماذا ؟ .. ليمكنكم شنقى بوسيلة أفضل ؟ .. لا يا رجل .. إننى أفضل الموت هنا ، فقد فقدت كل شىء ، ولم يعد هناك أمل فى الحياة .
لم يعارضه (أدهم)
- إذ كان يدرك أن لحظاته فى الدنيا أصبحت محدودة ، ولكنه سأله فى خفوت :
- ألم تشعر أبدًا بالندم ؟
قال (أكرم) ، ووجهه يشحب بشدة :
- الآن فقط شعرت به ، ولكن بعد فوات الأوان .
ثم تشبث بذراع (أدهم) بغتة ، قائلًا :
- لا تترك الأشرطة فى البنك .. حاول أن تستعيدها بأى ثمن .
هز (أدهم) رأسه ، وقال :

- لم تعد هناك فائدة منها يا رجل ، فبوفاتك لا يعود بوسع أى شخص آخر الحصول عليها ، وسيعتبر البنك محتويات الخزانة عديمة القيمة ، بعد مرور عشر سنوات ، دون أن يطالب بها أحد ، وسيفتحون الخزانة ، ويحرقون محتوياتها ، وحتى لو نشروها على الملأ .. لن تكون لها قيمة فعلية ، بعد عشر سنوات من الآن .
هز (أكرم) رأسه فى قوة ، على الرغم من شحوبه الشديد ، وقال :
- خطأ يا رجل .. خطأ .. البنك لديه أوامر منى بفتح الخزانة ، وتسليم نسخة من الشرائط بداخلها إلى أشهر الصحف فى العالم ، لو لم أعد إلى البنك فى نهاية هذا الشهر .
انعقد حاجبا (أدهم) فى توتر ، وهو يهتف :
- يا إلهى ! .. تصرفك الأحمق هذا يعرض أمن (مصر) لخطر داهم .
تضاعف شحوب (أكرم) فى شدة ، وتراخت أصابعه الممسكة بذراع (أدهم) ، وهو يقول فى تهالك :
- أعلم هذا ، ولكن لا وقت للعتاب الآن .. المهم أن تسعى لاستعادة هذه الأشرطة الملعونة ، قبل أن ينفذ البنك أوامرى .
هتف (أدهم) فى توتر :
- كيف ؟!
أجابه (أكرم) ، وقد صار صوته مجرد همس شاحب :
- لست أدرى كيف ، ولكنك ستجد الوسيلة حتمًا .. لقد رأيتك تفعل ما كنت أظنه دائمًا مستحيلًا ، وأنا واثق من أنك ستجد وسيلة ما .
وأسبل جفنيه ، مستطردًا فى تهالك :
- حاول يا رجل .. أرجوك .. فربما يكفر هذا عن خطيئتى فى حق (مصر) .
قالها ولفظ أنفاسه الأخيرة فى الحال ، فاعتدل (أدهم) ، وألقى عليه

نظرة طويلة ، قبل أن يقول :

ـ نعم .. ربما ..

ووارى جثته التراب ..

* * *

تفجّر الغيظ فى أعماق (مارتينا) ، بعد أن استعادت وعيها ، وراحت تصرخ فى غضب ، فى حجرة (ميخائيل) :

ـ كيف ينجح فى الفرار من هنا ؟ .. كيف ؟! .. لم يحدث أبدًا أن نجح شخص واحد فى الخروج من هنا حيًا ، على الرغم من إرادتنا .

قال (ميخائيل) فى حنق :

ـ إنه أجرأ شخص رأيته ، فى حياتى كلها .

هتفت :

ـ بل هو شيطان حقير .

ثم فركت كفيها فى عصبية ، مستطردة :

ـ ولكن كيف وصل إلى (برلين الشرقية) ؟ .. لقد سلمت صورته لكل بواباتنا ، وأصدرت أوامر مشددة بإلقاء القبض عليه ، إذا ما حاول دخولها .

قال (ميخائيل) :

ـ ربما دخل متنكرًا !

هتفت :

ـ كيف ؟ .. وبأية هيئة ؟

انعقد حاجباها لحظات ، فى تفكير عميق ، ثم اختطفت سماعة الهاتف ، وأدارت قرصه برقم خاص ، وقالت :

ـ أنا (مارتينا) يا (بافلوف) .. (مارتينا عظيموف) .. نعم .. هل يمكنك أن ترسل لى قائمة عاجلة ، بأسماء كل من عبروا الحدود ، من (برلين

الغربية) إلى الشرقية ، فى الأربع والعشرين ساعة الأخيرة .. نعم .. على شاشة الكمبيوتر .

التفتت إلى شاشة الكمبيوتر ، فى مكتب (ميخائيل) ، وشاهدت الأسماء تتراص فوقها فى سرعة ، فتابعتها فى حرص واهتمام ، حتى صاحت فجأة :

ـ توقف يا (بافلوف) .. أعد عرض الأسماء العشرة الأخيرة .

تراصت الأسماء العشرة الأخيرة وحدها على الشاشة ، والتقى حاجبا (مارتينا) فى توتر ، وهى تقرأ :

ـ الممثلة (صوفى لوراتو) ، وسائقها (كارلو) .. اللعنة ! .. لقد ساعدته تلك الأخيرة على التسلل إلى هنا .

ثم هتفت بـ (بافلوف) فى غضب :

ـ ابحث عن اسم (صوفى لوراتو) وسائقها (كارلو) ، فى كل فنادق المدينة يا (بافلوف) ، وأخبرنى أين يمكننى أن أجدهما الآن .

مضت لحظات من الصمت ، قبل أن تهتف :

ـ ماذا ؟! .. رحلا منذ قليل .. اللعنة وألف لعنة .. أرسل إشارة عاجلة ، إلى كل نقاط الحدود ، ومرهم بعدم السماح بخروج الممثلة (صوفى لوراتو) ، أو سائقها من (برلين الشرقية) ، وإلقاء القبض عليهما فى الحال .

وأنهت الاتصال فى حدة ، وهى تستطرد فى وحشية :

ـ الليلة سيدفعان الثمن .. وسيدفعانه غاليًا ..

* * *

سألت (صوفى) (أدهم) فى اهتمام ، وهو يقود السيارة فى سرعة ، نحو أقرب نقاط الحدود ، بعد أن استعاد تنكره فى هيئة (كارلو) :

ـ إذن فقد لقى (كارل) هذا مصرعه ، وحصلت أنت على رقم الخزانة ومفتاحها .. لماذا تنطلق بهذه السرعة إذن ؟

أجابها فى حزم :

ـ لأن خصومنا ليسوا أغبياء ، ولأنهم سيكشفون ، إن عاجلًا أو آجلًا ، علاقتنا بالأمر ، وخاصة مع وجود (مارتينا) ، وكلما أسرعنا بمغادرة عرينهم ، كانت فرصتنا فى النجاة أكبر .. هل فهمت ؟

هتفت فى حماس :

ـ بالتأكيد .

ثم ابتسم وهى تلكز كتفه بكتفها ، مستطردة :

ـ ولكننى أتمنى أن تتعقد الأمور أكثر ..

هتف فى دهشة :

ـ تتعقد أكثر ؟! .. ولماذا تتمنين هذا ؟

قالت فى سعادة :

ـ حتى تنقذنى منها يا فارسى المفضل .

قال فى حنق :

ـ أما زلت ترفضين التفرقة ، بين السينما والواقع .

هتفت سعيدة :

ـ الواقع أجمل كثيرًا .

قال فى حدة :

ـ ولكنه مميت .

ابتسمت قائلة فى دلال :

ـ ومن ذا الذى يرفض الموت بين ذراعيك ؟

انتفض شىء ما فى أعماقه مع عبارتها ..

إنها لا تدرك أن هذا حدث بالفعل ..

(فدوى) لفظت أنفاسها الأخيرة بين ذراعيه ..

وكان هو المسئول عن هذا ..

انتزع نفسه من هذه الذكرى ، وهو يقول فى حدة :

ـ لا تنطقى هذه العبارة مرة أخرى .

سألته فى دهشة :

ـ لماذا ؟ .. إننى أشعر بها بالفعل .

قال متوترًا :

ـ لا تنطقيها فحسب .

حاولت أن تسأله عن سر عصبيته ، ولكنه قال :

ـ ها هى ذى نقطة الحدود أمامنا .

كانت الحدود خالية تقريبًا من السيارات فى هذا الوقت المتأخر من الليل ، واستقبل رجال الحدود السيارة بصرامتهم المعتادة ، وفحصوا جوازى السفر بمنتهى الدقة ، وسأل ضابط الحدود (صوفى) ، بعد أن انتهى من تفتيش حقيبة السيارة :

ـ لماذا تغادرين (برلين الشرقية) ، فى هذا الوقت المتأخر يا سيدتى ؟

هزت كتفيها ، قائلة :

ـ لست أدرى .. شعرت فجأة بالرغبة فى مغادرتها ، ففعلت .

سألها فى شك :

ـ دون أية أسباب ؟

ابتسمت قائلة :

ـ وهل الأمر فى حاجة إلى أسباب ؟

قال فى شىء من الصرامة :

ـ بالتأكيد ، عندما يبدو عجيبًا .

قالت فى بساطة :

- لا يوجد عجيب .. إننى ممثلة ، والممثلات يملن إلى الحماقة دائمًا .. أليس كذلك ؟

تراجع الرجل فى دهشة لجوابها ، ثم هز رأسه مغمغمًا :

- ربما كنت على حق يا سيدتى .

وأشار إلى الجندى المسئول ، لرفع حواجز الطريق ..

ورفع الجندى الحاجز المعدنى ، واستعد لرفع الحاجز الخشبى ، عندما اندفع جندى الإشارة فجأة من حجرته ، وصاح :

- أوقفوا هذه السيارة .. لدينا إشارة بمنعها من مغادرة البلاد .

وبلا أدنى تفكير ، ارتفعت فوهات عشرات المدافع الرشاشة نحو (المرسيدس) ، وبدأ الجندى فى إعادة الحاجز المعدنى فى سرعة .

وأطبق الفخ .



٣٠ ـ الهروب ...

كان الموقف بالغ الدقة بكل المقاييس ..

الجنود يصوبون مدافعهم إلى السيارة ..

والحاجز المعدنى يهبط ..

والخطر يقترب ..

و (ألمانيا الغربية) على مرمى البصر ..

كان موقفًا يحتاج إلى قرار حاسم ..

وسريع ..

باختصار ، كان القرار الذى يناسب رجلًا مثل (أدهم صبرى) ..

ودون أدنى تردد ، ضغط (أدهم) دواسة الوقود بكل قوته ، صائحًا فى (صوفى) :

- انحنى .

وانطلق بالسيارة ..

وبدون تردد أيضًا ، انهالت رصاصات الجنود على السيارة ..

وهبط الحاجز المعدنى بسرعة أكثر ..

وشعر (أدهم) بأزيز الرصاصات من حوله ، وتناثرت قطع الزجاج على وجهه من كل ناحية ، وغمرت (صوفى) ، التى غاصت فى قاع السيارة ، صارخة :

- هل انفتحت أبواب الجحيم ؟

ومرقت رصاصة من ذراع (أدهم) اليسرى ، وكادت أخرى تطيح بأنفه ،

ولكنه واصل الانطلاق بأقصى قوته ، نحو الحاجز المعدنى ..

ثم انحنى فى اللحظة المناسبة ..

وبكل قوتها ، ارتطمت السيارة بالحاجز المعدنى ، الذى اقتلع سقفها بدوى أشبه بالقنبلة ، وأطاح به بعيدًا ، فى حين حطمت السيارة الحاجز الخشبى ، وانطلقت نحو (برلين الغربية) ، تطاردها رصاصات جنود (برلين الشرقية) فى غضب وثورة ..

ثم لم تلبث الرصاصات أن توقفت ، مع ابتعاد السيارة عن الحدود ، وهنا فقط عادت (صوفى) تجلس على مقعدها ، وألقت نظرة خلفها ، ثم رفعت ذراعيها ، وأطلقت صرخة ظافرة عالية ، وهتفت :

- هذا أروع من أى فيلم شاهدته .. لقد هزمناهم ، وعبرنا السياج الحديدى على الرغم من أنوفهم .

ابتسم (أدهم) قائلًا :

- هذا صحيح ، ولكن (المرسيدس) لم تعد تصلح حتى لتجار الخردة .

لوحت بكفها هاتفة :

- فلتذهب (المرسيدس) إلى الجحيم .. لا حدود للمتعة يا عزيزى .

وتركت جسدها يتراخى على مقعدها ، مستطردة فى جذل :

- صدقنى .. هذه أكثر لحظات حياتى متعة .

تطلع إليها فى دهشة وحيرة ، ثم ابتسم مغمغمًا :

- يا للنساء !

ابتسمت فى تراخ ، وأسبلت جفنيها قائلة :

- قل ما يحلو لك : سعادتى تفوق كل شىء الآن .

ثم فتحت أحد جفنيها ، مستطردة :

- وأيقظنى عندما نصل إلى المدينة .

وعادت تسبل جفنيها ، وتبتسم فى استمتاع ..

* * *

لم تكن آثار النوم قد تلاشت بعد ، من عينى (قدرى) ، وهو يهبط فى مطار (برلين) ، من الطائرة القادمة من (باريس) ، ويهتف فى حنق :

- ماذا دهاكم يا رجال المخابرات ؟ .. ألا تحتاجون إلى خدماتى قط ، إلا وأنا مستغرق فى نوم عميق ؟

ابتسم (أدهم) ، قائلًا :

- ذكرنى فى المرة القادمة أن أعلق على صدرى لافتة كبيرة ، تقول إننى رجل مخابرات ، بدلًا من أن تهتف بها هكذا .

قهقه (قدرى) ضاحكًا ، وقال :

- ولم لا تستخدم مكبرًا للصوت ؟ .. إنه يعطى نتائج أفضل .

ربت (أدهم) على كتفه ، قائلًا :

- سأجرب هذا فى المرة القادمة .

ثم استطرد فى جدية :

- الواقع أننى استدعيتك يا صديقى ، من أجل لعبة بالغة الأهمية والخطورة ، سنقوم بها معًا .

قال (قدرى) فى دهشة :

- لعبة ؟! .. أية لعبة هذه ؟

قص عليه (أدهم) ما حدث بينه وبين (أكرم) ، وما أخبره به هذا الأخير قبيل موته ، واستمع إليه (قدرى) فى اهتمام ، قبل أن يقول :

- ولكنها مشكلة معقدة بالفعل يا رجل .. كيف يمكننا استعادة الأشرطة ، ونحن لا نملك سوى المفتاح .

سأله (أدهم) :

- ألا يمكننا الحصول على توقيع لـ (أكرم) أيضًا ؟

ابتسم (قدرى) ، قائلًا :

- استعد للمفاجأة يا صديقى .. إننى أحمل نموذجًا لتوقيعه فى حقيبتى .

تهللت أسارير (أدهم) ، وهتف :

- (قدرى) .. أنت أروع إنسان صادفته فى حياتى .

ابتسم (قدرى) فى سعادة ، وقال :

- بل يمكنك أن تقول إننى شخص حذر ، وأميل دائمًا إلى احضار كل ما يمكن أن تكون له فائدة ، عندما أذهب لعمل خارجى .

هتف (أدهم) :

- وهذا أروع ما فيك .

ثم تراجع بمقعده ، مستطردًا :

- الآن نمتلك رقم الخزانة ، ومفتاحها ، وتوقيع (أكرم) .

قال (قدرى) :

- كل هذا لا قيمة له ، بدون (أكرم) نفسه .

اعتدل (أدهم) ، وهو يبتسم قائلًا :

- لهذا استدعيتك .

رفع (قدرى) حاجبيه فى دهشة ، هاتفًا :

- وما شأنى أنا بالأمر .. إننى حتى لا أشبهه .. صحيح أننى أكثر وسامة ، ولكن ..

قاطعه (أدهم) فى اهتمام :

- استمع إلىّ أولًا يا صديقى .. فلدى خطة .

وراح يشرح ما لديه ، و (قدرى) يستمع إليه فى انتباه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

كان ذلك الصباح مشرقًا دافئًا ، فى مدينة (ميونخ) بـ (سويسرا) ،

عندما دخل (أدهم) إلى بنك (كريدى سويس) ، وسأل أحد موظفيه :

- هل يمكننى مقابلة المدير ؟

سأله الموظف فى احترام :

- هل من خدمة يمكننى تقديمها يا سيدى ؟

بدا التردد على وجهه ، وهو يقول :

- الواقع أننى أفضل مقابلة المدير .

لم يعترض الموظف قط ، وقاده إلى حجرة مدير البنك ، الذى استقبله فى حرارة ، على الرغم من عدم معرفته به ، ودعاه إلى الجلوس ، وهو يسأله بابتسامة كبيرة :

- ما الخدمات التى يمكن لبنكنا تقديمها إليك يا مستر ..

أجابه (أدهم) فى هدوء :

- (أدهم .. (أدهم صبرى) .

ثم اعتدل مستطردًا :

- الواقع أننى رجل أعمال مصرى ، شهير فى دولتى ، ولكننى أدير بعض الأعمال الأخرى هنا ، فى (أوروبا) ، وأمتلك بعض الوثائق البالغة الخطورة ، ولقد أخبرنى البعض أننى أستطيع استئجار خزانة خاصة لديكم لحفظ وثائقى ، ولكننى أشعر بالقلق فى الواقع ، فهل هذه الخزائن آمنة ؟

أجابه المدير فى حماس :

- آمنة تمامًا يا مستر (صبرى) .. والشىء الذى نضمنه لك هو أنه من المستحيل أن ينجح مخلوق آخر فى الوصول إلى خزانتك ، ولا حتى فى معرفة ما تحويه .

قال متصنعًا الشك :

- يمكن لأى شخص أن يقلد أسلوبى ، أو توقيعى .

هز مدير البنك رأسه نفيًا ، وهو يبتسم قائلًا :

- مستحيل يا مستر (صبرى) ، فنحن هنا لا نعتمد على التوقيع وحده ، وإنما نعتمد على نظام رباعى مضمون ، فنحن نحتفظ بصورة حديثة لك باستمرار ، لنتأكد من أن الشخص الموجود هو نفسه صاحب الخزانة ، ولابد لك من وضع توقيعك على بطاقة خاصة ، وبعدها تستخدم مفتاحًا مغناطيسيًا ، يستحيل تزييفه ، أو صنع مثيل له ، لأن صنعه يتم بالكمبيوتر ، وبشفرة خاصة من عشرة أرقام ، يحتاج فكها إلى مائة عام على الأقل ، لو استخدمت كمبيوتر قويًا .. أضف إلى كل هذا رقم الخزانة ، الذى لا يعرفه سواك وسوانا ، تجد أن وصول أى شخص آخر إلى خزانتك مستحيل !

تصنّع (أدهم) التردد والشك ، قبل أن يقول :

- معذرة .. هل يمكننى رؤية بطاقات التوقيع ، وأحد المفاتيح ؟! .. معذرة ، ولكننى أرغب فى الاطمئنان تمامًا .

قال المدير فى حماس :

- بالتأكيد .. هذا حقك .

وضغط زرًا من أزرار مكتبه ، فدلف سكرتيره إلى حجرته ، وقال له المدير :

- أحضر بطاقة من بطاقات التوقيع الخاصة ، وأحد مفاتيح الخزائن .

لم تمض لحظات ، حتى أحضر الرجل المطلوب ، فالتقط (أدهم) البطاقة ، وتظاهر بفحصها فى اهتمام ، ثم قال :

- إنها تبدو لى عادية .

ابتسم المدير وقال :

- ولكنها تحمل اسم البنك بحروف مغناطيسية سرية فى طرفها ، وبعد توقيعك عليها يتم وضعها فى كمبيوتر خاص ، ليحدد صحتها .

غمغم (أدهم) :

- عظيم .

ثم ألقى البطاقة فى جيبه ، وهو يقول :

- فى هذه الحالة أوافق على استئجار الخزانة .

قال المدير فى حماس :

- لن تندم أبدًا يا مستر (صبرى) .. صدقنى .

وتمت الإجراءات بمنتهى الدقة بعدها ، فوضع (أدهم) توقيعًا عجيبًا ، فوق بطاقة خاصة أخرى ، والتقط له خبير البنك صورة واضحة ، لتخزينها فى الكمبيوتر ، وبعدها حصل على خزانة خاصة ، وضع بها بعض الأوراق البيضاء ، داخل مظروف أنيق ، ثم حصل على المفتاح ، والرقم السرى ، وحياه مدير البنك مرة أخرى قبل انصرافه ، قائلًا :

- أؤكد لك مرة أخرى أنك لن تندم أبدًا يا مستر (صبرى) .

ابتسم (أدهم) ، قائلًا : فى هدوء :

- أنا واثق من هذا يا سيادة المدير .

وغادر البنك وهو يبتسم فى ارتياح ، بعد أن مرّت المرحلة الأولى من خطته فى سلام ، ولم يكد يجلس خلف عجلة القيادة ، فى سيارة استأجرها حديثًا ، حتى سمع (صوفى) تهتف :

- هأنذا قد عثرت عليك أيها الوسيم .

التفت إليها هاتفًا فى دهشة :

- (صوفى) ؟! .. ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

قالت فى سعادة :

- كنت أعلم أنك ستأتى إلى هذا البنك حتمًا ، فى محاولة لاستعادة الأشرطة ، فكلّفت (كارلو) مراقبة البنك ، وإبلاغى فور وصولك .

ثم ابتسمت فى حنان ، مستطردة :

- لقد اشتقت إليك كثيرًا ، ولم أحتمل فراقك .

هتف فى ضيق :

- (صوفى) .. لقد افترقنا صباح أمس فحسب .
هتفت بدورها :
- وكيف أحتمل عدم رؤيتك ليوم كامل ؟
قال فى توتر :
- ينبغى أن تعتادى هذا يا عزيزتى ، فسأنتهى من مهمتى غدا ، وأعود إلى وطنى ، وقد لا نلتقى أبدا طيلة العمر .
هتفت :
- لا .. لا تقل هذا .
صاح :
- إنها الحقيقة يا (صوفى) .
وضعت يدها على قلبها ، هاتفة :
- واقلبى المسكين ! سيتحطم على جدران قسوتك ، و ..
قاطعها فى ضجر :
- رائع يا (صوفى) .. تمثيل متقن للغاية ، ولكننى لست مستعدًا لمشاهدته ، قبل أن أنتهى من عملى .
سألته فى اهتمام :
- ومتى تنتهى منه ؟
أجاب فى ضيق :
- غدا فى نفس الموعد .
هتفت فى سعادة :
- سأكون فى انتظارك .
قال فى غضب :
- كلا يا (صوفى) .. الواقع أن ..

ولكنها ابتعدت فى خطوات سريعة ، وقفزت داخل سيارة (ترانس أم) أنيقة ، يقودها (كارلو) ، ولوحت بكفها هاتفة :
- غدا نلتقى .
قاد سيارته ، إلى منزل بسيط ، استأجره بالقرب من البنك ، وهو يشعر بحنق شديد فى أعماقه ..
إنها تفسد عمله ، وتتدخل فيه دائما ..
وهو يكره أن يفعل أى مخلوق هذا ..
حاول أن يطردها من ذهنه ، حتى بلغ المنزل ، وقال لـ (قدرى) فى حماس :
- لقد أحضرت البطاقة الخاصة .
ناوله البطاقة الخضراء الصغيرة ، فتطلع إليها (قدرى) فى دهشة ، وقال :
- كيف حصلت عليها ؟ .. المفروض أنها سرية !
ابتسم (أدهم) ، قائلًا :
- نشلتها .
ثم استطرد فى اهتمام :
- والآن ضع توقيع (أكرم) هنا .
التقط (قدرى) البطاقة ، ووضعها فوق المائدة فى حرص ، ثم أخرج أقلامه ، ووضع أمامه نموذج توقيع (أكرم) ، ثم نقل صورة طبق الأصل منه إلى البطاقة الصغيرة ، فى بساطة مدهشة ، جعلت (أدهم) يهتف :
- ألم أقل لك إنك عبقرى ؟
والتقط البطاقة يتأملها فى إعجاب ، ثم دسها فى جيبه ، قائلًا :
- هكذا نكون قد قطعنا شوطًا ضخما فى الخطة .

سأله (قدرى) :

ـ ومتى ننتقل إلى الجزء الثانى من الخطة ؟

أجابه فى هدوء :

ـ غدًا يا صديقى .. وإن غدًا لناظره قريب .

نعم .

الغد لناظره قريب ..

وحاسم ..

* * *

لم يكد بنك (كريدى سويس) يفتح أبوابه ، فى صباح اليوم التالى ، حتى كان (أدهم) يعبر أبوابه ، متنكرًا فى هيئة (أكرم) ، على نحو يستحيل أن تكشفه أم (أكرم) نفسها ، حتى ولو ارتدت منظارها الطبى ، وألصقت وجهها بوجهه ..

وفى هدوء ، توجّه إلى موظف البنك المسئول ، وقال :

ـ اسمى (أكرم حسين) .. هل يمكننى فتح خزانتى الخاصة ؟

أجابه الموظف فى احترام :

ـ بالطبع يا مستر (أكرم) .. يمكنك هذا فى أية لحظة .. بعد اجتياز الاختبارات بالطبع .

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وقال فى هدوء :

ـ بالطبع .

صحبه الموظف إلى حجرة خاصة ، وأوقفه أمام آلة تصوير تليفزيونية بسيطة ، التقطت صورته على الفور ، ولم تمض ثوان ، حتى ظهرت البيانات الخاصة بـ (أكرم) على الشاشة مع صورته ، فابتسم الموظف ، قائلًا :

ـ مرحبًا بك فى بنكنا يا مستر (أكرم) .

تلقفه بعدها موظف ثان ، وسأله عن رقم حسابه ، فأجاب (أدهم) فى هدوء ، وبصوت يماثل صوت (أكرم) تمامًا :

ـ (١٠٩٧٦) ، تحت حرفى الألف والحاء .

ضرب الموظف الثانى أزرار الرقم على الكمبيوتر ، فظهر على الشاشة مصحوبًا باسم (أكرم حسين) ، وهنا ناول الموظف (أدهم) بطاقة خضراء صغيرة ، وهو يقول :

ـ توقيعك يا سيّدى .

أمسك (أدهم) البطاقة ، ومد يده بها إلى جيبه ، وكأنه يلتقط قلمًا ، ثم أسقطها فى الجيب ، والتقط منه البطاقة الأخرى ، التى زوّر (قدرى) فوقها توقيع (أكرم) ، وتظاهر بأنه يضع توقيعه عليها ، ثم ناولها إلى الموظف ، الذى التقطها ، ودسها فى فراغ خاص ، بجهاز الكمبيوتر أمامه ، وتطلّع إلى الشاشة ، التى أعلنت صحة التوقيع ، فقال (أدهم) لنفسه :

ـ إنها أروع شهادة ببراعتك ، يا عزيزى (قدرى) .

وفتح الموظف باب حجرة الخزائن ، وهو يقول :

ـ أمعك مفتاحك الخاص يا سيّدى ؟

أجابه (أدهم) ، وهو يخرج المفتاح :

ـ ها هوذا .

أفسح له الموظف الطريق ، لدخول حجرة الخزائن ، ثم أغلقها خلفه ، وهو يقول :

ـ لو احتجت لأية خدمات ، يمكنك ضغط الزر الأصفر يا سيّدى .

ابتسم (أدهم) ، قائلًا :

ـ أشكرك .

لم يكد الموظف ينصرف ، حتى اتجه (أدهم) فى سرعة نحو الخزانة ،

التى تحمل الرقم (١٠٩٧٦) ، ودسّ المفتاح فى الثقب الخاص به ، وأداره ، و ..

ورفض المفتاح الاستجابة ..

رفضها فى المحاولة الأولى ..

والثانية ..

والثالثة ..

وكل المحاولات الأخرى ..

وأصبح الأمر واضحًا ..

هذا المفتاح لن يصلح أبدًا ..

لأنه ـ ببساطة ـ ليس مفتاح هذه الخزانة ..

ولا يمت إليها بأدنى صلة ..

* * *

أوقفت (صوفى لورانو) سيارتها الـ (ترانس آم) ، إلى جوار البنك ، وقفزت منها فى نشاط ، وهى تندفع نحو (كارلو) ، الذى ينزوى فى ركن من الإفريز ، وسألته :

ـ أهو هنا ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. منذ فتح البنك أبوابه .

ثم هزّ رأسه فى حيرة ، وقال :

ـ ولكننى لست أفهم .. ألم يلق (كارل) هذا مصرعه ، فى (برلين الشرقية) ، حسبما ذكرت ؟

أجابته فى بساطة :



لم يكد الموظف ينصرف ، حتى اتجه (أدهم) فى سرعة نحو الخزانة ، التى تحمل الرقم (١،٩٧٦) ، ودس المفتاح فى الثقب الخاص به .

- بلى .. هذا صحيح .

سألها فى حيرة أكثر :

- كيف طلبت منى انتظار حضوره إلى البنك إذن ؟ .. وكيف حضر بالفعل ؟

ضحكت قائلة :

- إنه ليس هو .

ثم مالت على أذنه ، هامسة :

- إنه سنيور (صبرى) .

اتسعت عيناه فى دهشة ، وهو يقول :

- سنيور (صبرى) ؟! .. مستحيل ! .. إنه نسخة طبق الأصل من (كارل) .

قالت فى جذل :

- أنسيت كيف أصبح نسخة طبق الأصل منك فى (برلين) ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وأجاب :

- كلّا .. لم أنس أبدًا .. لقد كان أعجب شىء رأيته فى حياتى .. كان يشبهنى حتى أننى شككت فى أمر نفسى .

ضحكت قائلة :

- إنه رائع .

ثم لم يلبث حاجباها أن التقيا ، وهى تستطرد :

- ولكنه مخادع .. لقد أخبرنى أنه سيأتى متأخرًا ، وجاء مبكرًا ليهرب منى ، ولكن من حسن الحظ أننى انتبهت لمحاولته ، واستنتجت أنه سيتنكّر فى هيئة (كارل) ؛ ليمكنه استعادة الأشرطة ، فطلبت منك مراقبة البنك ، منذ فتح أبوابه .

تطلّع إليها (كارلو) لحظة ، ثم قال فى تردد :

- سنيوريتا (صوفى) .. هل لى أن ألقى عليك سؤالًا يثير حيرتى ؟

قالت فى بساطة :

- سل مابدا لك يا (كارلو) .

قال فى حيرة :

- منذ عملت كحارس خاص لك ، رأيت كل الرجال يذوبون وجدًا وغرامًا أمامك ، ويلقون قلوبهم تحت قدميك ، وكل ما يأملونه نظرة واحدة منك .. رجال من أصحاب الملايين .. رجال سلطة .. سياسيون .. حكّام .. عشرات سعوا لابتسامة رضا واحدة منك .. حتى سنيور (فابيو) المنتج نفسه ، ولكنك لم تعيرى أيهم اهتمامًا .. بل على العكس ، كنت تعاملينهم بشىء من الازدراء والترفّع .. ثم فجأة ظهر هذا المصرى ، ورأيتك تنجذبين إليه من النظرة الأولى ، وتذهبين خلفه أينما ذهب .. بل لقد رفضت عقود ثلاثة أفلام ، من أجل اللحاق به ، من (روما) إلى (باريس) ، إلى (برلين) .. لماذا هذا الرجل بالذات يا سنيوريتا ؟

شردت ببصرها ، وهى تسترجع حديثه كله ، كلمة بكلمة ، ثم هزّت رأسها ، وقالت فى حيرة :

- لست أدرى فى الواقع يا (كارلو) ، ولكننى شعرت بانجذاب شديد إليه ، منذ اللحظة الأولى ، عندما جلست إلى جواره فى الطائرة ، وبعدها راح تعلّقى به يتضاعف ، كلما مرّ الوقت ، حتى أننى أشعر الآن أنه ملك روحى وحياتى ، ولم يعد بإمكانى العيش دونه .

قال فى أسف :

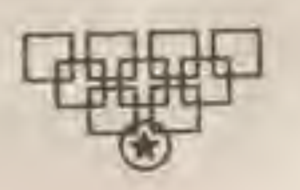
- ولكنه لا يبادلك حبًا بحب يا سنيوريتا .

أجابت هائمة :

- ولكنه حنون .

هتف فى دهشة :

- حنون ؟! .. إنه أشبه بليث ثائر طيلة الوقت .
قالت في حنان :
- ولكنه حنون .. صدقني .. المرأة وحدها تشعر بهذه الصفة في الرجل ، حتى ولو حرص أشد الحرص على إخفائها عنها
هز رأسه في حيرة ، وقال :
- أنت أكثر معرفة مني ، على أية حال يا سنيوريتا
تنهدت قائلة :
- لقد أثرت شجوني يا (كارلو) دعك الآن من هذه اللمسات الرومانسية ، ولننتظر خروج سنيور (صبري) ، لأعاتبه على موقفه هذا ، و ..
اتسعت عيناها فجأة في دهشة وذعر ، وهي تحدق بعيدا ، فسألها (كارلو) في قلق :
- ماذا هناك يا سنيوريتا ؟!
أجابته في ارتياع :
- كارثة يا (كارلو) .. كارثة .
التفت إلى حيث تنظر ، وارتفع حاجباه بدهشة أيضا ..
وانتقل ذعرها إليه .



٢١ ــ الضربة ...

توتر (أدهم) في شدة ، عندما عجز المفتاح عن فتح خزانة (أكرم) السرية ، وامتلأت نفسه بعشرات التساؤلات والمخاوف ، في لحظة واحدة ..
هل خدعه (أكرم) ؟
هل منحه قبيل وفاته مفتاحا زائفا ؟
ولكن لماذا ؟ ..
لقد أعطى المفتاح (مارتينا) ، في محاولة للحفاظ على حياته ، وليس من المنطقي ، والحال هذا ، أن يعطيها مفتاحا زائفا ..
هل فسد المفتاح إذن ؟ ..
لقد سمع المدير يقول : إنه مفتاح مغناطيسي ، فهل أفسد مغناطيسيته شيء ما ؟!
أخرج المفتاح من ثقبه ، وتطلع إليه في حيرة ، ولكنه بدا أشبه بقطعة من الفولاذ الخام ، تعرضت فحسب للسحب والطرق ، دون أسنان أو علامات مميزة ..
وفي عناية ، فحص (أدهم) الخزانة كلها ، ولكنها لم تكن تحوي سوى ثقب المفتاح فحسب ، ولا توجد أية فتحات أخرى ..
ماذا يفعل إذن ؟ ..
من المستحيل أن تفشل القصة كلها ، بعد أن بلغ هذا الحد ..
من العار أن يحدث هذا ..
في هذه الحالة ستتبدل الأمور كثيرا ، و ..

توقفت أفكاره كلها دفعة واحدة ، وراحت كلمة منفردة تتردد فى أعماقه ..

تتبذل .. تتبذل .. تتبذل ..

وهنا قفزت إلى ذهنه فجأة فكرة عجيبة ..

وبسيطة ..

وبسرعة ، راح يفتش فى جيب سترته ، حتى التقط مفتاحا شبيهاً ..

وفى هدوء ، دس المفتاح الثانى فى الثقب ، وأداره ..

وانفتحت الخزانة ..

وعرف السر فى فشل المفتاح الأول ..

إنه لم يكن مفتاح خزانة (أكرم) ، بل مفتاح الخزانة التى استأجرها هو أمس ، ولكن كل هذه المفاتيح المغناطيسية تتشابه تماماً ..

وفى اهتمام ، جذب درج الخزانة ، وفتحه ، ثم تنهد فى ارتياح ..

كانت أشرطة التسجيل ترقد كلها أمامه ..

وبسرعة ، نقل الأشرطة إلى حقيبته ، ثم أغلق الخزانة ، وغادر المكان فى ارتياح ..

لقد استعاد الأشرطة ..

وربح المعركة .

ولكن مهلاً ..

الأمور لم تحسم بعد ، فى هذه المعركة ..

إنه لم يكد يغادر البنك ، حتى فوجئ بـ (مارتينا) أمامه ، تقول فى برودها المعهود :

ـ شكراً أيها الرفيق المصرى .. لست أدرى كيف كنا سنحصل على هذه الأشرطة بدونك .

ندت من (أدهم) حركة عنيفة ، تشف عن تأهبه للقتال ، فأسرعت (مارتينا) تقول :

ـ حذار أن تفعل ، وإلا لقيت فاتنتك السينمائية مصرعها على الفور .

التفت الى حيث تشير فى سرعة ، ورأى (صوفى) بين يدى رجل ضخم ، يقيد حركتها تماماً ، فى حين يجلس (كارلو) داخل (الترانس آم) محنقاً ، ورجل ضخم آخر يصوّب مسدسه إلى رأسه تماماً ..

وفى برود قالت (مارتينا) :

ـ الواقع أنك شديد البراعة ، فى فن التنكر أيها المصرى ، فقد كدت تقنعنى فى الصباح ، بأن (كارل) قد عاد الى الحياة ، على الرغم من أننى رأيت جثته بنفسى ، عندما استخرجها رجالنا ، من البقعة التى دفنتها فيها ، وسط الأشجار .

ثم مدت يدها لتلتقط حقيبة الأشرطة ، مستطردة :

ـ والآن أعطنى هذه الحقيبة .

أبعد الحقيبة عن متناول يدها ، وهو يقول :

ـ ليس بهذه البساطة .

قالت متوترة :

ـ ستعطينى إياها بنفسك ، أو يستخلصها رجالى من جثتك ، بعد أن يمطروك بالرصاص ، فى وسط الطريق .

قال ساخراً :

ـ حسناً .. إننى أختار الوسيلة الثانية .

هتفت فى حدة :

ـ أعطنى الحقيبة أو تلقى مصرعك .

قال ساخراً :

- يا إلهى ! .. ماذا أصاب كتلة الجليد السوفيتية (مارتينا عظيموف) ! ؟ .. كيف ذهب برودك الشديد ؟

قالت فى عصبية :

- لن أضيع الوقت فى حوارات سخيفة كهذه .. هيا .. أعطنى الحقيبة .

سألها بصوت مرتفع :

- ترى هل يعلم رؤساؤك أنك تريدين الاستيلاء عليها لحسابك ؟

قالت فى حدة :

- لا شأن لك بهذا .

واصل وكأنه لم يسمعها :

- وهل يعلمون أنك أكثر ثراء مما تبدين ؟ .. وأنك تمتلكين حسابا سريًا فى (بون) يبلغ رصيدك فيه مليونى مارك ؟

صرخت :

- اصمت .

ثم رفعت مسدسها فى وجهه ، صارخة :

- أنت أردت هذا .

- وضغطت الزناد ..

* * *

التقى حاجبا (منى) ، عندما توقف (قدرى) عن السرد بغتة ، وسألته فى ضيق :

- لماذا توقفت هذه المرة ؟

قال فى بساطة :

- إننى جائع .

هتفت مستنكرة :

- مستحيل يا (قدرى) ! .. إنك تتناول الطعام بشراهة عجيبة .

قال معترضاً :

- هذا لا يحدث فى المعتاد ، ولكن التحدث طويلاً يصيبنى بالجوع .

تطلعت إلى ساعتها ، قائلة :

- ولكن كل ما استغرقناه هو ساعة واحدة فحسب ، تناولت أنت خلالها ثلاث وجبات ، وست زجاجات مياه غازية .. هذا سيؤذى صحتك كثيراً .

مط شفتيه معترضاً ، وهو يقول :

- صحتى على ما يرام .

ضحكت قائلة :

- لماذا تتناول هذه الأقراص الصفراء إذن ؟

- أجاب فى سرعة :

لعسر الهضم .. إننى أعانيه بصفة دائمة .

سألته :

- وماذا عن الأقراص الوردية ؟

هز كتفيه المكتظين ، مجيباً :

- لتقلصات القولون .. أكثر من نصف الشعب المصرى يعانى هذا القولون العصبى .

ضحكت قائلة :

- والحبيبات الخضراء الشفافة ؟

لوح بكفه ، قائلاً :

- ليست ذات بال .. إنها لعلاج ضعف والتهابات المرارة فحسب .

هتفت ضاحكة :

وتقول : إن صحتك على خير مايرام ؟ !

قال فى حزم :

ـ بالتأكيد .. كلها أعراض عادية بسيطة .

أومأت برأسها قائلة :

ـ لابأس سنتجاوز هذا الآن ، ولكن أخبرنى كيف نجا (أدهم) من رصاصة (مارتينا) ، التى أطلقتها من هذه المسافة القريبة ؟

قال فى هدوء :

ـ الأمر بسيط للغاية .. إنه (أدهم) .

قالت فى اهتمام :

ـ كيف فعلها إذن ؟

أجابها معتدلًا :

ـ سأخبرك كيف ..

وأخبرها ..

* * *

عندما صرخت (مارتينا) فى وجه (أدهم) :

ـ أنت أردت هذا ..

لم تكن تتوقع أبدًا أنه يريد هذا بالفعل ..

لقد تعمد إثارة أعصابها ، حتى فقدت السيطرة على نفسها ، ورفعت مسدسها فى وجهه ، فقفز بغتة ، وركل المسدس من يدها ، صارخًا بالإيطالية :

ـ الآن يا (كارلو) .

والعجيب أن (كارلو) استجاب فى سرعة مدهشة ، فدفع الباب فى وجه الرجل ، الذى يصوب اليه مسدسه ، ثم قفز خارج السيارة ، وكال له ثلاث لكمات متتالية عنيفة ، تحطم لها أنف الرجل ، وفكه ، ثم انتزع منه مسدسه ، واستدار فى سرعة يصوبه إلى الآخر ، الذى يمسك (صوفى) ..

فى نفس الوقت ، كان (أدهم) قد أمسك (مارتينا) فى قوة ، ولوى ذراعها خلف ظهرها ، وهو يقول فى سخرية :

ـ معذرة ياعزيزتى .. هل يؤلمك موقفك هذا ؟

قالت فى حدة :

ـ كلا .. لايؤلمنى قط ، فأنت لاتدرك ماتواجهه بالضبط .

ثم صاحت :

ـ أرهم يا (راكوفينش) .

أبرز الرجل الممسك بـ (صوفى) من جيبه نطاقًا صغيرًا ، أحاط به وسط (صوفى) فى سرعة ، وقالت (مارتينا) فى شماتة :

ـ هذا النطاق ، الذى أحاط به (راكوفينش) وسط صديقتك ، ليس سوى قنبلة شديدة التفجير ، وجهاز تفجيرها يرقد بين أسنانى ، وضغطة واحدة من فكى كافية لإرسال إشارة التفجير ، وتتحول ممثلة العصر إلى أشلاء .

شهقت (صوفى) فى رعب ، وانعقد حاجبا (كارلو) فى شدة ، فى حين قال (أدهم) فى غضب :

ـ أية ألعاب شيطانية هذه يا (مارتينا) ؟

أجابته فى حنق ، وهى تحاول تخليص ذراعها من قبضته القوية :

ـ إنها ألعاب تؤمن لنا النصر أيها الذكى .

ثم صاحت :

ـ أترك ذراعى .. هيا .

أفلت ذراعها فى ضيق ، وهتفت به (صوفى) فى ارتياع :

ـ امنحها ماتريد ياسنيور (صبرى) .. أرجوك .

تطلّع إليها (أدهم) مشفقا ، وقال :

ـ اطمئنى يا (صوفى) .. لن يصيبك مكروه .

صاحت به (مارتينا) :

ـ أعطنى الحقيبة .. هيا .

قال فى حزم :

ـ ليس قبل أن تطلقى سراح (صوفى) .

قالت فى عناد :

ـ مستحيل ! .. إنها التأمين الوحيد لى .

قال فى حزم :

ـ سنتبادل الأدوار إذن .

قالت فى شك حذر :

ـ ماذا تعنى ؟

أشار إلى وسطه ، قائلا :

ـ سأرتدى أنا هذا النطاق ، وترحل هى .

هزّت رأسها نفيا ، وهى تقول فى سخرية :

ـ كلا أيها الذكى .. أنت رجل مخابرات ، وربما لاتبالى بالتضحية بحياتك ، ولكنك ستتردد طويلا ، عندما يتعلق الأمر بالتضحية بحياة شخص آخر .

قال (أدهم) فى هدوء عجيب :

ـ دعينى أصافحها أوّلا على الأقل .

وصل رجل شرطة فى هذه اللحظة ، وقال فى صرامة :

ـ هل يمكن لأحدكم أن يفسر لى مايحدث هنا ؟

قالت (مارتينا) فى هدوء :

ـ بكل سرور .

ثم أطلقت النار على رأس الشرطى ، فانطلقت صرخات المارة ، وتراجعوا فى هلع ، فى حين التقى حاجبا (أدهم) ، وقد أدرك أن (مارتينا) لن تتردد فى إتيان أية أفعال ، تؤمن لها النصر ، فهتف :

ـ حسناً يا (مارتينا) .. سأمنحك الحقيبة .

ثم اتجه نحو (صوفى) ، وأحاط وسطها بكفيه ، وقال :

ـ سامحينى يا عزيزتى .

التقى حاجباها ، وهى تتطلع إليه فى دهشة ، وارتسمت على وجهها الحيرة لحظة ، ثم لم تلبث أن ابتسمت ، قائلة :

ـ كم أشعر بالأمان معك .

منحها ابتسامة هادئة ، و (مارتينا) تقول فى عصبية :

ـ أعطنى الحقيبة .. سنرحل على الفور ، قبل قدوم المزيد من رجال الشرطة .

فتح الحقيبة بحركة سريعة ، وهو يقول :

ـ ها هى ذى يا (مارتينا) .. وكل الأشرطة داخلها .

ثم أدار الحقيبة فى خفة ، وأغلقها ، وألقى بها إليها ، مستطردا :

ـ كلها لك .

التقطت الحقيبة فى لهفة ، وضمتها إلى صدرها ، وعيناها تبرقان فى جشع ، ثم قالت فى عصبية وانفعال :

- والآن هل تريد صديقتك ؟ .. خذها أيها المصرى .. إنك تستحقها .

وبإشارة من يدها دفع (راكوفينش) (صوفى) نحو (أدهم) ، ثم ابتعد عنها فى سرعة ، وهتفت (مارتينا) :

- اذهبا معاً إلى الجحيم .

وضغطت أسنانها فى قوة ، وأشعلت جهاز التفجير ، و ...

ودوّى الانفجار ..

وتناثرت الأشلاء فى كل مكان ..

★ ★ ★

« ماتت ؟ ! »

هتفت (منى) بالكلمة فى ذعر ، وهبت من مقعدها مستطردة :

- ماتت (صوفى) ؟ !

تطلّع إليها (قدرى) فى دهشة ، قائلا :

- ماتت ؟ ! .. ألا تتابعين أخبار نجوم الفن أبداً ؟

لوّحت بكفها ، هاتفة :

- مطلقًا .

ثم تركت جسدها يسقط مرة أخرى على المقعد ، مستطردة :

- يالمسكينة ! .. إنها لم تكن سوى طفلة عابثة ، لاتدرك حتى طبيعة المخاطر التى تواجهها ! . مسكين (أدهم) أيضا .. من المؤكد أنه أصيب بعقدة ذنب كبرى ، بعد أن لقيت (صوفى) مصرعها أمامه ، وهو الذى لم ينس بعد مصرع (فدوى) بين ذراعيه ، و ..

قاطعها (قدرى) ، وهو يقول ضاحكا :

- ياللنساء !

رفعت عينيها إليه ، قائلة :

- ما هذا ؟

ضحك قائلاً :

- إننى أستعير كلمة (أدهم) .

سألته فى حدة :

- وما الداعى لاستخدامها الآن ؟

قال ضاحكا :

- أسلوبك هو الذى دفعنى لقولها .. لقد افترضت مصرعها ، وبنيت قضية كبرى على هذا ، دون أن أشير إلى هذا قط .

قالت فى دهشة :

- ولكنك قلت إن الانفجار قد حدث ، والأشلاء تطايرت .

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

- هذا صحيح ، ولكنها لم تكن أشلاء (صوفى) ، فـ (صوفى لورانو) مازالت تحيا حتى هذه اللحظة ، وهى واحدة من نجمات السينما الإيطالية والعالمية ، اللاتى يصعدن سلم النجاح دومًا .

سألته فى حذر :

- ماذا حدث إذن ؟

لاتقل لى إنّ (أدهم) نجح فى انتزاع النطـــاق من حول وسط (صوفى) ، وإلقائه بعيداً ، فى ذلك الجزء من الثانيةمابين ضغطة أسنان (مارتينا) ، وتشغيل جهاز التفجير ، وحدوث الانفجار ، فهذه السرعة لايمكن أن تتأتى لبشرى ، حتى ولو كان (أدهم) نفسه .

هز رأسه نفياً وقال :

ـ بل ماحدث أكثر إثارة للاعجاب .

سألته فى حيرة :

ـ ماذا حدث ؟

وبدأ يروى لها ماحدث ..

* * *

انتفض جسد (كارلو) فى قوة ، عندما ضغطت (مارتينا) أسنانها ، وتوقّع فى هلع أن يرى جسد مخدومته ينفجر ، ويتحوّل الى أشلاء ممزقة ، بفعل انفجار القنبلة ، الملتفة حول وسطها ، ولكن الذى حدث أن حقيبة الأشرطة هى التى انفجرت فى وجه (مارتينا) ، ومزّقتها إربًا ، أمام عيون الجميع ، فأدار (كارلو) عينيه إلى وسط (صوفى) فى سرعة ، وارتفع حاجباه فى دهشة ، عندما لم يجد أثرًا للنطاق حوله ، فهتف :

ـ ولكن كيف ؟

أجابته (صوفى) فى انفعال :

ـ أتذكر تلك اللحظة ، التى وضع فيها سنيور (صبرى) كفيه حول وسطى ؟ .. لقد أدهشنى أنه ، عبر تلك الحركة البسيطة ، قد نجح فى حل النطاق فى مهارة مدهشة ، وبعدها تظاهر بعرض محتويات الحقيبة على (مارتينا) ، ودسّ النطاق داخل الحقيبة ، دون أن يراه أحد ، تمامًا كما يفعل الحواة .. إنه رائع يا (كارلو) .. رائع .

لم يجب (أدهم) أو يهتم بحديث (صوفى) ، فقد كان بصره وتفكيره معلقين بالحقيبة ، التى نسفتها القنبلة نسفًا ، ودمرت كل محتوياتها من الأشرطة ، وامتلأت نفسه بارتياح عارم ، لايشعر به إلا كلما انتهى من

مهمة ما ، وحقق فيها نصرًا لصالح (مصر) ..

مهما كان الثمن ..

* * *

ارتفع نداء المضيفة الأرضية فى مطار (ميونخ) ، تدعو ركاب طائرة (القاهرة) الى إتمام أجراءاتهم ، للحاق بالطائرة ، التى تستعدّ للإقلاع ، وهتف (قدرى) بـ (أدهم) :

ـ هيا يا فتى .. أمامنا عشر دقائق فحسب .

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ اسبقنى أنت ، وسألحق بك بعد قليل .

أسرع (قدرى) إلى الطائرة ، وجسده البدين يترجرج أمامه ، فى حين تعلقت (صوفى) بـ (أدهم) ، ولم تجفّف دموعها قائلة :

ـ لما لاتبقى .. إننى أحتاج إليك ؟

ابتسم قائلاً :

ـ صدقينى يا(صوفى) .. كل ماتحتاجين إليه هو الاهتمام أكثر بأدوارك السينمائية ، ولعب دور البطولة ، فى بعض أفلام المغامرات .. هذا سيشبعك كثيرًا .

قالت باكية :

ـ لاأحد يعرض علىّ أدوار بطولة ، فى أفلام مغامرات .

قال فى حماس :

ـ أنتجى أفلامك بنفسك إذن .

حدّقت فى وجهه لحظة بدهشة ، ثم هتفت :

ـ فكرة رائعة .. لماذا لم تخطر لى من قبل .

ربّت على خدها فى حنان ، وقال :

- هيا .. ابدئى التنفيذ ، وسيصبح كل شئ على مايرام .

أومأت برأسها إيجابًا ، فلوح بيده قائلًا :

- إلى اللقاء يا (صوفى) .. سأحاول متابعة أفلامك فى المستقبل .

هتفت فى حسرة :

- ألن نلتقى مرة أخرى ؟

قال مبتسمًا :

- من يدرى يا (صوفى) ؟ .. ربما ..

ولوّح بيده مرة أخرى ، قبل أن يختفى وسط جموع المسافرين ، فسالت الدموع من عينيها مرة أخرى ، وهى تغمغم :

- نعم .. من يدرى ؟ .. ربما .. سأحيا على هذا الأمل .

بدا التأثر على وجه (كارلو) ، وقال :

- لن ننساه فى سهولة .. إنه رجل حقيقى .. رجل بمعنى الكلمة .

غمغمت فى حزن :

- أدرك هذا جيدًا .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى سمعت صوتًا يهتف :

- (صوفى) .. عزيزتى (صوفى) .. كيف حالك .. لقد هرعت إلى هنا فور سماع نشرة الأخبار .. كيف انتهت تحقيقات الشرطة ؟ .. ماذا حدث لذلك الرجل ، الذى ..

قاطعته فى ضجر :

- كيف حالك أنت يا(فابيو) .. اطمئن .. كل شئ انتهى على مايرام ، فالشهود كلهم أكدوا أن هؤلاء الرجال هم الذين حاولوا سرقة حقيبة

النقود ، وكل ماحدث بعدها كان دفاعًا عن النفس ، ولقد أصيب أحد المجرمين ، ويدعى (راكوفيتش) بانهيار ، عندما رأى زعيمته تتفجر مع الحقيبة ، وألقى بعض المارة القبض عليه فى سهولة ، واعترف بكل شئ ، فأطلقت الشرطة سراحنا .

ثم اعتدلت مستطردة :

- ولكن ليس هذا هو المهم .

سألها فى دهشة :

- ما المهم إذن ؟

أجابته فى حزم :

- لقد قررت إنتاج أفلامى بنفسى .

هتف فى ذعر :

- ماذا ؟ ..

ثم لان أسلوبه ، واستطرد محاولًا إثناءها عن الفكرة :

- ولكن الإنتاج عملية شاقة ياعزيزتى ، وتحتاج إلى جهد وتفرغ وحسابات ، وأرقام ، والعديد من المشكلات ، التى لاتصلح للفنانين .. ثم ما الذى يدفعك إلى إنتاج أفلامك بنفسك ، والجميع يتهافتون على توقيع أدوار البطولة المطلقة معك .

قالت فى حدة :

- أريد دور البطولة فى فيلم من أفلام المغامرات ، ولا أحد يقبل هذا .

غمغم فى دهشة :

- أفلام مغامرات .

ثم استطرد فى سرعة :

- ومن يرفض أفلام المغامرات .. ولكن من أين نأتى بالقصة الجيدة .. امنحينى قصة مغامرات جيدة ، وسأمنحك دور البطولة فيها .

هتفت فى حماس :

- لدىّ قصة جيدة .

زفر فى استسلام ، وقال :

- ما هى ؟

لوّحت بكفيها فى انفعال ، وهى تقول :

- إنها قصة فى عالم الجاسوسية ، عن عميل انكشف أمره ، ولجأ إلى الفرار ، ثم حصل على تسجيلات باللغة السرية ، عن علاقة دولته بالقوتين العظميين ، وبدأت حرب المخابرات ، للحصول على هذه التسجيلات ، وكانت هناك ممثلة معروفة ، ورجل مخابرات عربى ، و ...

وراحت تروى مالديها بكل حماس ..

* * *

استرخى (أدهم) فى مقعده بالطائرة ، وراح يسترجع تفاصيل عمليته ، ثم شعر بالارتياح ..

لقد نال العميل جزاءه ، واستعاد هو الأشرطة ، وتم تدميرها ..

والتقى بـ (صوفى) ..

و (قدرى) ..

و ..

وفجأة التفت إلى (قدرى) ، وقال :

- أتعرف ماأفضل شىء فى مهمتى هذه ياصديقى ؟

سأله (قدرى) فى كسل :

- ما هو ؟

أجابه (أدهم) مخلصا :

- صداقتى لك .

اعتدل (قدرى) فى مقعده ، وسأله فى دهشة :

- صداقتى أنا ؟ ! ..أتعتبر صداقتك لى أفضل شىء فى مهمتك .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

- بالتأكيد ياصديقى .. سأعتز بهذه الصداقة طيلة العمر ، وأفخر بها دائمًا .

ظهر التأثر على وجه (قدرى) ، وهو يقول :

- ماأعظمك ياصديقى ! لقد جعلتنى أنفعل بشدة ، والانفعال يسبب لى الـ ... الـ ..

قال (أدهم) :

- الرغبة فى البكاء ؟

هزّ (قدرى) رأسه نفيا وقال :

- بل الجوع .

ثم انفجر ضاحكا ، على نفس النحو الذى انزعج له (أدهم) من قبل .. ولكنه فى هذه المرة لم ينزعج ..

لقد شعر - على العكس - بارتياح شديد ..

ارتياح يحمل اسمْ النصر ..

والصداقة ..

* * *

ظلّت (منى) صامتة لحظات ، بعد أن انتهى (قدرى) من روايته ، فقال لها مبتسمًا :

ـ لقد انتهت المغامرة .

غمغمت :

ـ أعلم هذا .

ثم نهضت مستطردة :

ـ أشكر لك روايتك لهذه المغامرة يا (قدرى) .

قال مبتسمًا :

ـ أنت على الرحب والسعة دائمًا ، يا عزيزتى (منى) .

بدا عليها التردُّد قالت :

ـ لن أعطلك أكثر من هذا .. سأعود إلى مكتبى .

أدرك أنها ترغب فى أن تقول شيئًا ما ، ولكنه أجاب :

ـ لست أعتبر الجلوس معك نوعًا من العطلة يا (منى) .

سارت حتى باب الحجرة ، وتوقّفت لحظة ، ثم التفتت إليه فى حركة حادة ، شأن من حسم أمره ، وقالت :

ـ أخبرنى يا قدرى .. أما تزال صداقة (صوفى) و (أدهم) قائمة ؟

ضحك قائلًا :

ـ لماذا ؟ .. أتشعرين بالغيرة ؟

هتفت فى عصبية :

ـ أجبنى فحسب

ابتسم وقال :

ـ لست أظن هذا ، فهما لم يلتقيا مرة واحدة ، منذ تلك المغامرة .

هتفت فى سعادة ، وقد تهلّلت أساريرها :

ـ حقًا أشكرك يا (قدرى) .. أشكرك كثيرًا .

ثم غادرت الحجرة فى مرح ، وأغلقت الباب خلفها فى قوة ، فحدّق فى الباب فى دهشة ، قبل أن يغمغم :

ـ يا للنساء !

وابتسم وهو يرفع عينيه إلى صورة كبيرة لـ (أدهم) ، مستطردًا :

ـ مع الاعتذار لك يا صديقى .

وتفجّرت ضحكته المرحة ترجّ أركان المكان .



تمت بحمد الله



المؤلف

د. نبيل فاروق

العميل

مغامرة مثيرة ، يواجه فيها (أدهم صبرى) وحده أجهزة مخابرات ثلاث دول ، ويتقابل فى عنف وشراسة ، مع خبراء (الموساد) والـ (كى. جى. بى) والـ (كى. آى. إيه) ، للحفاظ على أمن وأسرار (مصر) ، التى سرقها عميل خائن . .

ترى لمن يكون النصر ، فى مثل هذه الحرب الشعواء ؟ . . وكيف يربح (أدهم) المعركة ، وينتصر على الجميع ، ويستعيد (العميل) ؟

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع